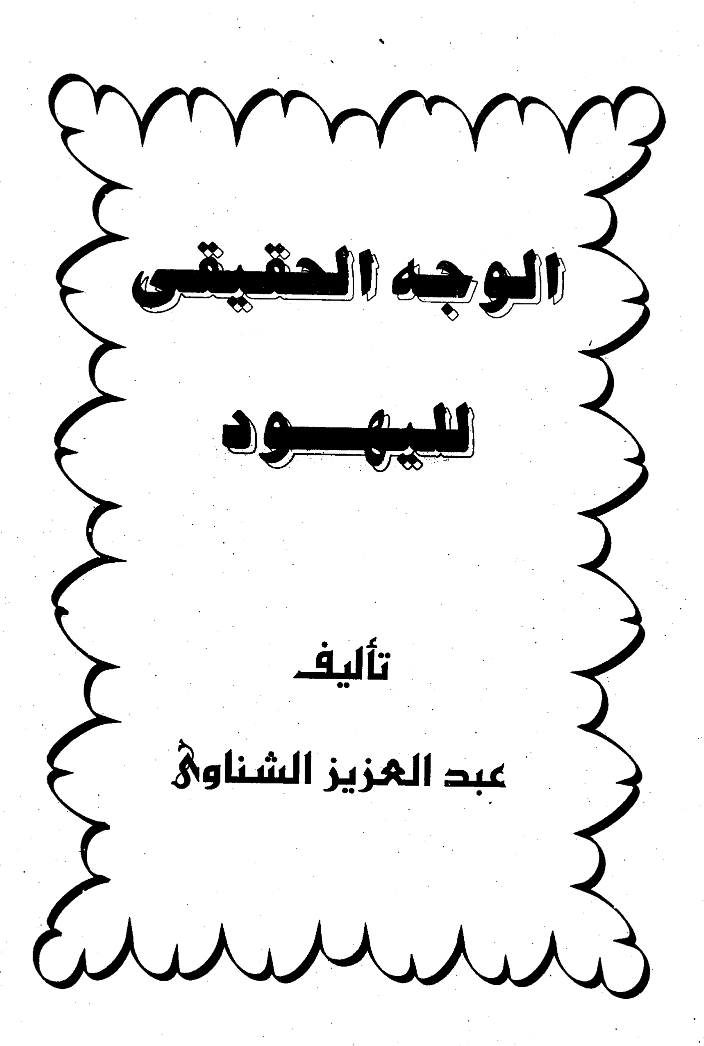


الوجه الحقيقى

لليهـــود

تأليف

عبد العزيز الشناوى

مكتبة الإيمان بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

وبعـد ،

فقد تكفل الله سبحانه ببيان الوجه الحقيقى لليهود حتى يكون المسلمون على بصيرة بهم ، وألا ينخدعوا بوعودهم وعهودهم وزخرف قولهم!

فأخبرنا رب العزة بأن اليهود هم أشد الناس عداوة للمؤمنين: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ ﴾ .

وأخبرنـا سبحانـه أنهـم قتلـوا بعـض أنبيائهـم لأنهـم علـى غيـر مرادهـم وأهوائهم: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧] وإذا كان هذا هو فعالهم مع أنبيائهم ، فماذا هم فاعلون مع ألد أعدائهم؟

وأخبرنا سبحانه بأنهم يتلاعبون بالألفاظ حتى يغيروا معانيها: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾[البقرة: ٥٨ - ٥٩] . وذلك عندما قالوا حنطة بدلاً من قولهم حطة فغيروا معنى الكلمة وأضاعوا مدلولها وهذا التبديل قد وقع منه الكثير فى توراتهم .

وأخبر الله سبحانه عنهم أنهم ينقضون العهود ويغدرون بمن عاهدوهم ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٥ - ٥٦] .

وأخبر الله سبحانه عنهم أنهم يتطاولون على الله تعالى وينسبون إليه صفات النقص: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١] .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأخبر سبحانه وتعالى عنهم أنهم يثيرون الفتن ويشعلون الحروب دائماً وأبداً: ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأخبر سبحانه وتعالى عنهم أنهم أهل مكر وكيد: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وأخبر سبحانه وتعالى عنهم أنهم يعملون على نشر الرذيلة ومحاربة الفضيلة: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

هذا هو موجز الوجه الحقيقى لليهود، وأما تفصيل هذا الموجز فسوف تقف عليه - أخى المسلم - بين ثنايا هذا الكتاب.

والله أسأل التوفيق والسداد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

****

بنو إسرائيل ... العبرانيون ... اليهود

القرآن كلام الله ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [سورة النساء الآية : ١٢٢].

ولقد تناول كتاب الله ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [سورة فصلت الآية : ٤١ ، ٤٢] ، أصل بنى إسرائيل وصفاتهم وسلوكهم وكيف فضلهم العليم الخبير لما أقاموا التوراة والإنجيل ثم ردهم أسفل سافلين لما بدلوا واشتروا بآياته ثمنا قليلا وقتلوا أنبياءهم ولعنهم وجعل منهم القردة والخنازير و . . .

كل ذلك فى نحو ثلث القرآن ، كما أوضح القرآن كثيرا مما اختلف فيه اليهود ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة النمل الآية : ٧٦].

نسب اليهود :

يرجع نسب اليهود إلى نبى الله يعقوب عليه السلام - كان اسمه إسرائيل - ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٩٣].

واشتقاق كلمة اليهود من قولهم: ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٥٦].

أى تبنا .

والهود : التوبة .

هاد : رجع .

ولزمها هذا الاسم من قول موسى عليه السلام : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ أى رجعنا وتضرعنا وانتحلها اليهود المتمسكون بشريعة كليم الله ، وهم أعم من بنى إسرائيل .

لأنه ليس كل يهودى إسرائيلى ؛ لأن كل إسرائيلى فى حقيقته هو الذى يعود إلى نبى الله يعقوب عليه السلام .

وكثير من أجناس العرب والروم وغيرهم قد دخلوا فى اليهودية وليسوا من بنى إسرائيل كما أن هناك كثيرا من الإسرائيليين دانوا بغير اليهودية كالإسلام والمسيحية .

وعلى ذلك فإنه ليس كل يهودى إسرائيلى وليس كل إسرائيلى يهودى .

لقد كان لإبراهيم عليه السلام عدة أبناء كانوا آباء لأمم كثيرة فى بلاد شتى ، أخصهم إسماعيل وإسحاق عليهما السلام ، أما إسماعيل عليه السلام فإنه سكن بلاد العرب وكان من عقبه العرب المستعربة .

أما إسحاق عليه السلام فإنه أقام مع أبيه خليل الرحمن حتى مات ، فكان الجد الثانى للعبرانيين - الذين عبروا دجلة والفرات - وخلف إسحاق ولدين : عيسو - العيص - ويعقوب وحل يعقوب محل أبيه ولقب بإسرائيل وإليه ينسب الإسرائيليون كافة .

ومنهم اليهود الذين استوطنوا يثرب وغيرها من جزيرة العرب .

اليهـــود :

هى الأمة المشهورة فى تاريخ العالم ببنى إسرائيل ، رحلوا تحت قيادة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد .

كيف دخل اليهود مصر وتكاثروا فيها ؟

دخل بنو إسرائيل مصر مع نبى الله يعقوب عليه السلام ، عندما بعث إليه ابنه يوسف عليه السلام عزيز مصر ، فدخلوا مصر آمنين - باعتبارهم أخوة يوسف عليه السلام - وتكاثروا فيها أربعة قرون .

فرعون يضطهد بنى إسرائيل :

لما أرسل يوسف عليه السلام إلى أبيه إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وأهل بيته ، وفد بنو إسرائيل إلى مصر ونزلوا بها ، وراحوا يتغلغلون فى ربوع مصر ، فاستولوا على منابع ثرواتها .

وما مضت ثلاثمائة سنة حتى امتلأت مصر ببنى إسرائيل ، وأصبحت الثروات فى أيديهم ، فلما رأى فرعون مصر أن بنى إسرائيل صاروا سادتها ، فالأرض أصبحت ملك يمينهم ، والصناعات تحت سيطرتهم ، والأموال تتسرب من جيوب قبط مصر إلى جيوبهم وخزائنهم ، أوجس فرعون مصر خيفة من اشتداد شوكتهم وقبضتهم ، إنهم

غرباء عن البلاد ، ولو نشبت حرب بين فرعون وبين أعدائه لم لا ينضم بنو إسرائيل إليهم ؟ لو انتظر فرعون قليلا ربما سلبوا مقاليد الحكم والسلطان من يده . . فلماذا ينتظر؟ .

فكر فرعون مصر ورأى أن أفضل السبل لكسر شوكة بنى إسرائيل هو أن يجردهم من أموالهم التى هى أعز عليهم من أرواحهم وأبنائهم وأن يسومهم سوء العذاب ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة القصص الآية : ٤] .

وبغى فرعون واستعبد بنى إسرائيل .

وجاء نبى الله موسى عليه السلام وطلب من فرعون أن يخرج ببنى إسرائيل من مصر ، فكانت هزيمة سحرة فرعون وإسلامهم وخروج موسى عليه السلام باليهود إلى الشام .

كيف دخل اليهود يثرب ؟

جاء اليهود إلى يثرب فى فترات متباعدة جدا ترجع إلى سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد وذلك فى أواخر أيام كليم الله موسى وفى أوائل عهد نبى الله يوشع بن نون عليه السلام .

ثم هاجرت مجموعة كبيرة من اليهود إلى يثرب بعد خراب هيكلهم - هيكل سليمان عليه السلام - فى عام ٧٠م وتنكيل هدريان باليهود فى عام ١٣٢ م .

إن نبى الله موسى عليه السلام عند عودته من مصر باليهود إلى الشام بلغه أن قوما جبارين من العمالقة فى منطقة المدينة قد بغوا فى الأرض وساموا الناس سوء العذاب ، فجرد عليهم حملة عسكرية من اليهود فاستأصل شأفة هؤلاء العماليق الجبابرة - كانوا من بنى هف وبنى سعد وبنى الأزرق وبنى مطروق ، وكان ملك الحجاز منهم رجل يقال له الأرقم ينزل بين تيماء إلى فدك - ولم يبق منهم إلا شابا واحدا هو ابن الأرقم اصطحبوه معهم ليرى فيه كليم الله رأيه ، ولكن لما رجع هذا الجيش إلى الشام وجد موسى عليه السلام قد مات ، فقال زعماء بنى إسرائيل :

- هذه معصية عصى بها نبى الله موسى .

ومنعوا الجيش من البقاء بينهم فى الشام وقالوا :

- والله لا تدخلون علينا الشام أبدا .

فتشاور قادة الجيش فيما بينهم واستقر رأيهم أن يعودوا بكامل جيشهم إلى المدينة ومعهم ابن الأرقم وقالوا :

- كان خير الناس منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز ، نرجع إليهم فنقيم فى أرضهم .

فرجعوا وانتشروا فى نواحى المدينة كلها فاتخذوا بها الأطام والأموال والمزارع .

فكان أفراد هذا الجيش أول من سكن المدينة من اليهود .

الفترة الثانية التى نزح فيها اليهود إلى يثرب :

لما استولى الروم على بلاد الشام فى الفترة الواقعة ما بين سنة ٧٠- ١٣٢ م وفتكوا باليهود ونكلوا بهم اضطر هؤلاء اليهود إلى الفرار بأنفسهم وتفرقوا فى أنحاء آمنة بعيدة عن مجالات الروم ومن هؤلاء اليهود :

يهود بنى قريظة .

يهود بنى النضير .

يهود بنى بهدل .

فروا من وجه الرومان إلى الجنوب فى اتجاه يثرب فنزلوا الغابة - موضع يقع شمال يثرب على بعد عدة أميال منها - فوجدوها وبيئة فكرهوا الإقامة بها فبعثوا رائدا منهم يلتمس لهم مكانا صالحا للسكنى نقى الهواء طيب التربة ، فخرج باحثا عن ذلك حتى قاده البحث والاستكشاف إلى منطقة العالية وهى بطحان ومهزور - ذات أرض طيبة بها مياه عذبة تنبت حر الشجر .

فرجع إلى قومه بالغابة وأخبرهم فنزل بنو النضير ومن معهم على بطحان ونزلت بنو قريظة وبنو بهدل ومن معهم على مهزور .

قبائل اليهود فى يثرب :

أصبح لليهود قبائل وبطونا مختلفة الأسماء بلغت فى يثرب اثنتى عشرة قبيلة هى :

بنو عكرمة . بنو ثعلبة . بنو محمر . بنو قينقاع . بنو زيد .

بنو النضير . بنو قريظة . بنو بهدل . بنو عوف . بنو الفصيص .

بنو زاعوراء . بنو مرانة .

وكل هذه الأسماء عربية صرفت ماعدا زاعوراء .

العنصرية بين اليهود :

عرف بنىُ قريظة وبنى النضير بين اليهود بالكاهنين نسبوا بذلك إلى جدهم الذى يقال له الكاهن وهو الكاهن بن هارون بن عمران ، فهم على ذلك من أصل رفيع ومن نسب حسيب يميزهم عن بقية طوائف اليهود ، ولهذا كانوا يفتخرون بنسبهم هذا ويرون أن لهم السيادة والشرف على من سواهم من إخوانهم فى الدين .

الوجود اليهودى فى يثرب :

وينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : ما قبل الإسلام .

مر على اليهود فى الجاهلية عهدان :

أ- عهد السيطرة والتحكم المطلق فى منطقة يثرب .

ويبدأ هذا العهد ببداية نزول العنصر اليهودى أرض يثرب وقد استمر هذا العهد أكثر من ألف سنة .

ب - عهد الانكسار والهزيمة .

ويبدأ هذا العهد بهجرة الأوس والخزرج من مأرب باليمين إلى يثرب فى أوائل القرن الأول للميلاد .

نسب الأوس والخزرج :

الأوس والخزرج اسما رجلين وهما جدا الأنصار ، وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو - مزيقاء - بن عامر - الملقب بماء السماء - بن حارثة - الغطريف - بن امرئ القيس - البطريق - بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان -

أخو حمير - بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

كان موطن الأوس والخزرج بلاد اليمن فهاجروا إلى يثرب - بالحجاز - فصارت لهم موطناً ، وقد دارت معارك طاحنة بين القبيلتين فى يثرب كان آخرها حرب بعاث - قبل هجرة النبى الخاتم ﷺ - ولما هاجر المبعوث رحمة للعالمين ﷺ إلى يثرب ألف الله ﷻ بين قلوب القبيلتين فانطفأت وخمدت نار العداوة والبغضاء بينهما .

الأوس والخزرج فى يثرب :

عندما تهدم سد مأرب انتاب مملكة مأرب الضعف وتفرق أهلها - وهم من الأزد من أبناء كهلان بن سبأ - فى الأرض .

ذهب الغساسنة منهم إلى الشام فصاروا ملوكها :

ونزل اللخميون منهم العراق فدانت لهم أيضا فصار منهم ملوك الحيرة وهم المناذرة المشهورون فى التاريخ .

كما اتجه الأوس والخزرج منهم إلى يثرب فنزلوها فكان نزولهم إيذانا بزوال سلطان اليهود فى المنطقة ، فقد عمل هؤلاء اليمانيون- منذ نزولهم أرض يثرب - على مضايقة اليهود بغية مشاركتهم فى سلطان المدينة وثرواتها الكبيرة .

ولكن الأوس والخزرج ظلوا عاجزين أمام سطوة اليهود وتماسكهم فبقى الأوس والخزرج فى فقر مدقع لا حول لهم ولا طول وكان إخوانهم من العرب - سكان المدينة الأصليين قبلهم - أضعف منهم - لذا قنع الأوس والخزرج بما حصلوا عليه من أرض جدباء لا تنبت إلا القليل من الزرع ، فعاشوا فى ضيق من العيش ، وبقى اليهود يتمتعون بسلطان الملك - الفطيون - والثروة كلها فى أيديهم .

وظل الحال على هذا الحال ردحا من الزمن .

الفطيون :

وكان لمالك بن العجلان اليمانى فضل كبير - قبل الإسلام - فى كسر شوكة اليهود فى يثرب وجعلهم تبعا لليمانيين الذين سماهم الله ﷻ فيما بعد - الأنصار - وذلك بعد أن كان هؤلاء اليهود الدخلاء ذوى سطوة وجبروت وطغيان فى منطقة يثرب وخاصة

ملكهم الفطيون - كلمة عبرانية تطلق على كل من ولى أمر اليهود وملكهم - الذى أجبر سكان يثرب من اليهود وغيرهم على أن لا تزف عروس إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفتضها ثم ترسل لزوجها .

وظل الفطيون يمارس هذا العمل الفظيع ردحا من الزمن .

ولما نزل الأوس والخزرج يثرب بعد انهدام سد مأرب أراد طاغية اليهود الفطيون أن يسير فيهم بتلك السيرة المهينة .

إذ تزوجت أخت مالك بن العجلان اليمانى رجلا من بنى سليم فى يثرب فأرسل الفطيون كالعادة قبل أن تزف إلى زوجها ، وكان مالك أخوها غائبا ، فخرجت هاربة من العار تطلبه ، فمرت بقوم فيهم أخوها مالك بن العجلان فنادته .

فقال مالك بن العجلان لأخته :

- لقد جئت بسبة الدهر يا هتناه ، تنادينى ولا تستحى ؟

فقالت أخت مالك :

- الذى يراد بى أكبر .

ثم أخبرته بأن الفطيون طلبها قبل أن تدخل على زوجها

فثارت حمية مالك بن العجلان وقال لأخته :

- أنا أكفيك ذلك .

فتساءلت أخت مالك :

- كيف .

قال مالك بن العجلان :

- أتزين بزى النساء وأدخل معك عليه - أى الفطيون طاغية اليهود - متنكرا مع النساء فأقتله .

فلما أمسى مالك بن العجلان اشتمل على السيف ودخل على الفطيون متنكرا مع النساء ، فلما خف من عنده وثب عليه فقتله .

وأخذ مالك بن العجلان أخته وانصرف إلى دار قومه بعد أن مسح عن سكان يثرب أشنع عار كانوا يوصمون به .

أول إخضاع لليهود على أيدى العرب :

ثارت ثائرة اليهود لقتل ملكهم الفطيون وأرادوا أن يوقعوا بالعرب ، إلا أن مالك ابن العجلان أحد زعماء الأوس والخزرج توجه فى وفد من قومه إلى من بالشام من قومهم - الغساسنة - وهناك دخل على ملك الغساسنة أبى جبيلة وشكى له طغيان اليهود الدخلاء وغلبتهم على عرب يثرب وسوء حال قومه واستئثار اليهود بثروات يثرب وإنهم يخشون أن يطردهم اليهود من ديارهم وخاصة بعد مصرع ملكهم الفطيون ، ثم طلب النجدة والعون العسكرى لإخضاع هؤلاء اليهود .

فلبى ملك الغساسنة أبو جبيلة طلب مالك بن العجلان وتوجه بنفسه إلى يثرب على رأس جيش لجى عظيم لنجدة أبناء عمومته .

أوقع أبو جبيلة باليهود وأحدث فيهم مقتلة عظيمة أبيد فيها أكثر قادة وزعماء اليهود فعزت الأوس والخزرج بعد ذلك فكان ذلك أول إخضاع لليهود على أيدى العرب وصاروا ندا لليهود يصاولونهم ويجاولونهم بعد أن كانوا لا يجرأون على التعرض لهم .

ورجع أبو جبيلة إلى الشام .

الحلف :

بقى اليهود على جانب كبير من القوة والتماسك يصاولون اليمانيين ويجاولونهم فدامت الحروب والمناوشات بين الفريقين زمنا غير قصير إلى أن دبر مالك بن العجلان زعيم الأوس والخزرج مكيدة أفنى فيها مجموعة كبيرة من زعماء اليهود ، وفتك الأوس والخزرج باليهود فتكا ذريعا .

وبهذا خضد - خضد الشجرة : قطع شوكه - اليمانيون - الأوس والخزرج - شوكة اليهود فذلوا وانهدم سلطانهم فخافوا العرب خوفا شديدا ولم يستطيعوا الوقوف على أقدامهم فى المدينة إلا بعد أن قبلوا الاندماج فى قبيلتى الأوس والخزرج بالحلف ، حيث لجأ كل فريق من اليهود إلى قبيلة من قبائل الأوس والخزرج يتعزز ويمتنع بهم .

فصار بنو قريظة وبنو النضر ومن تبعهم حلفاء الأوس .

وبنو قينقاع ومن تبعهم حلفاء الخزرج .

فإذا نشبت حرب قبلية بين الأوس والخزرج ، كان بنو قريظة والنضير ومن تبعهم فى صفوف الأوس ، وبنو قينقاع ومن تبعهم فى صفوف الخزرج .

الحرب الأهلية بين اليهود :

لم تنقطع الحرب بين اليهود فى يثرب ، فقد كان بنو قينقاع من أشجع يهود يثرب على خلاف دائم مع يهود بنى قريظة وبنى النضير .

وكان يهود بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع يسكنون ضواحى يثرب ، فدارت معارك عديدة بين يهود بنى قينقاع وبنى قريظة فألحق فيها بنو قريظة والنضير ببنى قينقاع خسائر فادحة اضطروا على أثرها إلى الالتجاء إلى داخل يثرب فأقاموا وسط حى من أحيائها .

حال اليهود بعد فقد السلطان :

بالرغم من الضربة الموجعة التى أنزلها الأوس والخزرج باليهود - قبل الإسلام - والتى انهدم على أثرها سلطانهم السياسى وتحطمت قوتهم العسكرية فى يثرب ، فإنهم ظلوا فى حالة تماسك فى ظل وحدة عنصرية محورها الديانة اليهودية .

وفى ظل الارتباطات القبلية والحلف التى ربطوا أنفسهم بها مع رؤساء القبائل القوية المحاربة قد وسعوا من نفوذهم الاقتصادى بين قبائل العرب ، ووجهوا نشاطهم إلى تضخم ثرواتهم عن طريق التعامل بالربا الفاحش ، والإتجار فى مختلف السلع ، فاشتهروا بصناعة الخمر وبيعه وجلبه أحيانا من بلاد الشام .

مركز اليهود المالى :

كان الأعراب يقصدون اليهود دائما فيبتاعون منهم ما يحتاجون ويقترضون منهم بالربا ، وقد اتسعت ثروات اليهود حتى صاروا ملوك المال ، وعن طريق سلطان المال والثروة استعادوا شيئا من نفوذهم الذى فقدوه ، فصاروا بمالهم من تأثير اقتصادى يثيرون الفتن والحروب بين القبائل الوثنية وخاصة فى منطقة يثرب حتى لا تتم أى وحدة

بين هذه القبائل لأن ذلك يهدد الكيان اليهودى بالخطر .

وظل اليهود يوسعون من نفوذهم الاقتصادى ويشترون زعماء القبائل العربية الوثنية بالمال . وكانوا يحاولون بشتى الوسائل استعادة سلطانهم السياسى والعسكرى الذى فقدوه على يد الأوس والخزرج ، فصاروا يستغلون المشاحنات القبلية وخاصة بين الأوس والخزرج فيشعلون نيرانها بغية إنهاء قوة هاتين القبيلتين ليسهل على هؤلاء اليهود استعادة سلطانهم ، إلا أنهم لم يحققوا أهدافهم .

بل ظلوا - حتى ظهور الإسلام - حلفاء وتابعين للأوس والخزرج .

وبقى اليهود فى يثرب بالرغم من هزيمتهم العسكرية وانهدام سلطانهم على أيدى أوس اليمن وخزرجها عنصرا قويا من عناصر يثرب وخاصة فى المجال المالى والاقتصادى حيث كانوا يشكلون أقوى عنصر فى هذه الناحية حتى ظهور الإسلام .

فقد كان هؤلاء اليهود يعتمدون فى تنمية ثرواتهم وتوطيد نفوذهم على إعطاء القروض الربوية - الربا من مميزات اليهود - التى كانت تدر عليهم أرباحا طائلة .

كما أن اليهود كانوا يقومون ببعض الصناعات المربحة كالصياغة - صناعة الحلى من ذهب وفضة - والنسيج والحدادة التى كان العرب يأنفون منها ويعتبرونها من المهن الحقيرة ، كما كان اليهود يقومون بالإتجار بالبر والشعير والتمر والخمر فاحتكروا ثروات يثرب وتحكموا فيها اقتصادياً فلا ينكر أحد نفوذ المال وسلطانه القاهر .

اليهود فى خيبر :

يرجع وجود اليهود الدخيل فى خيبر بعد وفاة كليم الله موسى عليه السلام حيث استوطن اليهود خيبر منذ حوالى ١٢٠٠ سنة قبل الميلاد .

واختلف فى أصل اليهود الذين استوطنوا خيبر فقيل إنهم ليسوا من بنى إسرائيل وإنما هم من أبناء العرب الذين دانوا باليهودية .

وقيل أن صلة بنى إسرائيل بخيبر ويثرب كلها كانت فى عهد نبى الله الملك داود - أى بعد موسى عليه السلام وقبل عيسى ابن مريم عليه السلام .

وذكر بعض المؤرخين أن سبب نزول اليهود خيبر والحجاز هو أن بعض أحبار

وعلماء اليهود كانوا يجدون صفة النبى الخاتم ﷺ فى التوراة وأنه يهاجر إلى بلد فيه نخل بين حرتين فأقبلوا من الشام يطلبون الصفة ، فلما رأوا تيماء وفيها النخل نزلها طائفة منهم ، وظن طائفة أنها خيبر فنزلوها ومضى أشرافهم وأكثرهم إلى يثرب فنزلوها واستوطنوها .

والمتفق عليه أن اليهود لجأوا إلى الحجاز - خيبر من الحجاز - فى فترتين رئيستين :

الأولى سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد بعد وفاة نبى الله موسى عليه السلام .

والثانية بعد الميلاد عقب استيلاء الروم على فلسطين وتخريب الهيكل عام ٧٠ م وعقب تنكيل هيدريان بالعبرانيين عام ١٢٢ م .

وقد اشار سفر صموئيل الأول من التوراة إلى أن اليهود سكنوا يثرب وأعلى الحجاز - خيبر من أعالى الحجاز - منذ العهد الذى أرسل فيه موسى عليه السلام ذلك الجيش لإبادة العمالقة فى منطقة يثرب وخيبر وكل أعالى الحجاز .

اليهود عنصر دخيل فى الجزيرة العربية :

سواء استوطن اليهود خيبر وباقى المناطق قبل الميلاد أو بعده فإن المجمع عليه بين جميع المؤرخين - إسلاميين وأجانب - أن اليهود هم أجانب دخلاء مستعمرون لا تربطهم بأى من سكان هذه المناطق فى جزيرة العرب أية رابطة من لغة أو دين أو دم ، وإنما هم غزاة أو لاجئون سيطروا على خيبر ويثرب وباقى المناطق فى غفلة من الزمن وفى وقت كان العرب الوثنيون فيه تمزقهم روح الجاهلية القبلية الضيقة التى ساهم وجودها وتحكمها فى المجتمع العربى فى التمكين لهؤلاء اليهود الدخلاء فى هذه المناطق من جزيرة العرب فزادوا المجتمعات العربية فسادا على فساد كما هى طبيعة العنصر اليهودى الذى لا يعيش ولا يكون له نفوذ فى أرض إلا إذا أشاع فيها الفساد وبذر بذور الشحناء وأشعل نيران التفرقة والتباغض والتخاصم بين أهلها .

اليهود فى الشمال :

تمركز اليهود فى نقاط محددة فى الشمال الممتد من وادى القرى حتى مقاطعة تيماء فى أقصى الشمال .

والمنطقتان اللتان اشتهرتا بتمركز اليهود فيهما هما وادى القرى وتيماء وهما بقعتان خصبتان بهما العيون والمياه .

يهود تيماء :

تقع تيماء فى أقصى الشمال الغربى من جزيرة العرب فقد كانت من المواقع القديمة التى حل بها اليهود قبل الإسلام ، وقد كان ذكر اليهود خاملا قبل الإسلام وبعده ولم تشتهر تيماء إلا بسبب الشاعر اليهودى السموأل بن عاديا صاحب الحصن المشهور والذى ردد الإخباريون ذكره فى تاريخ ما قبل الإسلام ونسبوا إليه الشعر الجزل والوفاء بالعهد إلى درجة أنه ضحى معها بأحد أبنائه مقابل وفائه لامرئ القيس الكندى أبى أن يخفر ذمته ولولا هذا الشاعر اليهودى - السموأل - لما احتفظ التاريخ ليهود تيماء قبل الإسلام بشىء يذكر .

نقاط أخرى من الشمال :

هناك جاليات يهودية صغيرة مبعثرة فى الشمال الغربى فى تبوك ومقنا وأيلة - مدينة على ساحل بحر القلزم ، قيل هى آخر الحجاز وأول الشام وهى مدينة اليهود الذين اعتدوا فى السبت وتسمى اليوم إيلات وغيرها على ساحل البحر الأحمر- .

اليهود فى الطائف والبحرين :

كانت هناك جاليات يهودية فى الطائف والبحرين عند ظهور الإسلام جاءوا مطرودين من يثرب واليمن فأقاموا بها للتجارة .

اليهود فى اليمن :

كانت اليهودية فى اليمن أقوى من أى مكان آخر فى جزيرة العرب من حيث الانتشار وقوة السلطان إذ أصبحت فى عهد من العهود دين الدولة الرسمى وذلك فى عهد بعض ملوك الحميريين ومع أن المؤرخين مجمعون على وجود اليهودية فى اليمن قبل الإسلام إلا أن أحدًا منهم لم يذكر بصفة قاطعة متى اعتنق أهل اليمن الدين اليهودى وفى أى تاريخ على وجه التحديد؟ غير أن الإخباريين الإسلاميين مجمعون على أن أول اتصال لليهودية باليمن هو فى عهد تبان أسعد أبى كرب تبع اليمن الثالث الذى اعتنق اليهودية فى يثرب ثم حملها إلى اليمن ودعا شعبه إليها فدانوا بها دونما إكراه .

ويزعم ثيو دور لكتور - مؤرخ غربى - أن اليمن قد عرفت اليهودية منذ أقدم العصور وفى عهد نبى الله سليمان عليه السلام فى النصف الأول للقرن السادس للميلاد .

وقال ثيودورلكتور :

إن الحميريين كانوا فى بادئ أمرهم على دين يهود ، دخلوا فيه أيام ملكة سبأ - بلقيس بنت الهدهاد - المعروفة بقصتها مع سليمان بن داود عليهما السلام .

وإذا صح قول هذا المؤرخ فإن أهل اليمن يكونون قد دانوا جميعهم بدين الله الحق لا دين اليهودية المحرف ؛ لأن بلقيس بنت الهدهاد إنما آمنت على يد سليمان عليه السلام وهو نبى ودينه فى الحقيقة - فى جوهره - الإسلام بدليل قوله تعالى فى حق ملكة سبأ المؤمنة ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . [سورة النمل الآية : ٤٤] .

كيف دخلت اليهودية اليمن ؟ :

يمكن تقسيم الوجود اليهودى فى اليمن قبل الإسلام إلى عهدين :

١- عهد السيطرة والسلطان .

٢- عهد الإنكسار والتشريد .

أما عهد السيطرة والسلطان فيبدأ باعتناق تبع اليمن الثالث - كان وثنيا - لليهودية فى يثرب .

كيف اعتنق تبع الثالث الديانة اليهودية ؟

جاء تبان أسعد أبى كرب الملك الحميرى إلى يثرب يريد إهلاك أهلها من العرب لثأر له عندهم ، فلما سمع حبران من أحبار بنى قريظة بذلك جاءا إلى الملك تبع فنصحاه بأن لا يفعل ما اعتزم من إهلاك أهل المدينة قائلين :

- أيها الملك : لا تفعل ، فإنك إن أبيت إلا ما تريد ، حيل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة .

فقال تبع الثالث :

- ولم ذلك ؟

قال الحبران :

- هى مهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان تكون داره وقراره فتناهى عن ذلك ورأى أن لهما علما ، واعجبه ما سمع من هذين الحبرين وانصرف تبان أسعد أبى كرب عن يثرب بعد أن اتبع الحبرين على دينهما .

ولما بلغ أهل اليمن دخول ملكهم فى الديانة اليهودية استاؤوا لذلك أشد الاستياء ، فلما دنا الملك تبع الثالث من اليمن وأراد أن يدخلها حالت قبائل حمير بينه وبين ذلك وقالوا :

- لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا .

فأبلغهم بأن دينه الجديد - اليهودية - خير من الوثنية التى هم عليها وبعد مناقشات ومجادلات بين الملك تبع الثالث وزعماء شعبه أقنعهم بوجهة نظره يسانده فى ذلك الحبران اليهوديان اللذان اصطحبهما معه من يثرب إلى اليمن .

فدخل أهل اليمن جميعا فى اليهودية وصارت منذ ذلك اليوم الدين الرسمى لأهل اليمن .

انحسار اليهودية فى اليمن :

بدأ انحسار اليهودية فى اليمن وتشريد أتباعها بانتهاء ملك تبع اليمن الخامس - ذو نواس - وآخر ملوك حمير وهو صاحب قصة الأخدود المذكورة فى القرآن ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ [سورة البروج الآية : ٤] .

بلغ تبع الخامس - ذو نواس - أن بنجران قوما من النصارى فسار إليهم بجنوده ، ثم دعاهم إلى اليهودية وترك دين عيسى ابن مريم عليه السلام ، وخيرهم بين الدخول فى اليهودية أو القتل ، فاختاروا القتل عن مفارقة دين عيسى عليه السلام ، فاشتد غضبه فأمر بخد الأخدود لهم ثم ملأها بالنيران وأخذ يقذف بهم فى نيران الأخدود ، فقتل منهم بشرا كثيرا بلغوا نحو عشرين ألفا .

وقد أشار القرآن العظيم إلى هذه الحادثة الفظيعة التى ارتكبها ذو نواس ﴿ قُتِلَ

أَصْحَابُ الأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سورة البروج الآية : ٤ - ٨] .

بداية نهاية اليهودية فى اليمن :

عندما بلغ ملك الحبش ما حدث بإخوانه فى النصرانية على يد ذى النواس ملك الحميريين المتهود جهز جيشا كبيرا بلغ عدده سبعين ألف مقاتل من الأحباش - بإشارة من قيصر الروم - ولما التقى الجيشان انهزم ذو نواس وانتصر الأحباش واستولوا على اليمن فكانت بداية نهاية اليهودية فى اليمن حيث نكل بهم الأحباش تنكيلا شديدا فانخضدت شوكتهم وتقلص ظل اليهودية من اليمن فهاجر أكثرهم منها ، ولم يبق منهم فى اليمن إلا الذليل المستضعف الذى لجا من القتل .

وبالرغم من التنكيل الشديد والقتل الذريع الذى نزل بيهود اليمن قبل الإسلام وبعد احتلال الأحباش لها فقد بقيت جاليات يهودية - يهود اليمن ليسوا إسرائيلى الجنس وإنما هم من العرب - ظلت تقطن اليمن عدة قرون حتى ظهور الإسلام .

اليهود فى مكة :

كان اليهود موجودين فى مكة قبل الإسلام ولكن بعدد قليل لم يجعل لهم دورا فى أم القرى ولاسيما أن قريشا كانت صاحبة السلطة المطلقة وكانت معارضتها للإسلام عند ظهوره فى غاية الضراوة والعنف .

أثر اليهودية فى العرب :

على الرغم من مرور أكثر من سبعة عشر قرنا على وجود اليهودية فى جزيرة العرب - قبل الإسلام - لم يكن للديانة اليهودية أى أثر ذى بال بين الأعراب الوثنين الذين عايشوا اليهود طيلة تلك القرون الطويلة وخاصة فى منطقة يثرب وخيبر ومناطق الشمال الأخرى التى كانت مركز النقل ومناطق التجمع الرئيسية لليهود الإسرائيليين الدخلاء حتى ظهور الإسلام فلم يذكر التاريخ أن هناك فى خيبر أو يثرب أو الشمال قبيلة أو حتى عائلة عربية واحدة اتخذت من اليهود دينا لها .

وظل الأعراب فى جميع أنحاء الجزيرة العربية على وثنيتهم حتى جاء الإسلام

فدخلوا فيه جميعا أما الذين دانوا باليهودية من الأعراب قليلون جدا بحيث لا يزيدون على اثنين فى المائة من مجموع أعراب يثرب وخيبر والمناطق الشمالية التى كانوا مستقرين بها فقد كان كهان يهود وأحبارهم لا يقومون بنشر اليهودية بين الأعراب الوثنين طيلة تلك القرون الطويلة كما يفعل القسيسون من النصارى حيث كانوا - قبل الإسلام - ينتقلون بين الأعراب لنشر النصرانية كما حدث فى منطقة نجران المكان الرئيسى للنصرانية فى جزيرة العرب - قبل الإسلام .

أثر اليهودية فى اليمن :

إذا كان هناك أمة أو قبيلة عربية قد دانت باليهودية كالحميريين فى اليمن فإن ذلك ليس مرده إلى نشاط أحبار اليهود الواسع فى مجال الدعاية لنشر اليهودية فإن اليهود يفضلون السعى وراء الدينار والدرهم عن دعوة أحد إلى اليهودية ، كما يظن اليهود أن اليهودية خير الأديان فلا يريدون غير اليهود أن ينالوا هذا الخير .

وكان سبب انتشار اليهودية فى اليمن هو اعتناق تبع الثالث اليهودية وهذه حادثة فردية ليس لها مثيل فى تاريخ انتشار اليهودية وخاصة بعد التحريف والتبديل الذى طرأ على التوراة على أيدى بعض الأحبار فى عهد الانحراف .

يهود الجزيرة العربية فى نظر غيرهم من اليهود :

كانت نظرة اليهود إلى يهود الجزيرة العربية كفئة منحرفة ضالة فقد كان يهود الجزيرة العربية فى معزل عن بقية أبناء دينهم وانفصال ، وأن يهودًا يرون أن يهود الجزيرة العربية لم يكونوا مثلهم فى العقيدة بل رأوا أنهم ليسوا يهود لأنهم لم يحافظوا على الشرائع الموسوية ولم يخضعوا لأحكام التلمود ، ولهذا لم يرد عن يهود جزيرة العرب شىء من أخبار المؤلفين العبرانيين .

العرب والثقافة اليهودية :

لم يتأثر العرب بالثقافة اليهودية فى المناطق التى سيطر عليها اليهود من الجزيرة العربية بالرغم من أنهم كانوا يسيطرون على بعض هذه المناطق كيثرب وخيبر والشمال سيطرة تامة عدة قرون طويلة ، بل إن الذى حدث هو العكس وهو أن اليهود هم الذين تأثروا بالثقافة العربية وتخلوا على مر العصور عن كثير من خصائصهم الانفرادية التى

يمتازون بها ويحملون أنفسهم على المحافظة عليها محافظة شديدة فى أى زمن أو فى أى مكان كانوا فقد صهرتهم الثقافة العربية بدلا من أن تصهر ثقافتهم العرب وخاصة فى مجال الشعر والأدب واللغة ، وحتى الأسماء . . أسماء البطون والقبائل والأفراد لم يقو اليهود على الاحتفاظ بطابعها العبرانى الإسرائيلى كما هى طبيعتهم فى أى بلد أجنبى يسكنونه حتى الآن ، فأكثر أسماء الأفراد والبطون والقبائل اليهودية فى جزيرة العرب وخاصة فى يثرب وخيبر والشمال هى أسماء عربية صرفة ، إذ لم يبق بين الفخائذ اليهودية فى جزيرة العرب فخيذة واحدة يحمل اسمها الطابع الإسرائيلى ماعدا اسم واحد هو اسم زاعوراء فى يثرب - كما تقدم عند ذكر أسماء القبائل اليهودية فى يثرب - حتى أسماء اليهود وزعمائهم لم تستطع الاحتفاظ بملامحها العبرانية فكل أسماء هؤلاء الأحبار والزعماء تحمل الطابع العربى الصرف مثل : كعب بن أسد ، وحيى بن أخطب ، وكنانة بن الربيع ، وسلام بن مشكم ، وسلام بن أبى الحقيق ، وعبد الله بن صيفى ، وعدى بن زيد ، والحرث بن عوف ، والزبير بن باطا .

فكل هؤلاء يهود إسرائيليون لم يذكر أحد المؤرخين أنهم عرب تهودوا ، ولو كانوا كذلك لأوضحه المؤرخون كما فعلوا عند ما أكدوا عروبة كعب بن الأشرف اليهودى وأنه من قبيلة طى العربية .

وهذا يعنى بالتأكيد أن اليهود الإسرائيليين هم الذين تأثروا بالثقافة العربية ، حيث طغت هذه الثقافة فى جميع المجالات على الثقافة اليهودية حتى اللغة العربية صارت بالنسبة لهؤلاء اليهود هى اللغة الرئيسية فى التخاطب بينهم وبين العرب ، أما اللغة العبرانية فقد استحالت إلى لغة ثانوية حصرت فى نطاق ضيق وهو نطاق دينهم فحسب ، لا يجيدها غير كهانهم ، أما عامة اليهود فما كانوا يعرفون غير اللغة العربية .

شعراء اليهود :

وبحكم صهر الثقافة العربية لهؤلاء اليهود ، وطغيانها على ثقافتهم طيلة قرون عديدة نسوا كيانهم الثقافى وأصبحوا لا يجيدون من الثقافة اليهودية غير لغة الدين ، وأصبح طابعهم فى مجال الفكر والشعر لا يختلف عن الطابع العربى ، وبحكم البيئة العربية ابتلعهم خضم ثقافتها ونبغ من بين هؤلاء اليهود شعراء مجيدون لا يختلف شعرهم فى طابعه العربى وجزالته عن كبار وفحول الشعراء العرب الأصليين .

ومن أبرز شعراء اليهود:

السموأل بن عاديا:

الذى سارت بشعره الركبان ، وهو من يهود تيماء فى الشمال ، وهو صاحب الحصن الأبلق والمشهور بالوفاء ، ومن شعره القصيدة اللامية المشهورة التى صار كثيرا من أبياتها أمثالا تضرب :

إذا المـرء لم يدنـس مـن اللوم عرضه ::: فكـل رداء يـرتديه جـميل
وإن هـو لم يحمـل عـلى النفس ضيمها ::: فلـيس إلى حسـن الثـناء سـبيل
تعيرنـا أنـا قلـيل عديدنـا ::: فقلـت لهـا إن الكـرام قلـيل
وماضرنـا أنـا قليـل وجارنـا ::: عزيـز وجـارا الأكثرين ذليـل

أخو السموأل:

وهو سعية بن عريض بن عاديا وهو شاعر مجيد ومن شعره الجيد :

يـا دار سُـعدَى بمفضـى تلعـه النعم ::: حُييـت دارا عـلى إلا الإقواءعد والقدم
عجـنا فمـا كلمتـنا الـدار إذا سئلت ::: ومـا بهـا عـن جواب خلت من صمم
وما يجزعك إلا الوحـش ساكنـة ::: وهامد من رماد القـدر والحمـم

ومن روائع شعره قوله:

إنـا إذا مالـت دواعـى الهـوى ::: وأنصـت السـامع للقـائل
واصـطرع القـوم بألـبابـهم ::: نقضـى بحكـم عـادل فاصـل
لا نجعـل البـاطل حقـا ::: ولانلـظ دون الحـق بالـباطل
نخـاف أن نسفـه أحلامنـا ::: فنخمل الدهـر مـع الخامـل

أوس بن دنى القرظى:

من شعراء يثرب المجيدين وهو من بنى قريظة ومن شعره الذى قال عندما دعته زوجته التى أسلمت:

دعـتنى إلى الإسـلام يـوم لقيـتها ::: فقلـت لهـا لا بـل تعـالى تـهودى
فنحـن علـى توراة موسى ودينـه ::: ومن يهد أبـواب المراشـد يرشـد

أبو الزناد اليهودى:

من شعراء يثرب ومن شعره :

دار لـــــــبهانة خدلجـــــــــة :::	تضـــحك عـــن مـــثل جـــامد الـــبرد
يـــا مـــن لقـــب متـــيم ســـدم :::	عـــان رهـــين أحـــيط بـــالفقد
ازجـــره وهـــو غـــير مزدجـــر :::	عـــنها وطـــرفي مقـــارن الســـهد
تمشي الهوينا إذا كما مشـــت فضـــلا :::	مشـــي النـــزيـــف المبهـــور فـــي صعـــد

وفي اليهود شعراء مجيدون آخرون منهم :

الربيع بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وشريح بن عمران ، وأبو قيس بن رفاعة ، وأبو الذيال ، ودرهم بن زيد .

اليهود يبشرون بخاتم النبيين ﷺ :

كان اليهود يهددون أهل يثرب بظهور نبي يتبعونه ويقاتلونهم ويقولون لهم :

- إن نبيا مبعوثا قد أظل زمانه نتبعه نقتلكم قتل عاد وإرم .

﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٨٩] .

أي يستنصرون بك يا محمد

قال سلمة بن سلامة بن وقش :

كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل وأنا يومئذ من أحدث - أصغر - من فيهم سنا مضطجع بفناء أهلي على بردة ، فذكر اليهودي القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائنا بعد الموت .

فقال بنو عبد الأشهل لليهودي :

- ويحك يا فلان أو ترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟

قال اليهودي :

- نعم والذي يحلف به ، ولو أن به حظ من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه

ثم يدخلونه فيطينونه عليه بأن ينجو من تلك النار غدا .

فقالوا له :

- ويحك يا فلان فما آية ذلك ؟

قال اليهودى :

- نبى مبعوث من نحو هذه البلاد .

وأشار بيده إلى مكة واليمن .

فقالوا :

- ومتى نراه ؟

قال سلمة بن سلامة بن وقش :

فنظر إلى وأنا أحدث بنى عبد الأشهل سنا وقال :

- إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه .

وكان اليهود - أهل الكتاب - يتوعدون الأوس والخزرج كلما وقع بينهم وبينهم شيء من الشر قالوا :

- سيبعث نبى قد أظل زمانه نقتلكم معه قتل عاد وإرم .

وكان رجل من يهود أهل الشام يقال له : ابن الهيبان قدم من يثرب .

يقول أهل الشام :

- ما رأينا رجلا يصلى أفضل من ابن الهيبان .

فأقام عندهم ، فإذا قحط المطر عنهم قالوا له :

- يا ابن الهيبان أخرج فاستسق لنا .

فيقول ابن الهيبان :

- لا والله حتى تقدموا بين يدى مخرجكم صدقة .

فيقولوا :

- كم ؟

فيقول ابن الهيبان :

- صاعا من تمر أو مدين من شعير .

فيخرج أهل الشام صاعا من تمر أو مدين من شعير .

فيخرج ابن الهيبان إلى ظاهر حرتهم فيستسقى الله لهم .

فما يبرح ابن الهيبان مجلسه حتى يمر السحاب ويسقى أهل الشام .

فعل ابن الهيبان ذلك أكثر من مرة .

ولما حضرت الوفاة ابن الهيبان قال :

- يا معشر يهود: ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟

قالوا :

- إنك أعلم .

قال ابن الهيبان وهو فى النزع الأخير :

- إنى إنما قدمت هذه البلدة أتوكف - انتظر - خروج نبى قد أظل - أشرف وقرب- زمانه وهذه البلدة - المدينة - مهاجره فكنت أرجو أن يبعث فاتبعه ، وقد أظلكم زمانه ، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه .

جحد اليهود الحق بعد معرفته :

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الصف الآية : ٦] .

قال الصادق المصدوق ﷺ:

إنى عند الله مكتوب لخاتم النبيين ، وإن آدم لمجندل فى طينته ، وسأخبركم بأول

ذلك : دعوة أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى بى ، والرؤيا التى رأت أمى ، وكذلك أمهات النبيين يرين أنها رأت حين وضعتنى أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام [أخرجه أحمد فى المسند ، ابن مردويه عن العرباض بن سارية] .

وقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

اسمى فى التوراة أحيد لأنى أحيد أمتى عن النار ، واسمى فى الزبور الماحى محا الله بى عبدة الأوثان ، واسمى فى الإنجيل أحمد ، واسمى فى القرآن محمد لأنى محمود فى أهل السماء والأرض .

ذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه :

- تلك أمة محمد .

فقال كليم الله :

- اللهم اجعلنى من أمة محمد .

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام :

- يا روح الله هل بعدنا من أمة ؟

قال المسيح عليه السلام :

نعم أمة محمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى منهم باليسير من العمل .

وعلى الرغم من أن اليهود عرفوا صفة محمد ﷺ فى التوراة وبشر به روح الله وكلمته فى الإنجيل إلا أنهم لما جاء النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى ﷺ جحدوا نبوته لأنهم يعتقدون أن الرسالة فيهم لأنهم شعب الله المختار ، ونصبت عند ذلك أحبار اليهود لرسول الله ﷺ العداوة بغيا وحسدا وضغنا ، فجحد اليهود الحق بعد معرفته .

فهذان حبران من أكبر علماء يثرب ، ومن الذين كان من المفروض أن يستبشروا بقدوم خاتم النبيين ﷺ ويقابلوه بالترحاب ويعلنوا الإيمان بدعوته عندما قدم المدينة لتأكدهم من أنه المبعوث للناس كافة ﷺ الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة ، هذان الحبران هما : حيى بن أخطب وأخوه ياسر اللذان عصفت بقلوبهما رياح الحسد وحملا

للرحمة المهداة ﷺ فور وصوله المدينة من الحقد والبغض لا يستطيع حمله إلا قلب مثل قلبيهما الخبيثين لاسيما بعد أن تأكدا لدى مقابلتهما أبا القاسم ﷺ أن أوصاف النبى الخاتم الموعود ﷺ التى يجدونها عندهم فى كتبهم تنطبق عليه تماما .

تقول صفية بنت حيى بن أخطب :

كنت أحب ولد أبى إليه وإلى عمى ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذانى دونه . فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ونزل قباء فى بنى عمرو بن عوف غدا عليه أبى حيى بن أخطب وعمى ياسر بن أخطب مغلسين - الغلس : ظلمة آخر الليل - فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس- فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فو الله ما التفت إلى واحد منهما مع ما بهما من الغم ، وسمعت عمى ياسر يقول لأبى حيى بن أخطب :

- أهو ، هو ؟ - يعنى النبى ﷺ .

قال أبى حيى بن أحطب :

- نعم والله

قال عمى ياسر :

- أتعرفه وتثبته ؟

قال أبى :

- نعم

قال عمى :

- فما فى نفسك منه ؟

قال أبى حيى بن أخطب :

- عداوة ما بقيت .

وقد ظل هذا اليهودى الخبيث وهو سيد بنى النضير العدو اللدود رقم واحد للنبى ﷺ يحيك له الدسائس والمؤمرات ويعمل جاهداً للقضاء عليه وعدوا للإسلام .

اليهود قوم بهت :

لما سمع الحصين بن سلام أحد أحبار اليهود برسول الله ﷺ عرف صفته واسمه وزمانه الذى كانوا يترقبونه ، فكان مُسرًا لذلك صامتا عليه ، حتى قدم النبى الخاتم ﷺ المدينة ، فلما نزل بقباء فى عمرو بن عوف ، أقبل رجل وأخبر بقدومه ﷺ وكان الحصين بن سلام فى رأس نخلة يعمل فيها ، وكانت عمته خالدة بنت الحارث تحت النخلة جالسة ، فلما سمع الحصين بن سلام الخبر بقدوم إمام الخير ﷺ كبر .

فقالت عمته خالدة حين سمعت تكبيره :

- خيبك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما مازدت

قال الحصين بن سلام :

- أى عمة : هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بعث بما بعث به

قالت خالدة بنت الحارث :

- أى ابن أخى : أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟

قال الحصين بن سلام :

- نعم .

قالت خالدة بنت الحارث :

- فذاك إذا .

يقول الحصين بن سلام :

خرجت فى جماعة من أهل المدينة للنظر إلى - رسول الله ﷺ - فى حين دخوله المدينة ، فنظرت إليه وتأملت وجهه ، فعلمت أنه ليس بوجه كذاب ، وكان أول شىء سمعته منه :

أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام . (رواه الإمام أحمد) .

وجاء الحصين بن سلام سيد الأولين والآخرين ﷺ وهو فى دار أبى أيوب الأنصارى .

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- أنت ابن عالم أهل يثرب ؟

قال الحصين بن سلام :

- نعم .

قال البشير النذير ﷺ .

- فناشدتك بالله الذى أنزل التوراة على طور سيناء هل تجد صفتى فى الكتاب الذى أنزل على موسى ؟

قال الحصين بن سلام :

- انسب لنا ربك يا محمد .

فارتج النبى ﷺ ، فنزل جبريل عليه السلام وقال له :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ . [سورة الإخلاص الآية] .

فقال أبو يوسف الإسرائيلى :

- أشهد أنك رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الأديان ، وإنى وجدت صفتك فى كتاب الله ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ . [سورة الفتح الآية : ٥٨] أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه حتى يقيم الملة المعوجة ، حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح به أعينا عميا وأذانًا صما وقلوبا غلفا .

ثم قال الحصين بن سلام :

- إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى .

قال إمام الخير ﷺ :

- سل ما شئت .

قال الحصين بن سلام :

- ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد لأبيه أو إلى أمه ؟

قال طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ :

- **أخبرنى بهن جبريل آنفا .**

قال أبو يوسف الإسرائيلى :

- جبريل؟ .

قال السراج المنير ﷺ :

- **نعم .**

قال الحصين بن سلام :

- **عدو اليهود من الملائكة .**

قيل :

وسبب عداوة اليهود لجبريل عليه السلام لأنهم زعموا أنه ينزل بالخسف والحرب والهلاك .

وقيل :

زعموا أنه أمر أن يجعل النبوة فيهم : أى يجعل النبى الخاتم ﷺ فى بنى إسرائيل الذين هم أولاد إسحاق فجعلها فى غيرهم : **أى فى ولد إسماعيل عليه السلام .**

وقيل :

سبب عداوتهم لجبريل عليه السلام : أنه أنزل على نبيهم أن بيت المقدس من سيخربه بختنصر ، فبعثوا من يقتله من أعظم بنى إسرائيل قوة فأراد قتله فمنعه جبريل عليه السلام وقال :

- إن كان ربكم أمره بإهلاككم فإنه لا يسلط عليه .

فصدقه ورجع عنه .

وقيل :

إن بنى إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا شعياء ، جاء بختنصر ملك الفرس وحاصر بيت المقدس وفتحها عنوة وأحرق التوراة وخرب بيت المقدس .

وقيل :

سبب العداوة كونه يطلع النبى ﷺ على سرهم .

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٩٧] أما أول أشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزع الولد - نزع إلى أبيه فى الشبه أى ذهب - وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد .

فجعل الحصين بن سلام يتلفت وينظر **إلى ظهر النبى ﷺ ، فعرف إمام الأنبياء ﷺ أن أبا يوسف الإسرائيلى يريد أن ينظر إلى ظهره ليرى خاتم النبوة ، فألقى رداء كان على** كتفيه ، فلما رأى الحصين بن سلام خاتم النبوة **قال فى انفعال وصدق :**

أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وأنك جئت بحق .

وكان صاحب الخلق العظيم ﷺ **يغير الأسماء القبيحة فقال لأبى يوسف** الإسرائيلى :

- أنت عبد الله .

وانطلق عبد الله بن سلام إلى داره **فأمر أهله فأسلموا ونطقوا بشهادة الحق .**

وأسلمت عمته خالدة بنت الحارث .

وأخفى عبد الله بن سلام خبر إسلامه عن اليهود .

وجاء عبد الله بن سلام مسلما من قبل **أن تعلم اليهود بإسلامه فقال :**

- يا رسول الله اجعلنى حكما بينك وبين اليهود ، **فإنى سيدهم وابن سيدهم** وأعلمهم وابن أعلمهم ، فسلهم **قبل أن يعلموا أنى أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أنى قد**

أسلمت قالوا فى فإنهم قوم بهت - باطل - .

فأرسل أبو القاسم ﷺ إلى يهود ، فجاءوا ودخلوا عليه فقال لهم :

- يا معشر يهود ، ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق فأسلموا .

قالوا :

- ما نعلمه .

فقال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ .

- فأى رجل فيكم الحصين بن سلام ؟

قالوا :

- ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا وخيرنا وابن خيرنا - أعلمنا بكتاب الله - وأفضلنا .

فقال نور الظلام ﷺ :

- إنه قد آمن بى .

قالوا :

- حاشا لله ، ما كان ليسلم ، أعاذه الله من ذلك .

فقال النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى ﷺ :

- أفرأيتم إن شهد أنى رسول الله ، وآمن بالكتاب الذى أنزل على تؤمنوا بى ؟

قالوا :

- نعم .

وكان ابن سلام وراء حجاب - ستر - فقال السراج المنير ﷺ :

- يا ابن سلام أخرج عليهم .

فخرج عبد الله بن سلام من مخبأه فسأله المبعوث للناس كافة ﷺ :

- يا عبد الله بن سلام ، أما تعلم أنى رسول الله تجدنى مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل ، أخذ الله ميثاقكم أن تؤمنوا بى وأن تتبعونى من أدركنى منكم ؟

قال عبد الله بن سلام :

- بلى يا معشر يهود ، ويلكم اتقوا الله ، والله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقا وأنه جاء بالحق تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة اسمه وصفته .

قالوا :

- كذبت أنت شرنا وابن أشرنا .

سبحان الله ... كان منذ قليل سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ، والآن كذاب وشرنا وابن أشرنا ؟

فقال عبد الله بن سلام :

- هذا الذى كنت أخافه يا رسول الله ، ألم أخبرك أنهم قوم بهت - يواجهون الإنسان بالباطل أهل غدر وكذب وفجور - ؟ (رواه البخارى) .

فنزل قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [سورة الأحقاف الآية : ١٠] .

لقد شهد عبد الله بن سلام على اليهود أن محمدا ﷺ مذكور فى التوراة وأنه نبى من عند الله .

بدء المقاومة اليهودية للإسلام :

بدأ اليهود منذ اللحظة الأولى التى هاجر فيها خاتم النبيين ﷺ من مكة إلى المدينة يقاومون الإسلام ونبى الإسلام ، ويرجفون ضده ، ويحاولون نشر ظلال الشكوك حوله لينفر الناس منه ويبتعدوا عن حامل الرسالة .

وكانت المقاومة فى بادئ الأمر على شكل أسئلة محرجة يتقدمون بها إلى الصادق المصدوق ﷺ فى ما يدعو إليه بغية تشكيك الناس فيه فلا يستجيبون له ، بل ولا يستمعون إليه ، بل إن هؤلاء اليهود بلغ الكيد للإسلام والحرص على وقف تيار دعوة المبعوث للناس كافة ﷺ أن رسموا مخططا محكما لمقاومته وفض الناس من حوله ،

وبموجب هذا المخطط اليهودى الماكر دخل البعض منهم فى الإسلام ظاهرا وهو على كفره فى الباطن وذلك ليتسنى لهم أن يعملوا بحرية على إخراج من يقدرون على إخراجه من الإسلام وتواطأ اثنا عشر حبرا من أحبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض :

- ادخلوا فى دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد ، واكفروا به آخر النهار ، وقولوا :

إنا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك وظهر كذبه وبطلان دينه ، فإذا فعلتم ذلك يشك أصحابه فى دينهم وقالوا : إنهم أهل كتاب وهم أعلم به منا فيرجعون عن دينهم إلى دينكم .

واطمأنوا إلى ما دبروا ، وقبل أن يمشوا بالفتنة بين المسلمين أنزل السميع البصير ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٧٢- ٧٤] .

وضايق اليهود أن كشف القرآن مكرهم ، ولم يفت فى عضدهم أن أطلع العليم الخبير رسوله ﷺ فقد ظنوا أن بعضهم يمشى إليه ﷺ فاستمروا فى كيدهم للنبى الخاتم ﷺ وقد ساعدهم على ذلك أن المنافقين يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ .

وكان نفر من اليهود يباطنون نفرا من الأنصار ليفتنونهم عن دينهم فقال بعض المؤمنين لأولئك النفر من الأنصار :

- اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم

فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم وملازمتهم .

فأنزل الله تعالى : ﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٢٨] .

فاجتنب الأنصار ملازمة اليهود ومباطنتهم ولم يتول اليهود إلا نفر من المنافقين فزاد ذلك من حقد اليهود على سيد الأولين والآخرين ﷺ وقالوا فى غيظ :

- لا يأتى المؤمنين بأمر حتى يقولوا : سمعنا وأطعنا ؟

وكان الأوس والخزرج ينظرون إلى اليهود فى إجلال قبل الإسلام فهم أهل الكتاب والعلم فلما من الله عليهم بالإسلام أحس الأنصار عزة وراحوا يناقشون جيرانهم فى ثقة فما أتاهم الله ﷻ من فضله يفوق ما عند اليهود من بقايا دين قديم وأساطير الشعوب .

وأحس اليهود أن القرآن قد رفع من شأن حلفائهم ، الذين كانوا يهرعون إليهم فى حل مشاكلهم وبدلهم تبديلا ، فتحركت غيرة وحقد وكراهية أهل الكتاب فقالوا للمسلمين :

- نحن أهدى منكم ، نبينا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم .

وقال المسلمون :

نحن أهدى وأولى بالله ، نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضى على الكتب التى قبله .

فأنزل العزيز الحكيم : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا * وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [سورة النساء : ١٢٣- ١٢٥].

كتاب الموادعة بين المؤمنين واليهود :

بعد أن ألف الله ﷻ بين قلوب الأوس والخزرج فانطفأت نار العداوة والحرب التى أشعلها يهود يثرب سنين طويلة وآخى حبيب الرحمن ﷺ بين المهاجرين والأنصار وكتب كتابا وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم فهو يريد ﷺ أن يستقر السلام فى المدينة حتى يستطيع أن يبلغ رسالات ربه للناس وألا يؤلب عليه أعداء فى الداخل قد يتحالفون مع قريش ذات يوم للقضاء عليه وعلى

دين الله .

وقد كان الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبى الأمى ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم ، إنه أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رمتهم - حالهم التى أتى الإسلام وهم عليها أمرهم الذى كان عليه - يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم - أسيرهم - بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم - الديات - الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار : بنى ساعدة ، وبنى جشم ، وبنى النجار وبنى النبيت .

إلى أن قال :

وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا - المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال - بينهم يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل - دية - وأنه لا يحالف مؤمن مولى دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعه - عطية ، وقيل: دسيسة - ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس .

وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .

وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يبئ - يمنع - بعضهم بعضا بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على قومه ، وإن من اعتبط -

قتل بلا جناية توجب القتل - مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود - قصاص - به إلى أن يرضى ولى المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا القيام عليه .

وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما جاء فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شئ فإن مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ ، **وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين** لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وإثم فإنه لا يوتغ - يهلك - إلا نفسه وأهل بيته .

وإن ليهود بنى النجار وبنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جشم وبنى الأوس وبنى ثعلبة وجفنة وبنى الشطيبة - الشطنة - مثل ماليهود بنى عوف ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، ولا يحجز على ثأر جرح ، وإنه من فتك - قتل - فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم ، وإن على أبر هذا - على الرضا به ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، **وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه** الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، **وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين** ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة - جوفها : حرفها - وإن الجار كالنفوس غير مضار ولا آثم ، وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها .

وإنه كان بين أهل هذه الصحيفة من حديث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ، **وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم - غشى - يثرب ، وإذا دعوا** إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم ، وإن يهود الأوس والخزرج مواليهم وأنفسهم على مثل ذلك ، ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحسن ، وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره .

وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ولا آثم ، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن

بالمدينة إلا من ظلم أو آثم ، وإن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمدٌ رسول الله .

نماذج من تشكيك اليهود وتلبيسهم :

على الرغم من كتاب الموادعة الذى كتبه السراج المنير ﷺ بينه وبين اليهود إلا أنهم لم يتخلوا عن طبيعتهم الخبيثة فقد جاء نفر من يهود النبى ﷺ وقالوا :

- يا محمد ، صف لنا ربك ، فإن الله أنزل نعته - صفته - فى التوراة فأخبرنا من أى شئ هو ؟ ومن أى جنس هو ؟ أ ذهب هو أم نحاس أم فضة ؟ وهل يطعم وهل يشرب؟ ومن ورث الدنيا ومن يورثها ؟

كانوا يتحدثون فى صلف وغرور كأنما كانت عندهم خزائن علم الله ﷻ ، وما خطر لهم على بال أن صفات الله التى نزلت على موسى عليه السلام ، قد اعتورها ما اعتور التوراة فى أرض السبى ، وأنهم لما كانوا منهزمين مخذولين فى بابل راحوا يصورون إلاههم يهوه إلها صحراويا قاسيا يحب سفك الدماء ويبارك الخديعة والغش والبهتان إلها قد صاغته أمانيهم فهو لبنى إسرائيل وحدهم دون الناس .

فأنزل السميع البصير على خاتم النبيين ﷺ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص] .

فبهتوا وانصرفوا وهم يفكرون فى حوار آخر يعاونهم على إطفاء ذلك النور الذى غمر المدينة .

وذات ضحى كان الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ يمشى مع الصحابى الجليل عبد الله ابن مسعود فى حرث المدينة ، وهو متكئ على عصيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض :

- سلوه عن الروح .

فقال بعضهم :

- لا تسألوه ، لا يستقبلكم بشىء تكرهونه .

فسألوه عن الروح فقالوا :

- يا محمد ، ما الروح ؟

يقول عبد الله بن مسعود :

فما زال متوكئا على العصيب فظننت أنه يوحى إليه فقال ﷺ :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ . [سورة الإسراء الآية : ٨٥] .

فقال بعضهم :

- لقد قلنا لكم لا تسألوه (رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود) .

فقال بعضهم :

- يا محمد ، كيف لم نؤت من العلم إلا قليلا وقد أوتينا التوراة وهى الحكمة ، ومن أوتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ؟

فعارضهم المبعوث رحمة للعالمين ﷺ الله ﷻ .

فغلبوا .

وذات يوم ذهب الصحابيان الجليلان معاذ بن جبل وبشر بن البراء إلى جيرانهم اليهود فقالا لهم :

- يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وكفر ، وكنتم تخبروننا أنه مبعوث وتصفونه بصفته .

فقال سلام بن مشكم من عظماء يهود :

- ما جاء بشيء نعرفه ، ما هو الذى كنا نذكره .

فأنزل العليم الخبير ﴿ وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٨٩] .

فلعنهم الله ﷻ وسماهم الكافرين .

وذات يوم انطلق نور الظلمة ﷺ ومعه الفاروق إلى مالك بن الصيف وكان زعيما ورئيسا على اليهود وكان سمينا ، فراح النبى الأمى الهاشمى العربى المكى ﷺ يحاوره ومالك

ابن الصيف يرد فى صلف وعجرفة واستعلاء وغلظة فقال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض - يكره - الحبر السمين ؟ قد سمنت من مالك الذى تطعمك اليهود .

فضحك القوم ، وغضب مالك بن الصيف .

والتفت إلى عمر بن الخطاب وقال فى ثورة وانفعال :

- ما أنزل الله على بشر من شىء .

فأنزل السميع العليم ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [سورة الأنعام الآية ٩١] .

وسمع اليهود ما أنزل تبارك وتعالى فمثلوا غضبا فلولا ما قال مالك بن الصيف ما ألزمهم القرآن الحجة ، ولما كانت هناك فرصة للطعن عليهم واتهامهم بالعبث فى التوراة .

ومشى اليهود إلى زعيمهم مالك بن الصيف والغيظ يأكل أكبادهم فقالوا له :

- ما هذا الذى بلغنا عنك ؟

فقال مالك بن الصيف ليبرر سقطته :

- إنه - يعنى رسول الله ﷺ - أغضبنى .

أينكر زعيم يهود أن التوراة لم تنزل على موسى عليه السلام ، لأن الهادى النذير ﷺ أغضبه ؟ أينكر الوحى الذى قامت عليه اليهودية لأن إمام الخير ﷺ ذكر حقيقة أن الله يبغض الحبر السمين؟ إنه جعلهم سخرية جيرانهم الذين كانوا ينظرون إليهم فى إجلال لأنهم أصحاب الكتاب الأول .

اليهود وصرف القبلة عن الشام :

قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .[سورة البقرة الآية : ١٤٢].

المراد بالسفهاء أحبار اليهود .

لقد قال القرآن : سيقول

وقد قالوا

قال ترجمان القرآن - عبد الله بن عباس - :

عندما صرفت القبلة عن الشام - بيت المقدس - إلى مكة - الكعبة - استغل اليهود هذا الحادث وقاموا بمناورات خبيثة هدفها زعزعة إيمان المسلمين بالدين الجديد فقد جاء نفر من زعمائهم : رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو بن الأشرف وكنانة بن الربيع وغيرهم النبى ﷺ وقالوا :

- يا محمد ، ما ولاك عن قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك .

كانوا يريدون بذلك أن يعود رسول الله ﷺ إلى قبلتهم - بيت المقدس - ويفتنوه عن دينه ، ولكن أبا القاسم ﷺ لم يستجب لهم فأنزل الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا ﴾ .

وقال البراء بن عازب :

إن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرا - منذ أن فرضت الصلاة فى السماء ليلة الإسراء والمعراج - وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت - الحرام - .

وكان رسول الله ﷺ يكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله ، فأنزل السميع البصير﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٤٤].

ولما رأى اليهود أن خاتم النبيين ﷺ اتخذ البيت الحرام قبلة ولن يعود إلى قبلتهم - بيت المقدس - قالوا لبعض أصحابه :

- ما حال الناس الذين كانوا يصلون نحو بيت المقدس وماتوا - مثل أسعد بن زرارة نقيب بنى النجار والبراء بن معرور - ؟ .

فجاء بعض الصحابة النبى ﷺ وتساءلوا :

- ما حال أصحابنا الذين صلوا إلى بيت المقدس كأسعد بن زرارة والبراء بن معرور وقد ماتوا ؟ لقد سألنا يهود عن حالهم .

فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٤٣].

إيمانكم : صلاتكم .

أى ما كان الله ليضيع محمدا ﷺ وانصرافكم معه حيث انصرف ، وما كان الله يضيع ثواب هذه الصلاة - إلى بيت المقدس - ثم أنزل تبارك وتعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٤٥].

يخبر الله ﷻ عن كفر اليهود وعنادهم ومخالفتهم ما يعرفونه من شأن خاتم النبيين ﷺ وأنه لو أقام عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به لما اتبعوه وتركوا أهواءهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ وقوله : ﴿ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ إخباره عن شدة متابعة السراج المنير ﷺ لما أمره الله تعالى وأنه كما هم متمسكون بآرائهم وأهوائهم فهو أيضا متمسك بأمر الله وطاعته ، واتباع مرضاته وأنه لا يتبع أهواءهم فى جميع أحواله ولا كونه متوجها إلى بيت المقدس لكونها قبلة اليهود وإنما ذلك عن أمر الله ﷻ .

محاولة اليهود بعث الروح الجاهلية بين القبائل :

بالإضافة إلى افتراء اليهود على الصادق المصدوق ﷺ ومحاولة تشكيك الناس فى صدقه ، كان اليهود يحاولون بث الفتنة بين أتباعه من الأوس والخزرج والعودة بهم إلى فوضى الجاهلية بإثارة النعرات القبلية القديمة التى كانت ملتهبة بين هاتين القبلتين ، والتى قام عليها الوجود اليهودى واستقر فى يثرب ، وكان هدفهم من هذا كله أن تفشل الدعوة الإسلامية فى جمع كلمة العرب على كلمة لا إله إلا الله فيتهاوى بنيان النظام الوليد الجديد .

مر شماس - شاس - بن قيس أحد أحبار اليهود وكان عظيم الكفر شديد الحقد والكراهية على المسلمين فوجد نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج

فغاظ ما رآهم من الألفة والمحبة وهم الذين كانوا إلى عهد قريب **لا يلتقون إلا فى معركة** تسيل فيها الدماء وتزهق فيها الأرواح ، **فيكون عليهم سويا الغرم ولليهود المغنم .**

غاظ اليهودى الخبيث اجتماع هذين الحيين على **الإسلام فأفصح عن تخوفه على** الوجود اليهودى من هذا الاجتماع لأن بقاء **اليهود الدخلاء على الأرض العربية إنما هو** مرتهن ببقاء الأوس والخزرج كما كانوا **فى الجاهلية متقاطعين متحاربين .**

قال الحبر اليهودى وهو يتنهد لهيا :

- قد اجتمع بنو قيلة - يعبر دائما عن الأوس والخزرج بنى قيلة - **بهذه البلاد ، لا** والله ما لنا **معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار .**

وراح يقدح زناد فكره **ليفرق هذا الجمع المتحاب فى رحاب الإسلام ، فأمر شابا** **يهوديا** يندس بين أولئك النفر وكلفه ببذر **بذور الفتنة بينهم ما وجد إلى ذلك سبيلا ،** **لعلهم يختلفون** وتثور الحرب **الجاهلية بينهم من جديد فتصاب الدعوة الإسلامية** بانتكاسه ويتقوى الجانب اليهودى .

وقال شاس بن قيس لذلك **الشاب اليهودى :**

- اعمد إلى هؤلاء فاجلس معهم .

ثم أمره أن يضرب على أدق وتر حساس **فى تاريخ هاتين القبيلتين الجاهلى ، له** ذكرى أليمة ومثيرة فىنفوسهم وخاصة الخزرج ، **وأمره أن يحدثهم عن يوم بعاث** الشهير ، وهو يوم دارت فيه رجى **معركة طاحنة بين الأوس والخزرج ، كاد فيه الأوس** يبيدون إخوانهم الخزرج حيث كان **النصر لهم عليهم به وذلك قبل أن يدخل الإسلام** يثرب ، وهى آخر مآسى الحرب الأهلية التى **كانت تدور فى الجاهلية باستمرار بين** هاتين القبلتين .

نجاح اليهود فى إثارة الحرب الأهلية .

نفذ الشاب اليهودى رغبة الحبر الخبيث ، **وانضم إلى مجلس الأوس والخزرج** **وشارك معهم الحديث ثم جرهم بأسلوب يهودى ماكر خبيث إلى ذكر يوم بعاث ،** **فأخذ كل منهم يتحدث عن بطولته وبطولة قومه فى ذلك اليوم ، فأخذت بوادر**

التحزب والتعصب والحمية والفتنة تظهر فى المجلس ، فسارع الشاب اليهودى إلى إذكاء نيرانها فأنشدهم بعض ما قيل من أشعار حماسية مثيرة فى يوم بعاث ، فراح كل رجل من الأوس يساور الآخر من الخزرج ويفاخره وينازعه ، وتحول الجدل إلى شجار ووقف أحد زعماء الخزرج متحديا وقال للأوس :

- إن شئتم رددناها جذعة - يعنى الاستعداد لإحياء الحرب الأهلية بين القبيلتين - فاشتط الغضب بالفريقين واتعدوا للحرب وقالوا :

- موعدكم الظاهرة - الحرة - .

وأعلن النفير فى القبيلتين ، فأخذ كل سلاحه وتوجه للحرب إلى المكان المحدد .

طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ ينقذ الموقف :

كاد اليهود ينجحون فى بلوغ أهدافهم الخبيثة لولا عناية السميع البصير ، إذ بلغ كاشف الغمة ﷺ نبأ هذا الحدث الخطير فسارع ومعه المهاجرون بالخروج إلى الحرة ، فوجد كل قبيلة قد احتشدت فى ناحية .

فوقف الرحمة المهداة ﷺ بينهما وقال :

يا معشر المسلمين الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر ، وألف بين قلوبكم ؟؟

وهنا عاد إلى الفريقين رشدهم وأدركوا أنها كانت نزغة من الشيطان ومكيدة يهودية ، فأغمدوا سيوفهم ونكسوا رماحهم ، ثم قالوا :

- إنا لله وإنا إليه راجعون .

وبكوا .

وأخذ الرجال من القبيلتين يعانق بعضهم بعضا .

إحباط فتنة اليهود :

بهذا أحبط الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ مساعى اليهود الخبيثة وردهم على أعقابهم

خائبين خاسرين بعد أن كادت تنجح دسائسهم ومؤامراتهم الدنيئة التى تستهدف تمزيق وحدة المسلمين الوليدة .

ولقد أغرى اليهود موقف الحلم والصبر الذى يقفه صاحب الخلق العظيم ﷺ إزاء تعنتاتهم واستفزازاتهم ومحاولاتهم الصد عن دين الإسلام وتفريق كلمة المسلمين والإطاحة بالعهد الجديد فازدادوا فى أذاهم وتوسعوا فى ميدان الكيد إلى درجة صاروا معها يسخرون من أبى القاسم ﷺ فيدعون عليه وعلى أصحابه بالموت - فى صيغة التحية التقليدية - فكانوا إذا مروا بمجلس فيه سيد الأولين والآخرين ﷺ فيقولون :

- السَّام عليكم .

وهى كلمة تعنى : الموت لكم .

فيحتمل المبعوث رحمة للعالمين ﷺ كل هذا ثم يقول لأصحابه :

- إذا قال لكم اليهود : السام عليكم ، فقولوا : وعليكم .

وقد اشتط اليهود فى جحودهم وصاروا ينكرون فى كل مجلس أن يكون ذكر النبى الخاتم ﷺ قد جاء فى شىء من كتبهم وأن كتبهم وأن جميع أحبارهم لا يعرفون شيئا من هذا القبيل .

لما مات أسعد بن زرارة :

كان أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس أول من دخلا بالإسلام يثرب ، ويوم العقبة عندما اجتمع الأنصار بنبي الرحمة ﷺ ليبايعوه فقال عليه الصلاة والسلام :

- أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم .

فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

فمن الخزرج أسعد بن زرارة نقيب بنى النجار .

ولما مات أبو أمامة أسعد بن زرارة راح السفهاء يفحون فى آذان بنى النجار :

- لقد مات نقيبكم .

فجاء بنو النجار وقالوا للسراج المنير ﷺ :

- اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم .

وكره خاتم الأنبياء ﷺ أن يخص بذلك بعضهم دون بعض فقال لهم :

- **أنتم أخوالى وأنا نقيبكم .**

فقضى طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ على المطامع التى بدأت تتحرك فى صدور سادات بنى النجار **وأخمد أنفاس الفتنة التى كاد السفهاء أن يضرموا نارها ورضى بنى النجار جميعا أن يكون أبو القاسم ﷺ نقيبهم ، وكان ذلك من مفاخرهم .**

لقد كان الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ عليما بالذات البشرية يعرف كيف يعالج نزواتها ويطمئن القلوب القلقة ويعيد النفوس النافرة إلى جادة الطريق .

وبلغ السخف بالسفهاء والمنافقين أن قالوا :

- لو كان نبيا لم يمت صاحبه - يعنون أسعد بن زرارة - .

فلما بلغ حبيب الرحمن ﷺ ذلك قال :

- بئس الميت أبو أمامة ! اليهود ومنافقو العرب **يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه؟ ولا أملك لنفسى ولا صاحبى من ذلك من شىء .**

تبديل اليهود حكم الرجم فى التوراة:

ذات يوم اجتمع أحبار يهود فى المدراس - وهو أشبه بجامعة عبرية لليهود بالمدينة - وتدارسوا موضوع مقاومة سيد ولد آدم ﷺ والصد عن دعوته ، وبينما هم يتباحثون عرضت عليهم قضية رجل وامرأة منهم ارتكبا جريمة الزنا ، **فاتفقوا على أن يمتحنوا** النبى الخاتم ﷺ عن طريق عرض هذه القضية ليحكم فيها **وقالوا :**

ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد ، **فسلوه كيف الحكم فيهما ؟ وولوه الحكم** عليهما وأخبروه أنهما كانا أحصنا ، **فإن عمل فيهما بعملكم من التجبية - عند اليهود:** الجلد بحبل من ليف مطلى بقار ، **ثم تسود وجها الزانيين المحصنين ، ثم يحملان على** حمارين وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين - **فاتبعوه فإنما هو ملك وصدقوه ، وإن حكم فيهما بالرجم فإنه نبى فاحذروا على ما فى أيديكم أن يسلبكموه .**

ونفذ أحبار يهود ما اتفقوا عليه وذهبوا إلى المبعوث للناس كافة ﷺ وعرضوا عليه

قضية الزانيين وجعلوا إليه أمرهما ليحكم فيهما ، وتعهدوا له بتنفيذ الحكم الذى يصدره .

وكان الإسلام قد ترك لليهود الفصل فى أحوالهم الشخصية كما هو عادته فى التسامح مع أصحاب الأديان الأخرى .

ولم يتردد الهادى البشير ﷺ فى قبول التحكيم سيما أنه بموجب المعاهدة المبرمة بينه وبين اليهود يعتبر الحاكم الأعلى لهؤلاء اليهود بصفتهم مواطنين فى ظل دولة يثرب التى يرأسها .

تساءل حبيب الرحمن ﷺ :

- كيف تفعلون بمن زنا منكم ؟

قال أحبار يهود :

- نضربهما .

فعقد الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ مجلسا ودعا إليه أحبار يهود وطلب منهم إحضار التوراة وكلف أحد أحبارهم بتلاوتها ، وكان عبد الله بن سلام حاضرا .

كان أبو يوسف الإسرائيلى يهود يا من أكبر زعمائهم وقد هداه الله إلى الإسلام ، وكان عالما بطبيعة الدس والكذب والخديعة والافتراء المتأصلة فى نفوس أحبار اليهود .

كان فخا أوقع أحبار يهود فيه أنفسهم بإثارة هذه القضية ، كانت التوراة تنص على أن الرجم هو حكم الزانى المحصن ، وكان اليهود يحرصون على أن لا يعلم رسول رب الأرض والسماء ﷺ هذه الحقيقة .

وعاد أبو القاسم ﷺ يتساءل :

- فما تجدون فى التوراة ؟

قالوا :

- لا نجد فيها شيئا .

فطلب الذى أوتى جوا مع الكلم ﷺ أن يقرؤوا التوراة .

فقرأ الحبر التوراة ، ولكنه عندما وصل إلى الآية التى تنص على وجوب رجم الزانى المحصن وضع يده عليها وأراد أن ، يتخطاها .

فوثب عبد الله بن سلام الذى يجيد اللغة العبرانية كأكبر أستاذ فيها ودفع يد الحبر عن آية الرجم وخاطب السراج المنير ﷺ :

- هذه يا نبى الله آية الرجم يأبى المدراس أن يتلوها عليك .

ثم تساءل عبد الله بن سلام :

- ما هذه ؟

فنظر أحبار اليهود إلى التوراة ونكسوا رؤوسهم وقالوا :

- آية الرجم .

وأمام إدانة هؤلاء الأحبار الصريحة بالغش والكتمان وخيانة العلم وكتم ما أنزل الله ﷻ توجه إليهم إمام الخير ﷺ بالكلام موبخا قائلا :

- ويحكم يا معشر يهود : ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيدكم ؟

فتخاذل هؤلاء الأحبار ولم يسعهم إلا أن يعترفوا بالتحريف والتبديل والتلاعب فى أحكام الله بعد أن سد عبد الله بن سلام كل السبل فى وجوههم وفضحهم فقالوا :

- أما والله إن الرجم قد كان فينا يعمل به بحكم التوراة حتى زنا رجل منا بعد إحصانه من بيوت الملوك وأهل الشرف فمنعه الملك من الرجم ، ثم زنا رجل بعده فأراد أن يرجمه .

فقالوا :

- لا والله حتى يرجم فلانا .

فلما قالوا ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التجبية ، **وأماتوا ذكر الرجم** والعمل به فقال خاتم النبيين ﷺ :

- فأنا أول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به .

ثم أمر بالزانيين فرجما .

يقول عبد الله بن عمر :

كنت فيمن رجمهما .

وهكذا طغى اليهود فى غيهم ولم يزدهم تجدد الأدلة على صدق نبوة محمد ﷺ إلا بغيا وحسداً ، فقد ضاعفوا من نشاطهم ضد النبى ﷺ . . ولكن دون جدوى .

المد الإسلامى يجرف اليهود :

كان المد الإسلامى داخل المجتمع اليثربى أقوى من كل ما يقوم به اليهود من مناورات ودسائس ، وبالتالى كان أقدر على الذهاب بكل الحواجز والعراقيل التى أرهق السفهاء أنفسهم فى إقامتها لصد تيار دعوة القرآن .

حيث لم تزد هؤلاء اليهود الأيام إلا تكشفا للرأى العام على حقيقتهم الخبيثة ، وصار كل يوم يمر على حربهم الجدلية المتعنتة مع الإسلام يكشف عن نقيضة من نقائض تناقضهم ، أو يرفع الستار عن مكيدة أو دسيسة أو مؤامرة أو خبية من خبايا نواياهم الخبيثة الشريرة التى يبيتون لأهل يثرب خاصة .

وبدلا من أن ينصاع أهل يثرب إلى مغالطات اليهود ويتأثروا بتلبيس السفهاء وبسحب الشكوك التى يرسلونها حول الدعوة الجديدة الحقة فيندفعوا فى تيار أراجيف هؤلاء اليهود المغرضة ، تركوهم وحدهم فى الميدان .

فلم يمض أكثر من خمسة أشهر على وصول إمام الخير ﷺ إلى المدينة حتى أصبح كل الناس فيها وما حواليها من منطقة - ماعدا اليهود - يدينون بالإسلام ويخضعون لنظامه وشريعته .

حتى أصدقاء هؤلاء السفهاء من العرب المنافقين الذين تعلموا النفاق على أيدى هؤلاء اليهود فى المدينة لم يسعهم أمام المد الإسلامى الزاخر إلا أن يعلنوا - ظاهريا - إسلامهم إسرائيليين وعرب .

اغتباط اليهود بزحف قريش إلى يثرب :

كاد السفهاء يطيرون فرحا عند سماعهم تحركات الجيش المكى فى السنة الثانية للهجرة نحو بدر لضرب المسلمين ، وكان اليهود يعلقون أكبر الآمال على نشوب المعركة بين الفريقين فى بدر ، فقد كانوا يظنون أن جيش قريش الكبير سيكفيهم مؤنة استئصال

شأفة المسلمين والقضاء على النبى الخاتم ﷺ وأتباعه ، وبالتالى سيجتث جذور الدعوة الإسلامية من الأساس .

لذلك حرص السفهاء كل الحرص على التقاء محمد ﷺ وأصحابه وجيش قريش فى بدر .

وكانوا يتمنون - بل كانوا على يقين - أن النصر والغلبة ستكون للجيش المكى على المسلمين - لأن كل شئ مادى يوجب الاعتقاد الجازم من الناحية المجردة **بأن النصر فى** معركة بدر سيكون إذا ما نشب القتال حليف **جيش قريش الذى بلغ عدده ألف مقاتل** مسلحين أحسن تسليح ومجهزين أحسن تجهيز ، **يقابله فى الجانب الآخر ثلاثمائة** رجل من المسلمين أكثرهم حفاة لا ظهر لهم - **كل ثلاثة كانوا يتعاقبون بعيرا - ليس معهم** دروع ولا مغافر .

وكجزء من الحرب النفسية العنيفة التى **وجهها السفهاء ضد الإسلام والمسلمين ، وفى الظروف التى** نشبت فيها معركة بدر الكبرى ، **وقبل أن تتلقى المدينة أخبار نتائجها** النهائية ، كان اليهود يؤازرهم المنافقون **قد نظموا حملة دعائية واسعة من الإرجاف** والتشويش لتحطيم معنويات المسلمين **وإشاعة روح التخاذل والتفكك والفزع بينهم .**

حتى إن السفهاء والمنافقون أشاعوا أن النبى ﷺ **قد قتل وأن جيشه قد تحطم فى** معركة بدر ، وأن جيش مكة زاحف بقيادة **عمرو بن هشام - أبو جهل - لاحتلال** المدينة ومحو آثار الدعوة الإسلامية من الوجود .

وقد فعلت هذه الأراجيف فعلها السيئ **فى نفوس المسلمين فى** مدينة رسول الله ﷺ ، وهذا هو الذى خطط وهدف إليه السفهاء **من وراء إشاعاتهم الكاذبة المغرضة .**

وبينما كان المسلمون تتقاذفهم أمواج الحيرة ونهبا للقلق والخوف نتيجة هذه الإشاعات اليهودية إذ بزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة يبشران بانتصار المسلمين فى معركة بدر فتهتز مدينة رسول الله ﷺ بالتكبير والتهليل من أقصاها **إلى أقصاها** بنصر الله **المؤزر الذى عن طريقه دخل المسلمون من أوسع أبوابه .**

أما السفهاء فقد صعقوا لنبأ انتصار خاتم النبيين ﷺ وأصحابه الساحق الذى ما كانوا يتصورون حدوثه مطلقا ، وكادوا يتهمون أسماعهم عندما سمعوا صوتى البشيرين

عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة يدويان وهما يركضان راحلتيهما فى أنحاء المدينة يبشران المسلمين بانتصار الجيش النبوى على جيش قريش فى بدر .

وسقط فى أيدى السفهاء وكادوا يتهمون أبصارهم وعلاهم الذهول عندما رأوا زعماء وفرسان وصناديد وقادة جيش فى معركتهم الخاسرة يساقون أسارى تحت حراسة رماح أصحاب النبى الخاتم ﷺ وقد شدت أيديهم بالحبال إلى الوراء يعلوهم ذل الهزيمة ومهانة الانكسار ، يتعثرون فى خطاهم وكأنهم لا يبصرون .

تحطمت آمال اليهود وانهارت أحلام السفهاء وانقلبت أفراح قتلة الأنبياء أتراحا حيث كانوا يتمنون بل يتوقعون سحق المسلمين فى هذه المعركة التى كان انتصارهم فيها على قريش ليس بداية تسلمهم مقاليد الأمور فى يثرب فحسب بل فى جزيرة العرب بل فى العالم بأثره الأمر الذى أطار صواب السفهاء وجعلهم يتوقعون نهاية أمرهم ، ففكروا وقرروا اتباع أسلوب جديد فى محاربة الإسلام ونبى الإسلام ﷺ .

اليهود ينقلون المعركة ضد الإسلام إلى صعيد أوسع :

بدلا من أن يعود السفهاء إلى صوابهم أمام ذلك النصر الساحق الذى حققته الدعوة الإسلامية فى المجالين الحربى والعقائدى ، تلك الدعوة التى تمكن حامل لوائها بصدق لهجته وصفاء نفسه ودماثة خلقه وشرف مقصده وحلمه الواسع ﷺ أن يضم تحت جناحى هذه الدعوة الحانية كل سكان يثرب دون أن يضطر إلى إراقة قطرة دم واحدة .

نعم بدلا من أن يعود اليهود إلى صوابهم ويستجيبوا لداعى الحق الذى يهتف بهم فإنهم ازدادوا عنادا ومكابرة وأرتفعت نيران حقدهم وحسدهم وطفحت صدورهم بدخان البغى لحامل لواء دعوة الإسلام ﷺ .

وفكر اليهود فى نقل المعركة ضد المبعوث للناس كافة ﷺ وأتباعه إلى صعيد أكثر فاعليه وأكثر شمولا .

فلم يكتف السفهاء بالصد عن الإسلام ومحاولة التشكيك للناس فى صدق أبى القاسم ﷺ وسلخهم عن الدين الجديد عن طريق الجدل والتزوير والتشويه والتشكيك حول جوهر الدعوة الجديدة الحقة داخل يثرب .

بل ذهب الحقد الأعمى والحرص القاتل على تقويض معالم الدعوة الإسلامية

والقضاء على حامل لوائها فى عقر دارها إلى أن يذهب منهم أحبار دينيون ووجهاء ماليون وزعماء سياسيون يطوفون فى أنحاء الجزيرة العربية بين مضارب البدو وفى الصحراء وأندية الحضر فى المدن والحواضر ، ولا بحملات دعائية سلاحها التنفير والتشكيك والتكذيب ضد دعوة سيد ولد آدم ﷺ فحسب كما فعلوا فى يثرب ، وإنما ليقوموا بتحذير القبائل العربية ويشرحوا لها خطر الدعوة الإسلامية ويدعوهم إلى مقاومتها بحد السلاح ، بل وتجهيز الجيوش للقضاء على هذه الدعوة ودعاتها فى مقرها الرئيسى قبل أن يستفحل أمرها فتقضى عليهم .

وكان هذا من السفهاء بداية خطيرة فى تطور الصراع بينهم وبين المسلمين الذين غيروا من نظرتهم التقليدية المتسامحة إلى المقاومة اليهودية للدعوة الإسلامية التى لم تعد كما كانت مجرد حرب دعائية سلاحها التنفير والتشكيك والإرجاف والتكذيب ، وإنما السعى لدى القبائل العربية الوثنية القوية الضارية وبث روح الكراهية بينها وبين المسلمين وتحريضها على حربهم وإغرائها عن طريق المال بغزو المسلمين وضربهم فى مقر دعوتهم الرئيسى ، مما حمل القيادة الإسلامية فى المدينة على تغيير أساليب حماية الدعوة مما يهددها من اليهود فى مخطط مقاومتهم الجديدة .

اليهود بعد انتصار المسلمين فى بدر:

كان السفهاء قبل معركة بدر يكتفون فى مقاومة دعوة الإسلام بشن حرب دعائية سلاحها إعنات خاتم النبيين ﷺ بالأسئلة الحرجة وإثارة عناصر اللبس والتشكيك حول الدعوة الإسلامية طمعا فى أن ينفض الناس من حولها ويفقدوا الثقة بحاملها فلا يبقى لها من خطر على سلطان اليهود فى يثرب .

وكان صاحب الخلق العظيم ﷺ إزاء كل هذا قد ترك للسفهاء مطلق الحرية ليجهروا برأيهم فى الدعوة الإسلامية بل وليبدوا طعونهم فى جوهرها ويجاهروا بتكذيب حاملها ، وكان حبيب الرحمن ﷺ يكتفى بإيضاح بطلان هذه الآراء ، وكان النبى الأمى القرشى الهاشمى المكى ﷺ يصغى إلى استجواباتهم المتعنتة فى صلب العقيدة والدين التى يتقدمون بها فى مناظرتها المعلنة فيجيبهم على هذه الأسئلة المثيرة بكل هدوء دون أن يبدو عليه انزعاج أو انفعال .

ولم يثبت أنه اتخذ أى إجراء تأديبى ضد هؤلاء السفهاء مع علمه ﷺ بأنهم فى استجواباتهم ومناظراتهم لا يبحثون عن الحق لاتباعه وإنما يبحثون عن المتاعب والشكوك لإثارتها فى وجه هذا الحق الذى جاء به خاتم الأنبياء ﷺ ، والذى يعرفونه قبل غيرهم أنه الحق فصاروا يقاومونه بكل وسيلة ممكنة بغيا وحسدا .

النبى ﷺ وحرية الرأى:

كان سيد الأولين والآخرين ﷺ بموقفه المتسامح الذى وقفه من اليهود الذين شنوا عليه وعلى دعوته حربا إعلامية واسعة متواصلة عنيفة فكان طبيب القلوب والنفوس والعقول ﷺ أول من وضع ونفذ قانون حرية الرأى فى القول والفكر للمخالفين فى العقيدة والدين .

فليس مشرعو القوانين الحديثة فى البلاد الديمقراطية من العالم الحر الذين يفخرون بأن حكوماتهم تمنح الفرد حرية الرأى والفكر ويعلن ما يريد أن يقول ولو كان هذا الرأى أو القول يتنافى مع رغبات الحاكم الأعلى ولا يتفق مع اتجاهاته إلا عيالا على ذلك القانون الذى وضع اسمه معلم البشرية الأعظم ﷺ وطبقه إزاء خصومه من مواطنيه فى العقيدة والدين والاتجاه منذ أكثر من أربعة عشر قرنا .

بل إن مشرعى القوانين الحديثة فى البلاد الديمقراطية الغربية لم يستطعوا حتى بداية القرن الحادى والعشرين أن يقتربوا فى مجال منح الحريات العامة مما أعطاه صاحب الخلق العظيم ﷺ فى هذا المجال من حريات مطلقة لمواطنيه ممن يخالفونه فى الرأى والعقيدة والدين كما رأينا فى مواقفه ﷺ المتعددة مع السفهاء الذين لم يتركوا وسيلة خسيسة أو دنيئة أو خبيثة من وسائل الإعلام إلا استخدموها ضد دعوة إمام الخير ﷺ وسخروها لتنفير الناس عنه وتشكيكهم فيما يدعو إليه بل الطعن صراحة فيه وفى رسالته .

ومع ذلك لم يقم ضدهم بأى أعمال تأديبية من سجن أو فرض غرامة أو نفى أو ما شابه ذلك مع العلم أنه ﷺ كان قادرا على ذلك لأن الأمة كلها - ما عدا اليهود - طوع إشارته .

وهذه المعاملة مع الخصوم فى مجال العقيدة والسياسة لم يستطع أرقى تشريع فى العالم المتحضر اليوم الوصول إليها .

فالقوانين العصرية فى البلاد المسماه بالديمقراطية فى الغرب تنص على إطلاق الحريات العامة للمواطنين على اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم وتحمى هذه الحريات **ولكن بشرط ألا تستخدم هذه الحرية للتخريب وإشاعة الفرقة بين الناس .**

أما إذا استخدمت الحريات لهذا الغرض فإن القوانين تمنع هذه الحرية وتضرب على أيدى مستغليها لذلك الغرض التخريبى الذى يؤدى فى النهاية **إلى هدم النظام القائم** وإذا رجعنا إلى محاضر معاملة صاحب الخلق العظيم ﷺ لليهود وجدنا **أنه قد وقف منهم تلك المواقف المتسامحة ومنحهم مطلق الحرية ليقولوا فيه وفى دينه ونظامه ما شاءوا ، مع العلم أنهم لا يقصدون بكل ما يقولونه من انتقادات ويتقدمون به من استجوابات حول الدين الجديد والنظام الذى جاء به من استجوابات حول الدين وإشاعة الفتنة بين الناس وإسقاط النظام لتبقى لهم السيطرة على المجتمع .**

وهذا هو الذى يجعلنا نجزم أن النظم فى البلاد الغربية المتحضرة وفى القرن الحادى **والعشرين لا تزال فى قوانينها حول منح الحريات العامة للفرد بعيدة كل البعد عن المنزلة التى وصل إليها القانون النبوى فى هذه الناحية وخاصة مع المخالفين له فى العقيدة والدين والاتجاه .**

الطريق الخطر :

ظل نبى الرحمة ﷺ على موقفه مع السفهاء حيث ذهب بهم فى التسامح إزاء انتقاداتهم واستفزازاتهم ودعاياتهم المغرضة إلى أبعد الحدود ، وحيث كانت مقاومتهم ومعارضتهم لدعوته لا تتعدى نطاق التسلح بالكلام والدعاية واللبس والتشويش والتكذيب ولكن السفهاء لما سلكوا **فى مقاومة الإسلام الطريق الآخر وهو طريق القوة** حيث بدأوا يتدرجون فى هذا الطريق الخطر مبتدئين بالتهديد بالحرف والطواف على القبائل العربية الوثنية . **وتحريضهم وإثارتهم وحشدهم لحرب النبى الخاتم ﷺ ومحاولة** اغتياله ﷺ شخصيا ، **سلك النذير البشير ﷺ فى مواجهة هذا التخطيط اليهودى الجديد طريقا آخر أكثر حزما .**

وكانت فعالية هذا الحزم لحماية الدعوة تتطور من جانب صاحب الشفاعة ﷺ وتتسع بتطور إيغال السفهاء وتوسعهم فى ميادين المؤامرات والتكتلات التى غايتها هدم

الدين الجديد والإطاحة بالنظام الذى جاء به عن طريق اللجوء إلى سفك الدماء .

وكان أول السفهاء المتحرشين بالمسلمين عسكريا هم يهود بنى قينقاع الذين كانوا أشجع الطوائف اليهودية فى الجزيرة العربية وكانوا من أغنياء المدينة فقد أخذوا يتحرشون بالمسلمين ويهددونهم بالحرب .

وقد كان انتصار المسلمين على المشركين فى غزوة بدر هو الذى أفقد السفهاء صوابهم وجعلهم ينقلون الحرب والمقاومة ضد المبعوث للناس كافة ﷺ ودعوته من الكلام إلى العمل الدامى والعنف وإيقاف تيار الدعوة ومقاومتها بالقوة وسفك الدماء . ولم يكن أبو القاسم ﷺ غافلا عما بدر من السفهاء بل كان يرقب حركاتهم المريبة منذ بدأوا يسلكون الطريق الخطر .

وكان يهود بنى قينقاع أول من سلك هذا الطريق وهدد بالحرب وإثارة الشغب على المسلمين ، وكان يهود هذه القبيلة من أصل عربى لهم حصون منيعة يعتزون بها وكانت ديارهم أقرب ديار السفهاء جميعا إلى المسلمين ، إذ تقع منازلهم داخل المدينة نفسها ، بينما تقع ديار بقية القبائل اليهودية وخاصة بنى قريظة والنضير خارج المدينة .

الرحمة المهداة ﷺ ينصح يهود بنى قينقاع :

لما ظهر تحرش يهود بنى قينقاع بالمسلمين ، واتضح عزمهم على الوقوف فى وجه الدعوة الإسلامية ولو عن طريق الحرب وسفك الدماء ، ولما بينهم وبين نبى الوفاء ﷺ من عهد وتحالف كره إمام الخير ﷺ الحرب وسفك الدماء ولجأ إلى النصح والمفاوضة فطلب الاجتماع بيهود بنى قينقاع ، فاجتمعوا إليه فى مؤتمر عقده معهم فى سوقهم - كانوا تجاراً للذهب والفضة - محاولا إصلاحهم وإرجاعهم عن غيهم وثنيهم عن الاندفاع فى الطريق الخطر طريق الحرب الذى لم يعد خافيا على أحد أنهم يهددون بسلوكه .

ولاشك أن صاحب الخلق العظيم ﷺ وهو الحريص على الأمن والاستقرار والحريص على حقن الدماء أيا كان نوعها ، لم يدع بنى قينقاع إلى ذلك الاجتماع والتحدث إليهم من بين جميع القبائل اليهودية فى يثرب إلا بعد أن تأكد أن لديهم النية الخبيثة وأنهم يقومون بنشاط فيه إخلال بالأمن ونقض المعاهدة المعقودة بينهم وبين

المسلمين وتهديد بالحرب .

وحاول أبو القاسم ﷺ فى هذا الاجتماع إرجاع يهود بنى قينقاع إلى جادة الصواب - النصح والمفاوضة - والتزام نصوص المعاهدة المبرمة بين المسلمين وبين كافة اليهود ، فنصحهم وذكرهم وحذرهم نتائج البغى والتحرش والعداون إن هم سلكوا طريقه ، وذكرهم بالثمار المرة التى جنتها قريش يوم بدر نتيجة تهورها ، وحمقها واندفاعها فى طريق الغرور والبغى والعدوان .

وقال عليه الصلاة والسلام :

- يا معشر يهود احذروا من الله ما نزل بقريش من النقمة .

ولكن سفهاء بنى قينقاع كان جوابهم على ذلك النصح النبوى الصادق غاية الغطرسة المشوبة بالوقاحة والتحدى مما أعطى الدليل على تصميمهم على سلوك طريق العنف والتهديد والحرب فقالوا :

- أترى يا محمد أنا قومك - يعنى قريشا - ؟ لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، أما نحن ، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

وأمام هذه الاستفزاز والتحدى الذى فهم منه صاحب لواء الحمد ﷺ أشياء لابد أن يفهمها كقائد أعلى مسئول ، كظم غضبه ولم يتخذ أى إجراء ضدهم كرد فعل لهذا التحدى والتهديد ، إلا أن المسلمين بعد ذلك ظلوا متيقظين يرقبون الأحداث فى انتظار ما ستتمخض عنه الليالى .

يهود بنى قينقاع ينقضون العهد :

كانت النية مبيتة وكان هناك مخطط مرسوم لدى هؤلاء السفهاء ، فأخذوا فى تحرشهم بالمسلمين واستفزازهم ومحاولة إثارتهم وجرهم إلى حرب يرغب السفهاء سلفا فى إثارتها .

وذات يوم كانت امرأة مسلمة جاءت بحلى لها لتبيعه فى سوق بنى قينقاع فى المدينة ، ولما جلست اجتمع عليها نفر من السفهاء يستفزونها ويتحرشون بها ، فأرادوا أن تكشف عن وجهها فأبت ذلك ، فعمد أحد اليهود إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها

وهى غافلة ، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحك السفهاء منها وسخروا ، فصرخت مستغيثة بالمسلمين الذين كان أحدهم حاضرا فوثب المسلم على اليهودى المعتدى فقتله ، فشد السفهاء على المسلم فقتلوه فوقع الشر بينهم .

ولم يكن هذا الحادث الفردى هو المبرر الوحيد الذى جعل الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ ليمشى إليهم ويضرب الحصار على يهود بنى قينقاع فقد كان هناك من الأسباب ما هو أكبر من هذا الحادث فقد صبر ومد رسول الله ﷺ حبل صبره إلى مالا نهاية ، لم كان الحصار بعد أن تأكد أنهم نقضوا العهد المبرم بينهما ومنابذته وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٢] .

حصار يهود بنى قينقاع :

رأى المبعوث رحمة للعالمين ﷺ لا مناص من الاحتكام وهؤلاء السفهاء المتمردين إلى السيف ، إذ لم يجد النصح والمفاوضة فرض الحصار عليهم بعد أن استعدوا لحرب المسلمين ، فاعتصموا بحصونهم ، وكان ذلك فى منتصف شهر شوال من السنة الثانية للهجرة وكان الحصار بقيادة أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب .

وقد دام حصار اليهود خمس عشرة ليلة ، قذف القوى المتين الرعب فى قلوبهم وانهارت معنوياتهم ، فطلبوا المفاوضة والتسليم .

ففاوضهم أبو القاسم ﷺ ، وانتهت المفاوضة باستسلام هؤلاء السفهاء دون قيد أو شرط ليحكم فيهم النبى ﷺ بما يريد الله ﷻ .

ونتساءل ما موقف بنى النضير ويهود بنى قريظة ؟

لم يحركوا ساكنا لنصرة إخوانهم السفهاء فى الدين ويبدو أن مرجع ذلك العداء القبلى المستحكم بين بنى قينقاع حلفاء الخزرج وبين بنى قريظة والنضير حلفاء الأوس .

المنافقون ويهود بنى قينقاع :

كان المنافقون بقيادة زعيمهم رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول يرقبون

باهتمام بالغ ما كان يجرى بين المسلمين وبين حلفائهم **يهود** بنى قينقاع ، وكانوا يتمنون من أعمق أعماقهم أن ينجح هؤلاء اليهود فى انتقاضهم وتمردهم على المسلمين .

وقدم عبد الله بن أبى بن سلول إلتماسا **إلى نبى الرحمة ﷺ باسم قومه الخزرج أن** يصدر أبو القاسم ﷺ عفوا عاما عن حلفائه يهود بنى قينقاع .

وتجاهل الصادق المصدوق ﷺ هذا الطلب **غير أن محاولات متكررة ورجاءات ملحة من رأس المنافقين فأصدر** المبعوث رحمة للعالمين ﷺ **عفوا عاما عن السفهاء شريطة أن يخرجوا من المدينة إلى أى مكان شاءوا .**

فجلوا عن مدينة رسول الله ﷺ **إلى الشام آمنين على أنفسهم وعلى ما قدروا على حمله من أموال .**

وبجلاء يهود بنى قينقاع **تخلصت المدينة من عنصر يعد من أخطر العناصر اليهودية فى يثرب .**

يقول المؤلف الإنجليزى المعروف الدكتور **مونتجمرى وات فى كتابه محمد نبى ورجل دولة :**

لقد طرد قبيلة قينقاع أحد العوامل الهامة التى عملت على تثبيت مركز محمد ودعمه .

طاغية اليهود الأكبر :

لم يتعظ باقى السفهاء بما نزل بيهود بنى قينقاع - **كانوا أشجع وأقوى وأثرى يهود** يثرب - بل ازدادوا توغلا فى سبل الكيد **للإسلام والعمل للقضاء عليه بقوة السلاح ،** إذ رأوا أن غير هذا الطريق الخطر لا يمكن **أن يصل بهم إلى أهدافهم الشريرة المبيتة** المدروسة .

وكان الطاغية الأكبر والمرابى الشهير وملك المال بين **يهود** يثرب **كعب بن الأشرف** اليهودى من أعظم السفهاء استخفافا بالمسلمين **وتحديا لهم وأكثرهم إيذاءا لصاحب** الخلق العظيم ﷺ وتحريضا عليه ، وكان كعب بن **الأشرف شاعرا مجيدا ،** فصار بالإضافة إلى كل ذلك يجرح شعور المسلمين فيشبب **بنسائهم - أم الفضل زوج العباس ابن عبد المطلب** عم رسول الله ﷺ - **ويتغزل فيهن بأسمائهن الصريحة** - وكان هذا

السفيه يرجع نسبة إلى قبيلة طيئ من يهود بنى النضير ، وكان له حصن منيع فى طرف المدينة جنوب وادى مهزور يحتوى على المياه وفيه ما يحتاجه هو وأتباعه من سلاح وميرة .

وكان كعب بن الأشرف أول حافز له على نقض العهد ومحاولة تحطيم المسلمين هو انتصارهم فى معركة بدر الكبرى ، وذلك أن هذا اليهودى لما بلغه انتصار المسلمين ورأى البشيرين زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة اللذين أرسلهما الصادق المصدوق ﷺ يبشران المسلمين بالنصر ، وسمع كعب بن الأشرف أسماء زعماء قريش وقادتها الذين صرعوا يوم بدر : أبو جهل بن هشام ، أمية بن خلف ، عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، نبيه ومنبه ابنا الحجاج ، النضر بن الحارث ، عقبة بن أبى معيط . . و . . و . .

وأسماء الأسرى : سهيل بن عمرو ، العباس بن عبد المطلب ، الوليد بن المغيرة ، عقيل بن أبى طالب ، عمرو بن أبى سفيان . . و . . و . .

فقال طاغية اليهود الأكبر فى حنق وغيظ :

- أحق هذا ؟ أترون محمدًا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان - يعنى زيدا وعبد الله بن رواحة ؟ - فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها .

التحريض على المسلمين:

بالرغم من المعاهدة المعقودة بين المسلمين والتزام اليهود بموجب هذه المعاهدة عدم تأييد أو مد يد العون لقريش عدو المسلمين رقم واحد ، وبالرغم من أن السفهاء لم يروا من المسلمين قبل غزوة بدر أو بعدها إلا الوفاء بالعهد وعدم إيصال أى أذى إلى اليهود فإن الطاغية كعب بن الأشرف قد اغتلم الحقد والغدر فى نفسه فضرب بكل العهود والمواثيق عرض الحائط ، وصمم على الانتقام من المسلمين بغيا وحسداً ليس إلا .

ولعجزه عن القيام منفرداً بأى عمل عسكرى حاسم ضد المسلمين ، فقد خرج من المدينة بقصد تحريض قبائل العرب على خاتم النبيين ﷺ وحشدهم ودعوتهم إلى شن الحرب على المسلمين ، وقد وصل فى جولاته التحريضية إلى مكة معقل قريش ، فقابل زعماءها وكانوا له أصدقاء ، وفى اجتماعاته بهم رثى قتلى قريش يوم بدر فقال :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ::: ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم ::: لا تبعدوا إن الملوك تصرع
كم قد أصيب به من أبيض ماجد ::: ذى بهجة يأوى إليه الضيع
طلق اليدين إذا الكواكب أخلفت ::: حمال أثقال يسود ويربع
ويقول أقوام أسر بسخطهم ::: إن ابن الأشرف ظل كعبا يجزع
صدقوا فليت الأرض ساعة قتلوا ::: ظلت تسوخ بأهلها وتصدع

ابن الأشرف : يعنى نفسه .

ثم قال يرثى أبا جهل بن هشام خاصة :

نبئت أن بنى المغيرة كلهم ::: خشعوا لقتل أبى الحكم وجدعوا

إلى غير ذلك مما قاله شعرا ونثرا فألهب كوامن الحقد الذى يملأ صدور قريش بشعره المهيج المثير ، فكان له اليد الطولى فى تحريك نفوس الموتورين وتحريضهم للأخذ بثأر يوم بدر ، ولم يرجع هذا السفيه من جولاته التحريضية إلا بعد أن قررت قريش غزو المسلمين فى عقر دارهم وقد أوعد طاغية اليهود الأكبر قريشا والموتورين بمد يد العون لهم عندما يقومون بغزو المسلمين .

واستمر كعب بن الأشرف فى غيه فلم يكتف بالهجاء بل شبب بأم الفضل بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وثانى امرأة أعلنت إسلامها بعد الطاهرة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين .

قال طاغية اليهود :

أراحل أنت لم تحلل بمنقبة ::: وتارك أنت أم الفضل بالحرم
صفراء رادعة لو تعصر انعصرت ::: من ذى القوارير والحناء والكتم
يرتج ما بين كعبيها ومرفقها ::: إذا تأتت قياما ثم لم تقم
اشباه أم حكيم إذا تواصلنا ::: والحبل منها متين غير منجذم
إحدى بنى عامر جن الفؤاد بها ::: ولو تشاء شفت كعبا من السقم
فرع النساء وفرع القوم ولدها ::: أهل المحلة والإيفاء بالذمم
لم أدر شمسا بليل قبلها طلعت ::: حتى تجلت لنا فى ليلة الظلم

منجذم : منقطع

مقتل طاغية اليهود :

لما رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة تعاظم شره وازداد خطره على كيان المسلمين ، إذ أصبح مصدر تهديد لسلامة يثرب بأجمعها لما يقوم به من تحديات وتحريضات ضد المسلمين سافرة ، يضاف إلى ذلك سلطانه المالى الذى أخذ يستخدمه للإخلال بالأمن والتحريض على الحرب ضد الإسلام ونبى الإسلام ﷺ الذى صبر على تحديات وتهديدات وإساءات هذا السفيه الأكبر الذى لم ير من نبى الوفاء ﷺ وصحبه إلا الوفاء بالعهد .

فهل رأى طاغية اليهود الأكبر أن حلم صاحب الخلق العظيم ﷺ ضعفا ؟

هل رأى السفيه المرابى أن وفاء نبى الرحمة ﷺ بعهده وهنا ؟

ولما وصل كعب بن الأشرف إلى هذه المنزلة منزلة العدو والناكث المجاهر بعدواته المحرض المتهيئ للحرب ، والذى لم يبق له مع ذلك عهد ولا ذمة كان على المبعوث للناس كافة ﷺ أن يضع حداً لطغيان هذا السفيه ليخلص المجتمع اليثربى من شروره وآثامه لأن بقاءه هكذا حرا يحرض على الحرب ويعمل على الإخلال بالأمن يعنى بقاء يثرب فى حالة قلق واضطراب مستمر .

لذلك قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ ذات يوم لأصحابه :

- من لى بابن الأشرف ؟ فقد آذى الله ورسوله .

فقال الصحابى الجليل محمد بن مسلمة :

- أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله .

فقال حبيب الرحمن ﷺ :

- فافعل إن قدرت على ذلك .

فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش - أبو نائلة - وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش والحارث بن أوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر فقتلوا طاغية اليهود الأكبر .

هدوء السفهاء بعد مصرع الطاغية .

لزم اليهود الهدوء وأسرعوا إلى جحورهم يرتجفون فزعا ، وانطووا على أنفسهم وقد عمهم الرعب بعد أن أوقف النذير البشير ﷺ من تحرشاتهم ومحاولاتهم العبث بالأمن والاستقرار تلك المواقف الحازمة التى تقضى مصلحة الأمة ويفرض النص القرآنى الصريح أن يقفها النبى ﷺ القائد المسئول عن كل مخرب خائن ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ ﴾ .[سورة الأنفال الآية : ٥٨]. أمر العزيز الحكيم بضرب قواعد الغدر والخيانة وشل حركتها قبل أن يتعاظم شرها .

فقد كانت محاصرة يهود بنى قينقاع الناكثين ثم إجلاؤهم عن المدينة ، والتمكن من قتل الناكث المحرض الخائن الطاغية الأكبر اليهودى كعب بن الأشرف درساً قاسياً فهل وعاه السفهاء جيدا ؟؟

لقد استكان السفهاء إذ لم يبد منهم لفترة محدودة أى تحرش أو استفزاز ، فاستقرت الأحوال فى الداخل بعد أن لزم اليهود وحلفاؤهم المنافقون الهدوء وتظاهروا بأنهم عند عهدهم وميثاقهم المبرم .

يوم أحد:

كان مخيريق أحد يهود بنى ثعلبة ، لما علم بمقدم قريش دعا يهود المدينة إلى نصر رسول الله ﷺ وقال لهم :

- والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم حق واجب .

فقالوا له :

- إن اليوم السبت .

فقال له :

- لا سبت لكم .

ثم أخذ سلاحه ولحق برسول ﷺ فقاتل حتى قتل ، ولما بلغ كاشف الغمة ﷺ مقتل مخيريق - فى جانب المسلمين - .

قال عليه الصلاة والسلام:

مخيريق خير يهود .

وقد أوصى مخيريق :

إن أصبت - أى قتلت - فمالى لمحمد يصنع فيه ما يشاء .

فجعل الرحمة المهداة ﷺ أموال مخيريق بعد قتله وكانت سبعة بساتين أوقافا بالمدينة لله ، فكانت أول أوقاف المدينة .

موقف اليهود بعد غزوة أحد :

تحركت كوامن الغدر والخيانة فى نفوس السفهاء من جديد بعد نكسة أحد وبعث الأمل فى نفوسهم فشجع اليهود على استعادة نشاطهم المشبوه ضد الإسلام ، فأخذوا يتحركون من جديد فاتصلوا بالمنافقين وصاروا مجتمعين يحبكون المؤامرات ويحيكون الدسائس ضد المسلمين وعلى الخصوص ضد الصادق المصدوق ﷺ ، فأثبتوا مرة أخرى أن العهود والمواثيق التى يبرمونها مع غيرهم إنما فى نظرهم مجرد حبر على ورق ، يتمسكون بها عندما تكون فى صالحهم ، وعندما يكونون فى حاجة إلى التمسك بها .

فاجعة بئر معونة :

فى شهر صفر من السنة الثالثة للهجرة وبعد أربعة أشهر فقط من غزوة أحد نزلت بالمسلمين نكبة مروعة لا تقل فى آثارها الموجعة عن نكبة أحد ، فقد جاء أحد سادات بنى عامر فى نجد وهو أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ بالمدينة فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد وقال :

- يا محمد : لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك .

فقال أبو القاسم ﷺ :

- إنى أخشى عليهم أهل نجد .

فقال أبو براء :

- أنا لهم جار .

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين - كانوا يسمون القراء - فيهم : عامر بن فهيرة ، الحارث بن الصمة ، حرام ابن ملحان ، عروة بن أسماء ، نافع بن بديل بن ورقاء . . و . . و . .

فلما علم عامر بن الطفيل العامرى وهو شاب وفتى طائش أرعن استخف بعضا من قومه الأشرار وبعضا من القبائل الأخرى المجاورة : رعل وذكوان والقارة وعتبة فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم وهم فى جوار عمه فأبادهم عن بكرة أبيهم بعد أن قاوموا مقاومة باسلة وبينما كان الصحابى الجليل عمرو بن أمية الضمرى خارج المدينة لقى رجلين من بنى عامر الذين غدروا بالقراء أصحاب رسول الله ﷺ فقتلهم وهو يظن أنه قد ثأر لأصحاب بئر معونة ، ولم يعلم أن النبى ﷺ قد أعطاهما عهداً بالأمان .

آثار نكبة بئر معونة :

اهتز المجتمع الإسلامى فى يثرب لهذه الفاجعة وتأثر نبى الرحمة ﷺ تأثرا عظيما ، بينما سر المنافقون والسفهاء سرورا بالغا .

وكان من أثر هذا السرور أن نفخ الشيطان فى مناخر يهود بنى النضير ونشطت فى نفوسهم نوازع الشر والغدر ، فتحركوا من جديد وعادوا إلى مؤامراتهم الخبيثة وفى هذه المرة توسعوا فى مخططاتهم مستغلين نكسة أحد ونكبة بئر معونة .

ولما علم رسول الله ﷺ ما فعله عمرو بن أمية الضمرى فقال له :

- لقد قتلت رجلين لأدينهما - أى فيهما الدية - .

لقد قرر نبى الوفاء ﷺ حسب أصول المعاهدات أن يبعث بديتهما إلى أهليهما فى ديار بنى عامر ، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عهد وحلف .

فخرج أبو القاسم ﷺ إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذلك القتيلين من بنى عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية للعهد الذى كان السراج المنير ﷺ أعطاهما .

ولما ذهب صاحب الشفاعة ﷺ إلى بنى النضير قالوا :

- نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه .

محاولة اغتيال النبى ﷺ :

كان السفهاء يتحينون الفرص ويتصيدون الأوقات المناسبة التى تمكنهم من اغتيال خاتم النبيين ﷺ والتخلص منه شخصيا دونما اللجوء إلى شن حرب شاملة سافرة ، لأنهم أجبن وأحقر من أن يخوضوا مثل هذه الحرب ضد المسلمين فى يثرب ، لهذا فقد كان وصول حبيب الرحمن ﷺ إلى ديار هؤلاء السفهاء منفردا مع أبى بكر وعمر وعلى فرصة تسنح لهؤلاء اليهود المجرمين لقتل إمام الخير ﷺ ، فشرعوا فورا فى اغتنام هذه الفرصة فى الحال لقتل إمام الخير ﷺ بشأن دية العامريين ، لم يترددوا فى إعلان الاستجابة إلى طلبه ولم يكن إعلان هذه الاستجابة إلا خدعة من هؤلاء السفهاء أرادوا بها تطمين السراج المنير ﷺ ليبقى فى ديارهم حتى يتمكنوا من اغتياله بعيدا عن المدينة ، وفعلا شرعوا لا فى جمع المال الذى وعدوا بتقديمه مساهمة فى دفع ديتى العامريين ، وإنما فى تنفيذ المخطط الذى رسموه ، فلما خلوا بعضهم إلى بعض قالوا :

– إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه .

كان خاتم النبيين ﷺ جالسا إلى جنب جدار من بيوت يهود بنى النضير فتساءل قتلة الأنبياء :

– فمن رجل يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة ويريحنا منه ؟

فانتدب عمرو بن جحاش بن كعب فقال :

– أنا لذلك .

فصعد عمرو بن جحاش ليلقى على سيد الأولين والآخرين ﷺ صخرة ، فجاءه الخبر من السماء بما أراد يهود بنى النضير فقام المعصوم ﷺ وخرج راجعا إلى المدينة .

فلما أبطأ الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ عن أصحابه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه :

– هل رأيت أبا القاسم ﷺ ؟

فقال الرجل :

– نعم رأيته داخلا المدينة .

فانطلق أبو بكر وعمر وعلى إلى المدينة ، فلما انتهوا إلى الهادى البشير ﷺ أخبرهم إمام الخير ﷺ بمحاولة يهود بنى النضير للغدر به .

وبعث صاحب لواء الحمد ﷺ الصحابى الجليل محمد بن مسلمة يأمر يهود بنى النضير بالخروج من جوار رسول الله ﷺ وبلده .

فبعث إلى سفهاء بنى النضير أهل النفاق يثبتوهم ويحرضوهم على المقام ، ويعدونهم فقويت نفوس يهود بنى النضير وبعثوا إلى نور الظلمة ﷺ أنهم لن يخرجوا ونابذوه بنقض العهود .

فأمر إمام المجاهدين ﷺ أصحابه بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم ، فتحصن سفهاء بنى النضير فى حصونهم ، فحاصرهم صاحب الشفاعة ﷺ خمس عشرة ليلة .

وكان منافقو بنى عوف قد بعثوا إلى يهود بنى النضير :

- أن اثبتوا فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم .

فتربص سفهاء بنى النضير ذلك من نصر منافقى بنى عوف . فلم يفعلوا .

فأنزل السميع البصير ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [سورة الحشر الآية : ١١] .

وبعد مرور عشرين يوما فقط على محاصرتهم شرعوا فى مفاوضة الرحمة المهداة ﷺ للتسليم ، وقد انتهت المفاوضات بالاتفاق على أن يجلوا سفهاء بنى النضير عن يثرب جلاء تاما حمله أن يحملوا من أموالهم ما يقدرون على حمله ماعدا السلاح .. فتم إجلاء هؤلاء السفهاء إلى خيبر والقليل منهم إلى الشام .

وبجلاء يهود بنى النضير عن المدينة لم يبق فى منطقة يثرب من اليهود سوى قبيلة واحدة هى قبيلة بنى قريظة ويبلغ عددهم رجالا ونساء حوالى ألفين .

وقيل :

كان يهود بنى النضير من أكثر أهل المدينة ثراء ، فقد أوقروا ستمائة بعير من الأموال التى قدروا على حملها وكانوا يتخيرون ما خف حمله وغلا ثمنه ، فحملوا معهم

كميات كبيرة من الذهب والفضة حتى إن سلام بن أبى الحقيق وحده حمل معه جلد ثور مما وعا ذهبا وفضة ، وكان عند خروجه من المدينة يضرب بيده على هذا الجلد المملوء بالذهب والفضة ويقول للمسلمين :

- هذا الذى أعددناه لرفع الأرض وخفضها ، وإن كنا تركنا نخلا ، ففى خيبر النخل .

وكان يهود بنى النضير عند مغادرتهم المدينة يعمدون إلى سقف بيوتهم وعمدها وجدرانها فينقضونها لئلا يستفيد منه المسلمون ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الحشر الآية : ٢] .

وقد أظهر يهود بنى النضير التجلد عند جلائهم فخرجوا من المدينة فى شبه مظاهرة حيث غادروها فى طوابير قد أركبوا النساء الهوادج فى أبهى زينة ، عليهن الديباج والحرير وقطف الخز الأخضر والأحمر وحلى الذهب والفضة ، تصحبهم فرق الموسيقى من القيان يضربن بالدفوف ويعزفن بالمزامير .

مركز التآمر فى خيبر :

رحب يهود خيبر بيهود بنى النضير وكان من زعماء بنى النضير الذين نزلوا مع قومهم فى خيبر حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع الذين يمتازون بالدهاء والمكر والحقد العارم على حبيب الرحمن ﷺ خاصة .

ولم يتعظ اليهود بما أصابهم فى المدينة وما حل بهم نتيجة غدرهم وخيانتهم وتآمرهم فلم تمض أيام معدودات على نزولهم خيبر حتى شرعوا بالاتفاق مع زعماء خيبر فى إعداد خطط التآمر الجديدة الموجهة ضد إمام الأنبياء ﷺ .

اليهود وغزوة الأحزاب :

لم يستطع أشراف بنى النضير وساداتهم أن ينسوا يوما أن محمدا ﷺ أخرجهم من ديارهم ، ففكروا فى أن يخرجوا إلى قريش وإلى قبائل العرب ليحزبوهم على أبى القاسم ﷺ ويزينوا لهم قتال المسلمين واستئصال شأفتهم قبل أن تشتد سواعدهم ويضعوا أيديهم على بلاد العرب جميعا .

فانطلق نفر من أشرافهم ووجوههم منهم : سلام بن أبى الحقيق ، حيى بن

أخطب ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، هوذة بن قيس الوائلى ، وأبو عمار االوائلى فى نفر من بنى النضير وفى دار الندوة دارت المفاوضات ، ودعا أشراف بنى النضير سادات قريش إلى حرب محمد ﷺ وقالوا :

- إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .

عداوة بدت من أفواههم وما تُخفى صدورهم أكبر ، دعوة محببة إلى قلوب أعداء خاتم الأنبياء ﷺ من وجوه قريش وأشرافها ، ولكن ذلك الدين الذى جاء به سيد ولد آدم ﷺ كان يشغل عقول القوم فلم يلبوا الدعوة إلى الحرب دون نقاش بل قالوا :

- يـــا معشـــر يهـــود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أو دينه ؟

كان أشراف اليهود ووجوههم يرون ثلاثمائة وستين صنما حول الكعبة وكانوا يعلمون أن جوف أول بيت وضع للناس قد دست فيه تماثيل كل شعوب الأرض وصار مخزنا للشرك بعد أن كان منارة للتوحيد ، وعلى الرغم من كل ذلك قال أهل الكتاب الأول والعلم دون خجل :

- بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

يا للسخرية ، أصحاب الكتاب الأول وحملة رسالة التوحيد يزعمون أن الوثنية خير من دعوة تدعو إلى عبادة الواحد الأحد ؟ .

إنها ضلالة تستحق اللعن وقد لعنهم الله من فوق سبع سموات ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ [سورة النساء الآية : ٥١- ٥٥] .

وسر قريش قول اليهود ودب النشاط فيهم وراحوا يتأهبون للحرب .

وخرج كنانة بن أبى الحقيق يسعى فى بنى غطفان ويحضهم على قتال رسول الله ﷺ

على أن لهم نصف تمر خيبر وأعلمهم أن قريشا قد بايعوهم على ذلك ، فأجابه عيينة ابن حصن الفزارى وكتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد فأقبل إليهم طليحة بن خويلد الأسدى فيمن أطاعه .

ونجح سفهاء بنى النضير فى إنشاء اتحاد من الأحزاب ضد المسلمين .

وخرجت قريش يقودهم أبو سفيان بن حرب وقد جمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب ، وجاءهم من أجابهم من بنى سليم ، وخرجت بنو مرة وأشجع ، وخرجت غطفان وفزارة وكانت الأحزاب عشرة آلاف وهم ثلاثة عساكر وملاك أمرها لأبى سفيان .

خطة الدفاع عن المدينة :

لما علم الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ أمر الأحزاب حفر مع أصحابه خندقا عميقا واسعاً على طول الجهة المفتوحة من المدينة .

وراح المنافقون يحاولون أن يثبطوا الناس عن خاتم النبيين ﷺ وجعلوا يقولون لإخوانهم الأنصار :

- ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس - أى هم قليل يشبعهم رأس واحد - ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه ، دعوا هذا الرجل - يعنون رسول الله ﷺ - فإنه هالك .

وأرسل اليهود إلى المنافقين وقالوا :

- ما الذى حملكم على قتل أنفسكم بيد أبى سفيان ومن معه ؟ فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لن يتركوا منكم أحدا ، وإنا لنشفق عليكم ، أنتم إخواننا وجيراننا هلم إلينا .

وأقبل رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبى سفيان ومن معه وقالوا :

- ما ترجون من محمد ؟ فو الله ما يرفدنا - يعيننا - بخير وما عنده خير ، ما هو إلا أن يقتلنا ههنا ، انطلقوا إلى إخواننا وأصحابنا - يعنى اليهود - .

وطفق رأس المنافقين وأصحابه يزينون الانطلاق إلى اليهود والدخول معهم فى حصونهم وترك رسول الله ﷺ وأصحابه للأحزاب ليلقوا مصيرهم المحتوم ، فلم يزدد

المؤمنون بقول المنافقين إلا إيمانا واحتسابا .

وأقبلت قريش ومن معها من الأحزاب تحدوهم الآمال العريضة فلما رأوا الخندق أربدت وجوههم وانقبضت أفئدتهم وانهارت قصور الأمانى التى بنوها فى الهواء وقالوا فى غيظ :

- والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

وكان أكثر الأحزاب غيظا حيى بن أخطب فهو الذى خرج بالموتورين من بنى النضير ليحرض قريشا وغطفان وقبائل العرب على قتال خاتم النبيين ﷺ .

أتذهب كل الجهود التى بذلها هباء ؟ وهذه الجيوش التى أغراها بدهائه ودهاء اليهود على أن تتحرك للانتقام أتعود من حيث جاءت دون أن تثأر من عدوه وعدوهم؟

إن فى المدينة يهوداً قد عاهدوا محمداً ﷺ على أن يقوموا بالدفاع معه عن مدينتهم ، فلو أمكنه أن يغريهم على نقض عهدهم فإن تحصين المدينة كله سينهار وسيصبح القضاء على المسلمين ونبى الإسلام أمرا لا مفر منه .

إنه قادر على أن يغرى بنى قريظة على نقض عهدهم ، سيقنعهم أن نبى الإسلام صياد اليهود فإن كان سيستعين بهم اليوم فلن يكون مصيرهم إلا كمصير بنى قينقاع وبنى النضير غدا ، سيطردهم من جواره شر طردة .

واستراح حيى بن أخطب إلى أفكاره بعض الشىء فقد عاوده الأمل بعد أن كاد أن يقبر فى ذلك الخندق الذى ضربه المسلمون حول المدينة .

وراحت الأيام تمر والأحزاب فى غيظ شديد فالخندق يحول بينهم وبين المسلمين .

شيطان خيبر فى حصون بنى قريظة :

كان حيى بن أخطب سيد بنى النضير يقول لأبى سفيان بن حرب أثناء مسيرة معه :

- إن قومى بنى قريظة معكم وهم أهل حلقة - سلاح - وافرة وهم سبعمائة مقاتل وخمسون مقاتلاً .

فلما رأى الأحزاب الخندق وتيقنوا أنهم لن ينالوا من محمد ﷺ والذين معه إلا إذا خان وغدر يهود بنى قريظة العهد الذى كان بينهم وبين المسلمين وطعنوا خاتم النبيين ﷺ

وأصحابه من الخلف فيسروا دخول الأحزاب المدينة فيقضوا على الإسلام قضاء مبرما .

فقال أبو سفيان لحيى بن أخطب :

- ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم وبين محمد .

فانطلق شيطان خيبر إلى بنى قريظة ليدعوهم إلى اغتنام فرصة وجود الأحزاب وحسن لهم الغدر بالمسلمين والمشاركة مع جيوش الأحزاب فى استئصال شأفة المسلمين ، هذا الاستئصال ما كان شيطان خيبر الحاقد يشك لحظة فى نجاح عمليته .

أتى حيى بن أخطب كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة وولى عهدهم فدق عليه باب حصنه فأبى أن يفتح له ، وألح شيطان خيبر عليه فى ذلك فقال له كعب :

- ويحك يا حيى إنك امرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر فيه إلا وفاء وصدقا .

فقال حيى بى أخطب :

- ويحك افتح لى أكلمك

قال كعب بن أسد القرظى :

- ما أنا بفاعل

فغاظه شيطان خيبر وقال له :

- والله ما أغلقت بابك دونى إلا تخوفا على جشيشتك - الجشيش : الدشيش - أن أكل معك منها .

ففتح كعب لحيى بن أخطب فقال :

- ويحك يا كعب ، جئت بعز الدهر ، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجمع الأسيال ، وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب أحد - جبل - وقد عاهدونى وعاقدونى ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه .

فقال كعب بن أسد القرظى :

- جئتنى والله بذل الدهر وكل ما يخشى ، فإنى لم أر فى محمد إلا صدقا ووفاء ،

ويحك يا حيى دعنى وما أنا عليه .

فلم يزل شيطان خيبر بكعب بن أسد القرظى حتى أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يقتلوا محمدا أن يكون معه فى حصنه ويصيبه ما أصابه .

كان ما عرضه حيى بن أخطب على كعب بن أسد القرظى جد خطير : **وإنه نقض لعهد رجل يزن الأمور بميزان العدل لا يميل مع الهوى** ، بل سبيله الحق ودرء كل خطرعن الدين الذى يدعو إليه ، فإن أخفق تدبر حيى بن أخطب وكعب بن أسد **فسيدفع يهود بنى قريظة أفدح ثمن يدفعه ناقضو العهود وخائنو دولة .**

وإن نجح تدبيرهما فستتحقق أمنية السفهاء : **أن يقتل الرجل الذى اعترف بالسيد** المسيح عليه السلام ، وبالحمل الطاهر فسفه بذلك أحلام آبائهم الذين آبوا أن يقروا أن عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول .

دعا كعب بن أسد القرظى زعماء بنى قريظة : الزبير بن باطا ، عزال بن ميمون ، شاس بن قيس ، عقبة بن زيد ، عمرو بن سعدى .

وأحضر الصحيفة التى تتضمن نص العهد المعقود بين إمام الخير ﷺ ويهود بنى **قريظة وطلب منهم الموافقة على تمزيقها إيذانا بنقض العهد والانضمام إلى الأحزاب .**

فوافق الجميع إلا عمرو بن سعدى فقال :

- والله لا أغدر بمحمد أبدا .

وساند الزعيم القرظى ثعلبة وأسيد ابنا سعية ، أسد بن عبيد وأما كعب بن أسد القرظى فقد تغلب طيشه وحلمه فمزق الصحيفة التى تتضمن نص العقد الذى بينه وبين المسلمين .

وبينما كان حبيب الرحمن ﷺ وأصحابه فى ضيق وخوف ﴿ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ١٠] .

جاءهم نبأ بنى قريظة ونقضهم العهد وأنهم حاربوا مع الأحزاب فاشتد الأمر على رسول الله ﷺ ، **فنقض العهد يجعل المدينة كلها بمن فيها لقمة سائغة للأحزاب .**

وبعث أبو القاسم ﷺ الصحابيين الجليلين سعد بن معاذ سيد الأوس وحليف بنى

قريظة وسعد بن عبادة سيد الخزرج وهما قطبا الأنصار ومعهما الصحابيان الجليلان أسيد بن حضير وعبد الله بن رواحة وقال لهم :

- انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم ؟ فإن كان حقا فألحنوا إلى لحناً أعرفه دون القوم - المسلمين - وإلا فاجهروا بذلك بين الناس .

كان طبيب القلوب والنفوس والعقول ﷺ يريد من أصحابه أن يوروا ويكنوا فى كلامهم بما لا يفهمه المسلمين إذا كان بنو قريظة قد غدروا لكيلا يدب الوهن والضعف فى قلوب المسلمين ولا تتضعضع روحهم المعنوية .

فخرجوا حتى أتوا بنى قريظة فوجدوهم قد نقضوا العهد وقالوا فى استخفاف :

- من رسول الله ؟

وتبرءوا من عهده وقالوا فى جرأة ووقاحة :

- لا عهد بيننا وبين محمد .

فشتمهم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه وأغلظ لهم القول سعد بن عبادة وكانت فيه حدة وشاتموه ، فقال سعد بن معاذ لسعد بن عبادة :

- دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة .

ولما علم صاحب الخلق العظيم ﷺ الخبر قال :

- الله أكبر ، أبشروا يا معاشر المسلمين نصرة الله تعالى وعونه .

وتقنع المبعوث للناس كافة ﷺ بثوبه واضطجع ومكث طويلا ، فاشتد على المسلمين البلاء والخوف حين رأوه ﷺ اضطجع ثم رفع رأسه فقال :

- أبشروا بفتح الله ونصره .

وانتشر الخبر بين المسلمين أن بنى قريظة قد نقضت العهد وحاربت مع الأحزاب فعظم البلاء عليهم والتفوا حول نبى الرحمة ﷺ يلتمسون منه العون عليه الصلاة والسلام فقال :

- حسبنا الله ونعم الوكيل .

وجاءت قريش والأحزاب من فوق المسلمين ، وتحركت بنو قريظة من أسفل منهم حتى ظن المسلمون كل ظن ، وتقدم رماة الأحزاب يرمون المسلمين بالنبل وظهر النفاق من المنافقين فقال بعضهم :

- كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، ﴿ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ١٢] .

ولم تكتف فئات المنافقين بالإرجاف والسخرية من الإسلام وبث روح الانهزام بين صفوف جيش المسلمين بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث أخذوا فى الانسحاب والتحريض على الانسحاب من الجيش فى ذلك الظرف الدقيق الذى يمر به الكيان الإسلامى كله هادفين من وراء ذلك كله مساندة الأحزاب وتسهيل مهمتهم بطريق غير مباشر ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ١٣] .

وهكذا ازدادت حالة المسلمين دقة وازداد موقفهم تحرجا .

وحاول المبعوث رحمة للعالمين ﷺ فى هذه الظروف الخانقة التى بلغت فيها الخطورة والاختناق بالجيش الإسلامى الذروة أن يخفف الضغط الخانق الذى يتعرض له جيشه الصغير والذى ينتظر أن يتعرض لمزيد من الأخطار المزلزلة إذا ما وفت بنو قريظة الخائنة بوعدها للأحزاب وشنت قواتها الهجوم من الخلف على الجيش الإسلامى الذى أصبح بين فكى كماشة أو كحبة بين فكى رحى .

بعث الرسول القائد ﷺ إلى قائدى غطفان سرا وهما عيينة بن حصن الفزارى والحارث بن عوف المرى وعرض عليهما أن ينسحبا بجيوشهما ويعودا إلى بلادهما على أن يدفع المسلمون لهما مقابل ذلك ثلث ثمار المدينة كلها من مختلف الأنواع لسنة واحدة . ووافق عيينة والحارث على هذا العرض وتم مبدئيا الاتفاق على عقد الصلح ولم يبق لإنفاذه إلا توقيع الطرفين وإشهاد الشهود ، وأراد السراج المنير ﷺ استشارة الأنصار فبعث إلى زعيم الأوس سعد بن معاذ وزعيم الخزرج سعد بن عبادة فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقالا :

- يا رسول الله ، أمرا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شيئا تصنعه لنا ؟

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- لو أمر الله لما شاورتكما والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر شوكتهم إلى أمر ما .

فرفضا سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وقالا :

- والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

فعاد قادة غطفان من معسكر المسلمين وقد أدركوا حقيقة كانوا يجهلونها كل الجهل وهى أن الذى يصنع الانتصارات الحقيقية ويبعث الأمن والطمأنينة فى النفوس ساعة الشدة والروع ليس كثرة الجيوش وقوتها وإنما الذى يصنع كل ذلك هو قوة العقيدة وزخم الإيمان بالقوى العزيز .

وظلت الصفوة المختارة من صحابة رسول الله ﷺ **الأبرار بجانب إمام الخير القائد** العظيم ﷺ **صامدة ثابتة فى تلك الليالى الحاسمات المثقلات بالمحن والكروب فى انتظار** ما ستتمخض عنه هذه الليالى من أحداث خطيرة مقلقة لا يعلم مداها إلا العليم الخبير **وخاصة ما يتوقعه المسلمون من هجوم تقوم به بنو قريظة الغادرة على الجيش الإسلامى** من الخلف .

نقطة التحول فى المعركة عسكريا :

اتفق قادة الأحزاب على أن يكون لكل واحد منهم يوم ، يقود فيه عمليات الاستفزاز والمناوشة على مشارف الخندق ، فصار خالد بن الوليد ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعمرو بن العاص ، وضرار بن الخطاب ، وهبيرة بن أبى هبيرة ، ونوفل بن عبد الله كل واحد من هؤلاء القادة يقوم بهذه العمليات لمدة يوم وليلة دونما انقطاع .

وظل الحال هكذا ترام بالنبل وجولان بالخيل للإرهاب من جانب قريش ودوريات مستمرة منتظمة تطوف بالخندق من الجانبين ثم قام فريق من فرسان الأحزاب باقتحام الخندق بخيلهم من ناحية ضيقة منه فنقلوا المعركة جزئيا إلى معسكر المسلمين وراء الخندق .

واقتحم عمرو بن عبد ود العامرى الخندق وكان من أشهر فرسان العرب أصيب يوم بدر بجراحات ثم ولى الأدبار ولم يشترك يوم أحد - لأنه كان لا يزال جريحا - فنذر أن لا يمس رأسه دهن حتى يقتل محمدا وقد جاء مع الأحزاب ليمحو عار فراره وليعلن للملأ أنه لا يزال الفارس الذى لا يشق له غار وطلب المبارزة ، فلم يخرج إليه أحد ، ولما كرر عمرو النداء وقال :

- من يبارز .

خرج إليه على بن أبى طالب فقتله فكبر المسلمون وقال إمام الخير ﷺ :

- لمبارزة على لعمرو بن عبد ود أفضل من أعمال أمتى إلى يوم القيامة (رواه الحاكم فى المستدرك) .

فقد كانت أشجع ضربة فى الإسلام .

هجوم اليهود على النساء :

نفذ اليهود ما طلب الأحزاب منهم فقاموا بالإغارة على الحصون والآطام التى وضع المسلمون فيها نساءهم وأطفالهم وكانت هذه الحصون قريبة من مواقع الجيش الإسلامى وراء الخندق ، ولم يكن حصن أحصن من حصن بنى حارثة فجعل النبى ﷺ النساء والذرارى والصبيان فيه ، وحاول أحد اليهود أن يطيف بالحصن فقامت إليه صفية بنت عبد المطلب بعمود وضربته فقتلته ، ولما فرغت منه قالت لحسان بن ثابت - شاعر رسول الله ﷺ - :

- يا حسان انزل إليه فاسلبه ، فإنه لا يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل .

قال حسان بن ثابت :

- مالى بسلبه حاجة يا بنت عبد المطلب .

فقطعت صفية بنت عبد المطلب رأس اليهودى وألقت به على اليهود الذين كانوا حول الحصن فراعهم ذلك وانسحبوا مذعورين وهم يظنون أن هناك حرسا من الجيش الإسلامى يحمون النساء وقال هؤلاء السفهاء بعضهم لبعض :

- قد علمنا أن لم يك - أى النبى ﷺ - يترك أهله خلوفا ليس معهم أحد .

ثم تفرقوا .

وهكذا أقلق اليهود المسلمين بتحريشهم بالنساء والذرارى - مما اضطر المسلمون إلى أن يضاعفوا من قوات الحراسة لحماية نسائهم وأطفالهم من اليهود - مما أنقص عدد قواتهم الرئيسية المرابطة على مشارف الخندق لمواجهة الأحزاب .

وشعر المشركون بالنقص الملموس فى قوات المسلمين المواجهة لهم على الخندق ، فاغتنموا الفرصة وأطبقوا عليهم من ناحية وأشغلوهم إلى درجة الإرهاق والإعياء ، فلم يتركوا لهُم فرصة يستريحون فيها أو حتى يؤدون فريضة الصلاة إذ أجبروهم على المرابطة ليلا ونهارا على مشارف الخندق فى حالة تامة لا يفارقهم السلاح .

وبعد حوالى اثنتين وعشرين ليلة من الحصار الخانق الشديد بلغت حالة المسلمين المحصورين من الخطورة إلى درجة ليس بعدها إلا الانهيار ، كانت ليالى الخندق الرهيبة مختبرا صهر السميع البصير فى بوتقة محنها وبلاياها أمة محمد ﷺ مرة أخرى ليعلم - وهو أعلم بعباده - الصادق من الكاذب ويميز الخبيث من الطيب ، فلم يثبت مع إمام المجاهدين ﷺ فى خضم تلك البلايا المتلاحقة التى تأخذ بعضها برقاب بعض إلا ذو الإيمان الراسخ رسوخ الجبال فلم يبق حول خاتم النبيين ﷺ إلا حوالى ثلاثمائة مقاتل فقط ، وماذا يفعل ثلاثمائة رجل - ينقصهم كل شىء مادى إلا الإيمان - أمام عشرة آلاف مقاتل لا ينقصهم شىء مادى ؟

التحول الخطير فى الموقف :

كان رسول الله ﷺ يدعو :

اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب اهزم الأحزاب .

اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم .

ثم قام يصلى . . وإذا برجل جاء مع الأحزاب شرح العزيز الحكيم صدره للإسلام فى تلك اللحظات الحاسمة من تاريخ الإسلام فسخر مواهب هذا الرجل الألمعى فى الذكاء والدهاء ليغير مجرى الأحداث الخطيرة ويقلب موازين القوى لصالح الفئة القليلة المؤمنة الصابرة الثابتة فى مهب العاصفة . . وتحدث المعجزة .

دخل نُعيم بن مسعود وهو من قبيلة غطفان النجدية التى يمثل رجالها أكبر أجنحة الاتحاد القرشى الغطفانى اليهودى العسكرى الذى جاء لاحتلال المدينة وسحق الإسلام فيها وكان نعيم بن مسعود من وجوه القوم والشخصيات المشهورة فى المحيط العربى واليهودى ، وكان من كبار المستشارين فى قيادة الأحزاب .

والحكمة أرادها الله ﷻ أو استجابة لدعاء حبيبه ﷺ تسلل نعيم بن مسعود تحت جناح الظلام من معسكر الأحزاب وقد شرح الله قلبه للإسلام فوجد خاتم النبيين ﷺ يصلى ، فلما فرغ من صلاته قال له :

- ما جاء بك يا نعيم ؟

قال نعيم بن مسعود الأشجعى :

- جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق .

وصمت نُعيم بن مسعود قليلا ثم قال :

- يا رسول الله إنى قد أسلمت وأن قومى لم يعلموا بإسلامى فمرنى بما شئت .

قال نبى الرحمة ﷺ:

- إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة .

داهية الخندق عند بنى قريظة :

كان نعيم بن مسعود الأشجعى نديما لبنى قريظة فى الجاهلية ، صديقا لهم وهو الذى تحدث فى الجاهلية فى خانة من حانات اليهود فى المدينة - قبل تحريم الخمر - وهو سكران عن قافلة لكفار مكة سلكت طريق العراق إلى الشام وكان فى الحانة أحد الصحابة فسارع بنقل الخبر إلى النبى ﷺ فأرسل سرية بقيادة زيد بن حارثة فنجح زيد فى الاستيلاء عليها .

مشى نعيم بن مسعود إلى بنى قريظة وهم لا يعلمون بإسلامه فقال لهم :

- يا بنى قريظة : قد عرفتم ودى إياكم وخاصة ما بينى وبينكم .

قالوا :

- صدقت ، لست عندنا بمتهم .

قال نعيم بن مسعود :

- إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة - فرصة - أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل - يعنى رسول الله ﷺ - ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ليكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه .

قال يهود بنى قريظة :

- لقد أشرت علينا بالرأى .

وانتاب الخوف والفزع يهود بنى قريظة الغادرة وبدأت تشعر بالحاجة الماسة إلى ضمانات تحميها من أن ينزل بها عقاب الخيانة الصارم الذى بدأ شبحه المخيف يقلق بالها وشكر يهود بنى قريظة لنعيم بن مسعود مسعاه وقالوا :

- لن نقاتل معهم حتى نأخذ منهم رهنا من أشرافهم سبعين رجلا يكونون بأيدينا ثقة لنا .

نعيم بن مسعود وأبو سفيان بن حرب :

خرج نعيم بن مسعود حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان ومن معه :

- قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا ، وإنه بلغنى أمر قد رأيت منه على حقا أن أبلغكموه نُصْحًا لكم فاكتموا عنى .

قالوا :

- نفعل ، فما هو ؟

قال داهية الخندق :

تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه :

- إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ من القبيلتين - قريش وغطفان - رجالا من أشرافهم ونعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى حتى تستأصلهم ؟

فأرسل إليهم :

- نعم

فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا .

نعيم بن مسعود فى معسكر غطفان :

بعد أن ترك نعيم بن مسعود نفوس وأفكار القرشيين نهبا لنوازع الشك والريبة والحقد والغضب على حلفائهم السفهاء بنى قريظة ، انطلق إلى قومه غطفان فى معسكرهم فاجتمع بعيينة بن حصن الفزارى وطليحة بن خويلد الأسدى والحارث بن عوف المرى وقال لهم :

- يا معشر غطفان إنكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس إلى ولا أراكم تتهمونى

قالوا :

- صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم .

قال داهية الخندق :

- فاكتموا على .

قالوا :

- نفعل .

ثم قال لهم مثلما قال لقريش ، وحذرهم ما حذرهم من أن يجيبوا يهود بنى قريظة إلى ما طلبوا من تسليم الرهائن .

فشكروا له صنيعه وأكدوا له أنهم لن يسلموا لبنى قريظة رهينة ولا رجلا واحدا .

فهل نجح نعيم بن مسعود الأشجعي في نسف التحالف الوثني اليهودي ؟

وفد الأحزاب إلى بني قريظة :

لما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان بن حرب رؤوس غطفان وعكرمة بن أبي جهل إلى بني قريظة فقالوا لهم :

- إنا لسنا بدار مقام ، وقد هلك الخف والحافر - الإبل والشاء - فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه .

فأرسلوا إليهم :

- إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، وقد كان بعضنا أحدث فيه حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة حتى نناجز محمدا ؛ فإنا نخشى إن ضرستكم - طحنتكم - الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه .

فلما رجعت الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان :

- والله الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق .

فأرسلوا إلى بني قريظة :

- إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا .

فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا :

- إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل .

فأرسلوا إلى قريش وغطفان :

- إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا .

فأبوا عليهم .

وقال أبو سفيان بن حرب .

- ألا أرانى أستعين بإخوة القردة والخنازير .

نعيم بن مسعود فى بنى قريظة : ثانية :

جاء داهية الخندق إلى يهود بنى قريظة وقال لهم :

- كنت عند أبى سفيان وقد جاءه رسولكم فقال :

- لو طلبوا منى عناقا - العناق : الأنثى من ولد المعز - ما دفعتها لهم .

فقالوا :

- والله لن نقاتل معهم حتى يعطونا سبعين رجلا منهم .

شيطان بنى النضير يحاول رأب الصدع :

حاول رأس الفتنة حيى بن أخطب إنقاذ الموقف المتدهور بين الأحزاب وبنى قريظة ، فذهب إلى سفهاء بنى قريظة محاولا إقناعهم بالاشتراك فى الهجوم مع الأحزاب على المسلمين ولكن محاولته باءت بالفشل فقد أصر بنو قريظة على موقفهم المتشدد وقالوا لشيطان بنى النضير :

- والله لا نقاتل معهم حتى يدفعوا إلينا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا فاستحكمت حلقات الأزمة بين السفهاء وقيادة الأحزاب وأصبح التوفيق بينهم مستحيلاً فقد نجح داهية الخندق ومخذل الأحزاب فى نسف التحالف الوثنى اليهودى .. وتنفس المسلمون الصعداء .

يهود بنى قريظة يفاوضون النبى ﷺ فى الصلح :

لما تفاقم الخلاف بين الأحزاب وبين يهود بنى قريظة ورفضت قيادة الأحزاب إعطاء اليهود الرهائن الذين طلبوا ، اتصل يهود بنى قريظة بسيد الأولين والآخرين ﷺ يطلبون الصلح على أن يسمح النبى الخاتم ﷺ بعودة إخوانهم بنى النضير إلى المدينة ، ولكن الصادق المصدوق ﷺ رفض هذا الطلب .

وعلى كل حال فإن الشقاق قد حصل بين الأحزاب وحلفائهم الجدد يهود بنى

قريظة ، وظن بعضهم ببعض سوءا ، وبلغ الخلاف والتنافر بين الفريقين - الأحزاب واليهود - إلى درجة أصبح الحلف العسكرى المعقود بينهما فى حكم المنتهى ، وراح كل منهما يلقى باللوم ويحمل الآخر مسئولية انفصام عرى هذا الحلف .

انهيار الاتحاد الوثنى اليهودى:

عندما وصل الخلاف والتنافر إلى هذه الدرجة ، فكرت القيادة المشتركة للأحزاب فى إنهاء الحصار المضروب على مدينة رسول الله ﷺ ، والرجوع بجيوشها إلى بلادها وترك اليهود وشأنهم ليلقوا مصيرهم الذى لا يعلمه إلا علام الغيوب ، لاسيما وأن التذمر والاستياء أخذ يظهر فى معسكر الأحزاب الذى ظل جنوده وهم أكثر من عشرة آلاف معوقين مجمدين أمام الخندق لا يستطيعون القيام بأى عمل حاسم ضد المسلمين وهذا مما بعث السأم والضيق فى نفوس هؤلاء الجنود الذين لم يألفوا طيلة حياتهم فى الحروب التجمد والمرابطة أمام المدن ، وإنما ألفوا الحروب الخاطفة والغارات السريعة التى لا تستغرق عملية القيام بها سوى يوم أو بعض يوم ، يضاف إلى هذا أنه فى الوقت الذى كانت المدينة على وشك السقوط فى قبضة الأحزاب واليهود دب الخلاف بينهما وهبت على المنطقة التى يعسكر فيها الأحزاب رياح هوج كانت لقوتها تقتلع الخيام وتهدم الأبنية وتكفأ القدور ولا تترك ناراً تشتعل ويصور القرآن العظيم هذا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ٩- ١٠].

أبو سفيان يأمر بانسحاب الأحزاب:

أزعج الأحزاب هذا الوضع إلى درجة جعلت معها القائد العام أبو سفيان بن حرب بعد أن تشاور مع بقية القيادة المشتركة إلى إصدار الأوامر إلى جنود الأحزاب بالانسحاب ويعود كل منهم إلى دياره .

وعندما عزم الأحزاب على الانسحاب وإنهاء الحصار قرر أبو سفيان بن حرب أن يكون الانسحاب منظما وأن يكون فى حماية قوات مسلحة منظمة تتولى الإشراف عليه ، فأمر خالد بن الوليد وعمرو بن العاص أن يتوليا الإشراف على تنظيم هذا

الانسحاب ، ويقوما بحماية مؤخرة جيش الأحزاب حتى لايقوم المسلمون بضربها ساعة الانسحاب .

ونصر القوى العزيز حبيبه ﷺ ، ورحل الأحزاب إلى بلادهم يجرون ذيول الخيبة ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٥] .

تصفية الحساب بأمر السماء :

عاد إمام المجاهدين ﷺ إلى مدينته من الخندق وقت الظهر فصلى بالناس ، ثم دخل بيت أم المؤمنين عائشة ودعا بماء فاغتسل ، ودعا بالمجمرة ليتبخر وبينما هو يستريح وقد وضع السلاح إذ نادى مناد :

- عذيرك من محارب - أى من يعذرك -؟

فارتاع لذلك حبيب الرحمن ﷺ ، ووثب وثبة منكرة ، وخرج فخرجت فى أثره أم المؤمنين عائشة ، إذ رجل على دابة وخاتم الأنبياء ﷺ يكلمه وهو متكئ على معرفة الفرس .

تقول عائشة :

فرجعت .

فلما دخل النبى ﷺ قلت :

- من ذلك الرجل الذى تكلمه ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

- بمن تشبهينه ؟

قلت :

- بدحية الكلبى .

قال ﷺ :

- ذاك - بكسر الكاف - جبريل - عليه السلام - أمرنى أن أمضى إلى بنى قريظة .

وقيل :

لما أصبح رسول الله ﷺ انصرف من الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون قد وضعوا السلاح ، فلما كانت الظهيرة أتى جبريل عليه السلام السراج المنير ﷺ معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحاله ، عليها قطيفة من ديباج فقال :

- أو قد وضعت السلاح يا رسول الله ؟

قال المصطفى ﷺ :

- نعم .

قال جبريل عليه السلام :

- ما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك بالسير إلى بنى قريظة ، فإنى عامد إليهم فمزلزلهم .

وقيل :

إن الرحمة المهداة ﷺ طلب التأجيل أياما ، ليأخذ فيها جنده المتعب قسطا من الراحة فقال لجبريل :

- إن فى أصحابى جهدا فلو نظرتهم أياما .

فقال جبريل عليه السلام :

- انهض إليهم فو الله لأدقنهم كدق البيض على الصفا - الحجر الأملس - ولأدخلن فرسى هذا عليهم فى حصونهم ثم لأضعضعنها .

وأمام هذا الأمر العاجل بالزحف على حصون بنى قريظة لم يسع المبعوث للناس كافة ﷺ أن يسارع بتنفيذ أمر ربه الذى تلقاه من جبريل عليه السلام .

أصدر القائد الأعلى صاحب لواء الحمد ﷺ أوامره الحازمة العاجلة إلى جند الإسلام بالتحرك فورا نحو منازل يهود بنى قريظة لتصفية الحساب معهم .

وأمر سيد الأولين والآخرين ﷺ بلال بن رباح أن يؤذن فى الناس :

- من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة .

وبعث مناديا ينادى

- يا خيل الله - يا فرسان - اركبى .

فتجمع المسلمون فى عدد القتال ، وخرج إمام الخير ﷺ وقد لبس الدرع والمغفر والبيضة وأخذ قناة وتقلد السيف وركب فرسه اللجيف فالتف الناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا ، وكان اللواء على حاله من مرجعه ﷺ فدفعه إلى على بن أبى طالب فاندفع أبو الحسن فى زقاق بنى غنم من بنى النجار فإذا الغبار يتصاعد حتى حجب الرؤيا .

كانت غزوة بنى قريظة فى حد ذاتها امتداداً لغزوة الخندق ، فقد كان سفهاء بنى قريظة يمثلون الجناح الثالث للاتحاد العسكرى الوثنى اليهودى الذى قام لسحق المسلمين وإبادتهم إبادة كاملة .

فبنو قريظة بالإضافة إلى ارتكابهم جريمة الخيانة العظمى يعتبرون غزاة محاربين بانضمامهم إلى جيوش الأحزاب الغازية وإعلانهم بأنهم جزء لا يتجزأ منهم ضد المسلمين ، ومباشرتهم بالفعل التحرك لطعنهم وضربهم من الخلف مساندة للأحزاب وقيامهم بمد هؤلاء الأحزاب بالتموينات فسجلوا بصنيعهم ذاك أخس وأشنع جريمة فى تاريخ الخيانة والغدر مع أن هؤلاء السفهاء لم يروا من نبى الوفاء ﷺ وصحبه منذ تم التحالف بين الفريقين إلا الصدق والبر والوفاء ، ولكنه الغدر السابح فى دماء هؤلاء السفهاء الذين هم أئمته وأساتذته فى كل عصر وزمان .

يهود بنى قريظة يسبون صاحب الخلق العظيم ﷺ :

كان سفهاء بنى قريظة يتوقعون حسابا عسيرا من الجيش الإسلامى ، حسابا يتناسب وفظاعة الجريمة التى ارتكبها هؤلاء اليهود ، ولذلك فمنذ أن رحل الأحزاب لجأ يهود بنى قريظة الغادرون إلى حصونهم وهم يرتجفون فزعا من المصير المرعب الذى ينتظرهم على أيدى المسلمين جزاء غدرهم وخيانتهم فبدلا من أن يفى هؤلاء السفهاء بالتزاماتهم العسكرية نحو المسلمين فينضموا بأسلحتهم ضد جيوش الأحزاب الغازية الباغية ، كما تفرض عليهم إتفاقية الدفاع المشترك المعقودة بينهم وبين المسلمين ، **استداروا بأسلحتهم وحاولوا طعن المسلمين بغية التعجيل بالقضاء عليهم .**

لما دنا على بن أبى طالب من حصن بنى قريظة ومعه نفر من المهاجرين والأنصار غرز اللواء عند أصل الحصن فسمع من بنى قريظة مقالة قبيحة فى حق رسول الله ﷺ وحق أزواجه .

فقال المسلمون :

- السيف بيننا وبينكم .

وكره أبو الحسن أن يسمع حبيب الرحمن ﷺ من بنى قريظة ما يسيئه .

فلما رأى على الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ مقبلا أمر أبا قتادة الأنصارى أن يلزم اللواء ورجع أبو الحسن إلى أبى القاسم ﷺ وقال :

- يا رسول الله : لا عليك أن تدنو من هؤلاء الأخابث .

فتساءل الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ :

- لعلك سمعت منهم لى أذى ؟

قال على بن أبى طالب :

- نعم يا رسول الله .

قال طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ :

- لو رأونى لم يقولوا من ذلك شىء .

فلما دنا سيد الأولين والآخرين ﷺ من حصونهم قال :

- يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ أتشتمونى ؟

فجعلوا يحلفون ويقولون :

- ما قلنا .

- يا أبا القاسم ما كنت جهولا .

وتقدم الصحابى الجليل أسيد بن حضير إلى يهود بنى قريظة وقال :

- يا أعداء الله ، لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا ، إنما أنتم بمنزلة ثعلب

في جحر .

فقالوا :

- يا ابن حضير ، نحن مواليك .

قال أسيد بن حضير :

- لا عهد بيني وبينكم .

وكيف يكون لهم عهد بينهم وبين الأوس وقد نقضوا عهد نبي الوفاء ﷺ في الوقت الذي جاءت الأحزاب لتستأصل المسلمين والإسلام ؟ إنهم لم يكتفوا بنقض العهد بل تآمروا على سلامة دولة .

فرض الحصار على يهود بني قريظة :

تتابعت كتائب الإسلام بقيادة صاحب لواء الحمد ﷺ حتى أحاطت بمعاقل سفهاء بني قريظة من كل مكان .

محاولة عقلاء اليهود إنقاذ الموقف :

لما علم عمرو بن سعدى بانسحاب الأحزاب جاء إلى قومه بني قريظة ودعاهم إلى اجتماع عاجل وذلك قبل وصول الجيش الإسلامي لضرب الحصار عليهم ، وفي هذا الاجتماع الذي حضره كل زعماء بني قريظة وقف عمرو بن سعدى فوبخهم وأنبهم وذكرهم بما نصحهم به قبل إقدامهم على جريمة نقض عهد محمد ﷺ وارتكابهم جريمة الخيانة ثم قال :

- يا بني قريظة ، لقد رأيت عبرا ، رأيت دار إخواننا - يعني بني النضير - خالية بعد ذلك العز والشرف والرأي الفاضل والعقل ، تركوا أموالهم قد تملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل .

ثم أكد لهم كما جاء في التوراة أنه لا يعادي أحدٌ محمدا ﷺ إلا كان مصيره الخسران .

ثم أقسم عمرو بن سعدى وقال :

- لا والتوراة ما سلط هذا - يعنى خاتم النبيين ﷺ - على قوم ولله بهم حاجة ، وقد وقع ببنى قينقاع وكانوا أهل عدة وسلاح ونخوة ، فلم يخرج أحد منهم رأسه حتى سباهم - أسرهم - فكلم فيهم فتركهم على إجلائهم من يثرب .

ثم دعا عمرو بن سعدى قومه بنى قريظة إلى الدخول فى الإسلام ليحقنوا دماءهم ويتبعوا الحق فقال :

- يا قوم ، قد رأيتم ، فأطيعونى ، وتعالوا نتبع محمدا فو الله إنكم لتعلمون أنه نبى ، وقد بشرنا به علماؤنا .

ثم لازال عمرو بن سعدى يخوفهم بالحرب والسبى ، وأقبل على سيدهم كعب بن أسد القرظى وقال له :

- والتوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام يوم طور سيناء إنه للعز والشرف فى الدنيا - يعنى الدخول فى الإسلام - .

وبينما اليهودى العاقل يحدث قومه فى ذلك الاجتماع إذا بطلائع الجيش النبوى تظهر عليهم زاحفة كالسيل العرم وتطبق عليهم من كل جانب ، فقطع عمرو بن سعدى حديثه وقال :

- هذا الذى قلت لكم - أى حذرتكم من وقوعه - .

ومع كل هذا فقد رفض سفهاء بنى قريظة نصيحة عمرو بن سعدى الذى دعاهم إلى الإسلام .

فتقدم عمرو بن سعدى بمحاولة أخيرة فقال :

- لقد خالفتم محمدا ولم أشرككم فى غدركم ، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فى دينه فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية ، فو الله ما أدرى أيقبلها منكم أم لا ؟

ولكن يهود بنى قريظة رفضوا أيضا حتى هذا الاقتراح وقالوا :

- نحن لا نقر للعرب بخراج فى رقابنا يأخذونه ، القتل خير من ذلك .

ثناء نبى الوفاء ﷺ على اليهودى الوفى العاقل :

لما رأى عمرو بن سعدى أن عناد قومه سوف يقودهم إلى التهلكة والفناء دونما شك أعلن براءته منهم وفارقهم إلى الأبد وخرج من حصون قومه بنى قريظة بعد أن طوقها الجيش الإسلامى من كل مكان وكان خروجه ليلا ، فالتقى به رجال الحرس النبوى الذين كانوا يقومون بالحراسة والدورية فألقوا القبض عليه ثم أتوا به إلى قائدهم الصحابى الجليل محمد بن مسلمة فسأله :

- من أنت ؟

قال اليهودى الوفى العاقل :

- أنا عمرو بن سعدى .

وتذكر محمد بن مسلمة موقفه النبيل وكان قد بلغ المسلمين حين قال :

- لا أغدر بمحمد أبدا .

وأبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدر رسول الله ﷺ .

وأطلق محمد بن مسلمة سراح عمرو بن سعدى مع أنه خرج من حصون قومه بنى قريظة وكان لا يزال على يهوديته وقال له محمد بن مسلمة :

- اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام .

فخرج عمرو بن سعدى على وجهه حتى بات مستأمنا فى مسجد رسول الله ﷺ تلك الليلة بالمدينة ، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ؟

ولما ذكرت قصة إلقاء الحرس القبض على عمرو بن سعدى ثم إخلاء محمد بن مسلمة سبيله قال الرحمة المهداة ﷺ :

- ذاك رجل نجاه الله بوفائه .

مقاومة اليهود واشتداد الحصار عليهم :

استمرت بنو قريظة فى غيها وعنادها ورفضت كل الاقتراحات التى تقدم بها عمرو ابن سعدى لحقن دمائها ، واعتصمت بحصونها مصممة على القتال والمقاومة ﴿ وَظَنُّوا

أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ ﴾ [سورة الحشر الآية : ٢] .

أما المسلمون فقد أحكموا الحصار حول الحصون وقاموا بتطويقها كما يحيط السوار بالمعصم ، وقطعت الجيوش الإسلامية كل اتصال بين السفهاء والخارج ، ووضع الجيش المحمدى يده على مزارعهم ونخيلهم الواقعة خارج حصونهم .

ونزل إمام الخير ﷺ أثناء ضرب الحصار على سفهاء بنى قريظة على بئر من آبارهم يقال لها بئر أنى ، وجعل مقر قيادته هناك .

وكانت مقاومة يهود بنى قريظة فى بادئ الأمر شديدة ، ولكن بعد مرور حوالى عشرين ليلة بدأ الضعف والقلق يتسرب إلى نفوسهم بعد أن أجهدهم الحصار وايقنوا أن المسلمين ليسوا بمنصرفين عنهم حتى يستسلموا أو يقتحموا عليهم حصونهم ويفتحوها بحد السلاح .

وعلى الرغم من الإمكانيات المادية المتوفرة لديهم من مياه ومواد غذائية وسلاح كامل وحصون منيعة تساعدهم على المقاومة وقتا طويلا إلا أن نفوسهم امتلأت بالرعب والفزع فخارت قواهم وراحوا يفكرون فى الطريقة التى يمكنهم بها حقن دمائهم .

سيد بنى قريظة يدعوهم إلى الإسلام :

فى ذلك الظرف العصيب دعا سيد بنى قريظة كعب بن أسد القرظى زعماء قومه إلى الاجتماع فى مقر قيادته لتبادل وجهات النظر بشأن الموقف الحربى ولإبداء الرأى حول ما يجب اتخاذه لإنقاذ الموقف المتدهور .

ولما اجتمع رؤساء الغدر والخيانة بسيدهم كعب بن أسد وكان عاقلاً متزنا لولا رفقاء السوء الذين غلبوه على أمره وحملوه على نقض العهد الذى كان بينه وبين إمام الخير ﷺ .

كان كعب بن أسد كارها لنقض العهد راغبا رغبة أكيدة فى البقاء على ولائه للمسلمين ، من أجل ذلك أغلق باب حصنه فى وجه شيطان بنى النضير حيى بن أخطب عند ما جاءه عندما وصلت جيوش الأحزاب إلى ضواحى المدينة .

كان كعب يعلم أن حيى بن أخطب ما جاء إلا ليطلب من بنى قريظة الغدر بالمسلمين والانضمام إلى الأحزاب ، وكان كعب بن أسد متخوفا من نقض العهد ،

وكان يقدر النتائج الوخيمة التى ستترتب على الغدر بالمسلمين قبل وقوعها ، لذا رفض فى بادئ الأمر مقابلة شيطان بنى النضير حيى بن أخطب واستقبح رأيه الداعى إلى الغدر بالمسلمين وقال له :

- ويحك يا حيى إنك رجل مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا .

وذكر كعب بن أسد حيى بن أخطب على وجه الخصوص بأنه حذرهم من هذا المصير وذكر بنى قريظة عندما مانع نقض العهد والغدر بالمسلمين فى بداية الأمر .

ثم قال زعيم بنى قريظة :

- يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، ولقد كنت كارها لنقض العهد .

ثم التفت إلى شيطان بنى قريظة حيى بن أخطب ، وأشار إليه محمله مسئولية ومغبة كل ما حدث وسيحدث لبنى قريظة قائلا :

- ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس .

وكان حيى بن أخطب عندما نجح فى حمل بنى قريظة على نقض العهد ، والغدر بالمسلمين قد تعهد لكعب بن أسد بأن يدخله معه حصنه المنيع ليصيبه ما أصاب بنى قريظة إذا ما انسحبت جيوش الأحزاب دون أن تستأصل شأفة المسلمين وتقضى عليهم قضاء مبرماً ، وقد وفى له حيى بن أخطب بذلك .

فهل أتى الله ﷻ به إلى حصون بنى قريظة ليجنى ثمار أعماله الشريرة فبقى معهم داخل حصونهم حتى نهاية أمرهم ؟

ودعا كعب بن أسد القرظى زعماء بنى قريظة إلى أمر من ثلاثة :

إما اتباع محمد ﷺ والدخول فى الإسلام .

وإما هجوم على المسلمين بطريقة انتحارية بعد قتل نساء بنى قريظة وأطفالها .

وإما أخذ المسلمين على حين غرة بالهجوم عليهم يوم السبت وهو يوم لا يعمل فيه اليهود شيئا - تدينا - .

ولكن السفهاء رفضوا العمل بأى من هذه المقترحات .

فلما رأى زعيم بنى قريظة ذلك قال :

- أتذكرون يا بنى قريظة ما قال لكم ابن خراش - كان حبرا من أحبارهم - قال :

إنه يخرج بهذه القرية نبى فاتبعوه وكونوا له أنصارا ، وتكونوا آمنتم بالكتابين الأول والآخر - التوراة والقرآن - .

ثم دعا كعب بن أسد قومه إلى اتباع النبى الأمى العربى ﷺ والإيمان به قائلا :

- فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل وإنه الذى تجدونه فى كتابكم ، وما منعنا من الدخول معه إلا حسد العرب حيث لم يكن من بنى إسرائيل ، فاتبعوه تأمنوا على دمائكم وأموالكم ونسائكم .

فرفض سفهاء بنى قريظة اقتراح زعيمهم وقالوا :

- لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره .

فعاد كعب بن أسد القرظى يعرض عليهم اقتراحاته الثلاثة السابقة : اتباع محمد ﷺ ، أو الهجوم على المسلمين بطريقة انتحارية ، بعد قتل نساء وأطفال بنى قريظة ، أو أخذ المسلمين على حين غرة بالهجوم عليهم يوم السبت .

فرفضوا هذه المقترحات .

وهنا يئس سيد وزعيم بنى قريظة من قومه فنفض يده منهم وختم حديثه قائلا :

- ما بات منكم رجل منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما .

اليهود يطلبون المفاوضة :

لما بلغ الحصار ذروته قام زعماء بنى قريظة بعدة محاولات للحصول على ضمانات من الصادق المصدوق ﷺ يحقن لهم دماءهم ويعفو عن نساءهم وذراريهم من السبى ثم يخرجون من يثرب إلى غير رجعة .

وكانت أولى هذه المحاولات أن بعثت بنو قريظة إلى أبى القاسم ﷺ تعرض عليه استعدادها للجلاء عن يثرب على الصورة التى تم بها إجلاء إخوانهم من بنى النضير بعد

غزوة أحد وقد حمل هذا العرض نباش بن قيس إلى النبى ﷺ ، ولكن المبعوث للناس كافة ﷺ رفض هذا العرض رفضا باتا ومع هذا الرفض لم ييئس سفهاء بنى قريظة وأرسلوا مندوبهم نباش بن قيس ليعرض على السراج المنير ﷺ عرضا آخر : يطلبون فيه **أن يسمح لهم - رجالا ونساءا وأطفالا - بالجلاء عن يثرب والنجاة بأرواحهم وأنهم يوافقون على ترك ما يمكلون للمسلمين فلا يحملون معهم أى شئ من المال ، ولكن رد صاحب الشفاعة ﷺ كان قاطعا بأنه لا يقبل من هؤلاء اليهود إلا التسليم بدون قيد أو** شرط ولما علمت بنو قريظة هذا الرد القاطع الباتر أسقط فى يدها وازدادت مخاوفها وتضاعف قلقها وصار زعماؤها يتخبطون فى بحر الحيرة والقلق والخوف لاسيما أن **الحصار قد أجهدهم وأخذ بخناقهم فحطم أعصابهم .**

محاولة سفهاء بنى قريظة الأخيرة :

عاد زعماء بنى قريظة يتشاورون وقد بدأت المؤن تنفد ووجفت القلوب فالموت جوعا يهدد الذين فجروا فى عهدهم وانقادوا إلى شيطان بنى النضير حيى بن أخطب المشئوم ، وألقى القوى المتين الرعب فى قلوبهم ، وقد ملأت جريمتهم أقطار رءوسهم : إنهم قبلوا أن يسلموا محمدا ﷺ والذين معه إلى الأحزاب **وأن الحكم فى هذه الخيانة هو الإعدام ،** وحاولوا فكان جوابه :

- إلا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ دون قيد أو شرط .

وزاغت الأبصار وطاشت عقول سفهاء بنى قريظة وتعلقت عيونهم الحائرة المفزعة بساداتهم وقد امتلأت ضراعة أن يهتدوا إلى رأى ، فقد أوشك الجميع أن يموتوا جوعا ورعبا .

وعاد زعماء يهود بنى قريظة لبحث ما يجب اتخاذه حيال **الموقف المتأزم .**

وأثناء الاجتماع تقدم فتية - كانوا شبابا أحداثا - فقالوا :

- يا بنى قريظة : والله إنه للنبى الذى عهد إليكم فيه ابن الهيبان

فقال زعماء بنى قريظة :

- ليس به .

قال الفتية :

- بلى والله إنه لهو بصفته .

فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دمائهم وأموالهم وأهليهم .

أما سفهاء بنى قريظة بالرغم من استيقانهم أن محمدا ﷺ نبيا مرسلا فقد شرقوا بالإسلام وصمموا منذ اللحظة الأولى على مقاومته والعمل على شل حركته حسدا وبغيا .

وأخيرا اتفق يهود بنى قريظة على أن يبعث محمدٌ ﷺ أبا لبابة فقد كان الصحابى الجليل مناصحا لهم وكان ولده وعياله فيهم .

أبو لبابة فى حصن بنى قريظة :

دعا إمام الخير ﷺ الصحابى الجليل أبا لبابة وقال له :

- اذهب إلى حلفائك فإنهم أرسلوا إليك مَن بين الأوس .

فذهب أبو لبابة إلى يهود بنى قريظة ، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه من شدة الحصار وتشتيت مالهم ، فرق لهم فقام كعب بن أسد وقال :

- يا أبا بشير ، قد عرفت ما بيننا ، وقد اشتد علينا الحصار ، وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه ، فلو زال عنا للحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نطأ له أرضا ولم نكثر عليه جمعا أبدا ، ما ترى .؟ قد اخترناك على غيرك ، أننزل على حكم محمد ؟ .

فقال أبو لبابة :

- نعم انزلوا .

وأومأ إلى حلقه بالذبح .

أى إنه الذبح .

يقول أبو لبابة :

- فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله .

وندم أبو لبابة ندما شديداً وقال فى خوف شديد .

- إنا لله وإنا إليه راجعون .

وسربله الخزى وعلاه القهر وجعل ضميره يؤنبه ويخزه وخزا شديدا

فسأله كعب بن أسد القرظى :

- مالك يا أبا لبابة ؟

قال أبو بشير فى صوت متهدج وقد غلفه الندم :

- خنت الله ورسوله .

وملأت الدموع عينيه ، ثم انطلق على وجهه فلم يأت نور الظلمة ﷺ ، وذهب إلى المسجد وكان الحر شديدا ، ولكن النار التى تلظت فى جوف أبى لبابة كانت أشد حرا ، ففكرة أنه خان الله ورسوله كانت تلسعه لسعا .

والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على :

ارتبط أبو لبابة بالمسجد إلى عمود من عمده بسلسلة ثقيلة ، وكان هذا العمود عند باب أم المؤمنين أم سلمة ، وكان أكثر تنقل كاشف الغمة ﷺ عند ذلك العمود .

كان ما فعله أبو لبابة بن عبد المنذر غير مألوف - ربط نفسه فى سلسلة إلى عمود من عمد المسجد - فخف إليه الناس يسألونه الخبر فقال فى انفعال شديد :

- والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على مما صنعت .

وعاهد الله أن لا يطأ بنى قريظة أبدا ولا يرى فى بلد خان الله ورسوله فيه أبدا .

واستبطأ رسول السلام ﷺ أبا لبابة ، وفيما هو يرقب وفوده عليه إذ جاءه ناس من المدينة وأخبروه ﷺ خبر أبى لبابة فقال عليه الصلاو والسلام:

- أما لو جاءنى لاستغفرت له ، وأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه حتى يتوب الله عليه .

وظل أبا لبابة بن عبد المنذر مرتبطا فى العمود تأتيه امرأته فى كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم تعود فتربطه ، وظل أبو لبابة على هذا الحال ست ليال بلا طعام ولا شراب .

الله ﷻ يتوب على أبى لبابة :

نزلت توبة أبى لبابة من فوق سبع سماوات على رسول الله ﷺ وقت السحر وكان سيد الأولين والآخرين ﷺ فى بيت أم سلمة فضحك فقالت أم المؤمنين أم سلمة :

- ممن تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنك .

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ .

- تِيب على أبى لبابة .

قالت أم المؤمنين أم سلمة :

- أفلا أبشره يا رسول الله ؟

قال الرحمة المهداة ﷺ :

- بلى ، إن شئت .

فقامت أم المؤمنين أم سلمة على باب حجرتها - وذلك قبل أن يضرب على أزواج النبى ﷺ الحجاب - فقالت :

- يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك .

فثار المسلمون إليه ليطلقوه ولكنه أبى وقال فى إصرار :

- لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ الذى يطلقنى بيده .

فلما مر صاحب الشفاعة ﷺ وهو خارج إلى الصلاة - صلاة الصبح - أطلقه .

وأنزل السميع البصير: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنفال الآية : ٢٧] .

انهيار يهود بنى قريظة فى المقاومة :

كانت استشارة يهود بنى قريظة آخر محاولة يقوم بها سفهاء بنى قريظة للحصول على أى شئ أو أى شرط يحقنون به دماءهم عند الاستسلام ، ولكنهم بدلا من أن يظفروا بشئ من ذلك تلقوا من أبى لبابة بإشارته تلك ما يؤكد لهم أن الموت مصيرهم إن هم استسلموا ونزلوا على حكم النبى الخاتم ﷺ .

وبهذا انقطع آخر خيط من الأمل لهم فى التخفيف ، وبدلا من أن يكون هذا حافزاً لهم على الإصرار والصمود والاستبسال والقتال حتى الموت ، تملكهم الرعب والفزع وسيطرت عليهم روح الجبن فانهاروا انهيارا كليا .

ومع شدة الجوع والانهيار الكلى الذى عم حملة السلاح من سفهاء بنى قريظة فقد ظلوا يماطلون فى التسليم فى انتظار معجزة تتدخل لتنقذهم من الورطة الخانقة ولكن هيهات .

لما رأى المسلمون مماطلة سفهاء بنى قريظة فى التسليم مع الانهيار الذى لاحظوه عليهم أرهبوهم إرهابا شديدا إذا أعلنوا أنهم سيقتحمون الحصون ويفتحونها عنوة .

وارتفع صوت على بن أبى طالب حامل اللواء :

- والله لأذوقن ما ذاق حمزة - الشهادة - ولأفتحن حصنهم .

فلما سمع جبناء بنى قريظة هذا الإنذار من أبى الحسن ورأوا تحركات قطاعات الجيش النبوى وتأهبهم للهجوم العام والاستعداد لاقتحام الحصون كلها فى هجوم كاسح .. طلبوا إيقاف الهجوم وأعلنوا الاستسلام والنزول على حكم إمام الخير ﷺ دونما قيد أو شرط .

فأوقف المسلمون الهجوم ، وسارع يهود بنى قريظة إلى فتح أبواب معاقلهم وحصونهم بعد أن ألقوا سلاحهم وأخذوا فى مغادرة الحصون مستسلمين .

فابتدرهم جند الإسلام لحراستهم ، وصاروا يجمعونهم منعزلين فى ناحية ، وبعد تكامل خروجهم من الحصون رجالا ونساء وأطفالا أمر الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ باعتقال الرجال ووضع القيود فى أيديهم ، وقد تم ذلك تحت إشراف محمد بن مسلمة الأنصارى قائد حرس النبى ﷺ .

أما النساء والذرارى فقد أمر أبو القاسم ﷺ بعزلهم عن الرجال البالغين فجعلوا فى ناحية وأوكل أمرهم إلى الصحابى الجليل عبد الله بن سلام ، وبعد أن تم استسلام سفهاء بنى قريظة أمر نور الظلمة ﷺ أن يوضع الرجال فى محبس خاص بهم .

أما النساء والذرارى فقد أمر صاحب الخلق العظيم ﷺ أن يحفظوا فى مكان ليس

فيه صفة الحبس والتضييق .

وقد حبس الرجال من بنى قريظة وكان عددهم ثمانمائة مقاتل فى دار أسامة بن زيد أما النساء والأطفال فقد أعدت لهم دارًا ينزلون فيها ليست لها صفة السجن إذ أمر نبى الرحمة ﷺ بإنزالهم فى دار الضيافة وهى دار ابنة الحرث النجارية المعدة دائما لنزول الوفود التى تقصد مدينة رسول الله ﷺ وكان عدد هؤلاء النساء والذرارى يناهز الألف .

محاكمة سفهاء بنى قريظة :

كان سُفهاء بنى قريظة حلفاء الأوس فى الجاهلية كما كان يهود بنى النضير وبنى قينقاع حلفاء الخزرج ، وقد ظل هذا الحلف قائما حتى بعد مجىء الإسلام وإن اختلفا فى الدين والعقيدة دون أن يعترض الإسلام على ذلك .

واجتمع وفد الشفاعة من الأوس بنبى الرحمة ﷺ وتقدموا إليه بالتماس طلبوا فيه أن يتكرم بالتخفيف من عقوبة هؤلاء السفهاء ولو الاكتفاء بنفيهم من المدينة فاستجاب صاحب الخلق العظيم ﷺ لوفد الشفاعة مع فظاعة جريمة الغدر والنكث والخيانة العظمى التى ارتكبها سفهاء بنى قريظة فقد جُبل نبى الوفاء ﷺ بما جبل عليه من نبل وشهامة ومراعاة لمشاعر وأحاسيس وعواطف أصحابه الذين آووا ونصروا ففوض مصير سفهاء بنى قريظة إلى سيد الأوس سعد بن معاذ فأصبح مصيرهم فى أيدى الأوس أنفسهم ، وليحكم فيهم حليفهم بما يريد الله ﷻ .

فطابت نفس الأوس من صحابة الشافع المشفع ﷺ بهذا التفويض حيث كانوا يأملون أن يخفف سيدهم سعد بن معاذ من عقوبة حلفائه سفهاء بنى قريظة .

تحكيم سعد بن معاذ فى بنى قريظة :

كان سعد بن معاذ جريحا فقد أصابه سهم قطع شريانه يوم الخندق وكانت رفيدة تقوم بمداواته ومداواة جرحى المسلمين ممن لم يكن له من يعالجه من أهله ، فأمر طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ أن يوضع سعد بن معاذ فى خيمة المسجد حتى يكون زعيم الأوس قريبا منه فيعوده ويتعرف على حاله متى شاء ، وقامت المرأة الصالحة تداوى سعد بن معاذ والجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين .

وقابل أعيان الأوس سيدهم سعد بن معاذ فى المسجد النبوى وأخبروه أن خاتم النبيين ﷺ قد جعل أمر بنى قريظة إليه ليحكم فيهم بما يريه الله ﷻ وأنه لابد من حضوره إلى حيث يعسكر الجيش الإسلامى فى ديار بنى قريظة ليبت فى موضوعهم .

وحملوا سعد بن معاذ على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم - كان جرح سعد خطيرا ، وكان نفسه جسيما - وحف به قومه فقالوا :

- يا أبا عمرو ، حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت لتحسن فيهم .

فلما أكثروا عليه قال :

- لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم .

ولما جاء سعد بن معاذ النبى الخاتم ﷺ قال ليهود بنى قريظة :

- اختاروا من شئتم من أصحابى .

قالوا :

- ننزل على حكم سعد بن معاذ .

فقال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ لزعيم الأوس :

- احكم فيهم يا سعد .

فقال سعد بن معاذ :

- الله ورسوله أحق بالحكم .

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

- قد أمرك الله أن تحكم فيهم .

فالتفت سعد بن معاذ إلى الناحية التى ليس فيها أبو القاسم ﷺ فقال :

- عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم كما حكمت ؟

قالوا :

- نعم .

وأشار إلى الناحية التى فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن المصطفى ﷺ إجلالاً له وقال :

- وعلى من هنا مثل ذلك ؟

قال النبى ﷺ :

- نعم .

ثم سأل سعد بن معاذ سفهاء بنى قريظة :

- أترضون بحكمى ؟

قالوا :

- نعم .

فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به ثم قال :

- فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتغنم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء ، وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار .

فقال الأنصار :

- إخواننا لنا معهم .

قال سعد بن معاذ :

- إنى أحببت أن يستغنوا عنكم .

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ لسعد بن معاذ :

- لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات .

دفن اليهود فى الخنادق بعد إعدامهم :

أمر بحفر خنادق عميقة لتدفن جثث هؤلاء السفهاء الخونة بعد إعدامهم ، وكان المكان الذى أختير لإعدامهم ودفنهم هو سوق المدينة الذى يغلب على الظن أنه المسمى اليوم بسوق المناخة .

وجاء سعد بن معاذ والحباب بن المنذر وهما من الخزرج فقالا :

- يا رسول الله ، إن الأوس كرهت قتل بنى قريظة لمكان حلفهم .

فقال سعد بن معاذ :

- ما كرهه أحد من الأوس فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله .

فقام أسيد بن حضير وهو من سادات الأوس فقال :

- يا رسول الله ، لا تبقى دار من دور الأنصار إلا فرقتهم - يهود بنى قريظة - فيها .

ففرقهم إمام الخير ﷺ فقتلوهم .

شيطان بنى النضير يتكلم قبل إعدامه :

كان على رأس الذين نفذ فيهم حكم الإعدام من هؤلاء السفهاء كبير مجرميهم ورأس الفتنة والشر حيى بن أخطب سيد بنى النضير الذى حزب الأحزاب وجمع جيوشها لغزو مدينة رسول الله ﷺ وحمل بنى قريظة على نكث العهد وشجعهم على تسديد تلك الضربة الغادرة للجيش الإسلامى من الخلف فى تلك الساعات الدقيقة فقاد هذا المجرم الخبيث عمله السيئ إلى مصرعه .

وأتى بحيى بن أخطب وعليه حلة فقاحية - فى لون الورد قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها أحد من المسلمين - مجموعة يداه إلى عنقه بحبل .

فلما نظر إليه البشير النذير ﷺ سأله :

- ألم يمكن الله منك ؟

قال شيطان بنى النضير :

- أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكن من يخذل الله يخذل .

ثم أقبل على الناس فقال :

أيها الناس .

إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبت على بنى إسرائيل .

ثم جلس فضربت عنقه ، ثم ألقى بجثته فى الخندق .

وقد امتدح أحد شعراء يهود وهو جبل بن جوال الغطفانى الثعلبى شيطان بنى النضير على شجاعته وموقفه قبل إعدامه فقال :

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ::: ولكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها ::: وقلقل يبغى العز كل مقلقل

قلقل : تحرك .

وأوتى بكعب بن أسد القرظى وكان على جانب كبير من العقل وبعد النظر وكان كارها لنقض العهد ، وغير راغب فى الغدر بالمسلمين بل كان ميله إلى الإسلام لذلك دعا قومه إلى اعتناقه ، ولكن غلبت عليهم وعليه الشقوة وغلب عليه شيطان بنى النضير حيى بن أخطب حتى انحرف به عن الطريق المستقيم الذى كان يريده ، فقاده وقاد قومه بنى قريظة فى النهاية إلى ذلك المصير المخيف وهو الإعدام .

وكان كعب بن أسد - على النقيض من حيى بن أخطب - يمتاز بعفة اللسان ووفرة الأدب - فعندما أتى بزعيم بنى قريظة لتنفيذ حكم الإعدام فيه قال له الهادى البشير ﷺ :

- يا كعب :

قال زعيم بنى قريظة :

- نعم يا أبا القاسم .

قال الرحمة المهداة ﷺ :

- ما انتفعتم بنصح ابن خراش - حبر من أحبار يهود الكبار مات قبل الإسلام - أى قبل ظهور النبى الخاتم ﷺ وكان يصفه ويوصيهم باتباعه ﷺ - لكم وكان مصدقا بى ، أما أمركم باتباعى وإن رأيتمونى تقرؤنى السلام ؟

قال كعب بن أسد :

- بلى والتوراة يا أبا القاسم ، ولولا أن تعيرنى يهود بالجزع من السيف لاتبعتك فأمر النبى ﷺ الخاتم فضربت عنقه .

المرأة الوحيدة التى أعدمت :

تم إعدام جميع رجال بنى قريظة جزاء غدرهم ، وخيانتهم ونكثهم العهد أما النساء من بنى قريظة فلم يقتل المسلمون منهم أحدًا لأن آداب الحرب فى الإسلام تحرم تحريما قاطعا قتل نساء العدو إلا حدا أو قصاصا أو فى المعركة إذا كانت المرأة تقاتل ولهذا فإنه لم يقتل من نساء بنى قريظة إلا امرأة واحدة ، أمر سيد الأولين والآخرين ﷺ بقتلها قصاصا بخلاد بن سويد قامت هذه المرأة باغتياله .

وهذه المرأة هى مزنة كانت قد طرحت رحى على الصحابى الجليل خلاد بن سويد بتحريض من زوجها فقتلته . فتم إعدامها قصاصا بذلك .

مصير السبى والغنائم :

بعد أن فرغ إمام المجاهدين ﷺ من أمر رجال بنى قريظة تنفيذا للحكم الذى أصدره القاضى سعد بن معاذ أمر المبعوث للناس كافة ﷺ بتشكيل هيئة من كبار الصحابة للقيام بجرد وإحصاء جميع أموال سفهاء بنى قريظة المنقولة وغير المنقولة من ديار وسلاح ومزارع وخيول وجمال وغير ذلك .

وتم إحصاء السبى من النساء والذرارى فكانوا ألف رأس .

وقد وجد المسلمون فى حصون بنى قريظة من العتاد الحربى :

١٥٠٠ ألف وخمسمائة سيفا .

٢٠٠٠ ألفين من الرماح .

٣٠٠ ثلاثمائة درع .

٥٠٠ ترس وجحفة .

كما وجد جرارا كثيرة من الخمر المخزون المعتق فأمر إمام الخير ﷺ بإراقتها وعدم قسمتها مع الغنائم - وهذا دليل على أن الخمر قد نزل بها التحريم - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٩٠- ٩١] .

بعد غزوة بنى قريظة .

وبعد أن تم إحصاء الغنائم من سبى وأموال بنى قريظة أمر الصادق المصدوق ﷺ بتقسيمها على جند الإسلام الذين اشتركوا فى حصار بنى قريظة فقط .

منع التفريق بين الأم وابنها :

عند توزيع الغنائم على المحاربين أصدر معلم البشرية ﷺ أمرا مشددا بأن لا يفرق أحد بين أم وولدها من سبى بنى قريظة عندما يرغب فى بيعهم ، فإما البيع معا .

وأما الأستبقاء معا ، لأن التفريق بين الأم وولدها تعذيبا شديدا لا يقره الإسلام بل إن نبى الرحمة ﷺ ذهب فى الشفقة والرحمة إلى أبعد من منع التفريق بين الأم وولدها فأصدر أمره مشددا أيضا بأن لا يفرق أحد بين الأخت وأختها حتى يبلغا .

فقال المبعوث رحمه الله للعالمين ﷺ : من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة (رواه الترمذى) .

وقال عليه الصلاة والسلام :

- لا يفرق بين الوالدة وولدها .

فقال عبادة بن الصامت :

- إلى متى يا نبى الله ؟

قال أبو القاسم ﷺ :

- حتى يبلغ الغلام وتحيض الجارية .

يقول على بن أبى طالب :

وهب النبى ﷺ لى غلامين صغيرين فبعت أحدهما فقال :

- ما فعل غلامك ؟

قلت :

- بعته .

فقال عليه الصلاة والسلام :

- رده رده (رواه الترمذى) .

أى أن النبى ﷺ استنكر التفريق بين الأخ وأخيه ما داما صغيرين .

وبعد الاستيلاء على ممتلكات سفهاء بنى قريظة وسبى نسائهم وذراريهم ، بعث إمام الأنبياء ﷺ بقسم هذا السبى إلى البلدان المجاورة لبيعهم وشراء خيل وسلاح بثمنهم للجيش الإسلامى .

الطاعنون فى حكم إعدام السفهاء :

هناك فريقان لا يمر أحدهما بحادث العقوبة النازلة بيهود بنى قريظة إلا ويعلن استنكاره للحكم النافذ فى هؤلاء السفهاء وخاصة عقوبة الإعدام ويصفها بأنها عمل وحشى وفريق رئيسى وهم غير المسلمين الذين يحرصون دائما على نشر ظلال من الشكوك حول دعوة الحق وإيجاد مطاعن فى قطب هذه الدعوة وحامل لواء رسالتها الصادق المصدوق ﷺ .

وأهداف هذا الفريق الخبيثة ومقاصده السيئة معروفة مكشوفة ، فهم أعداء أساسيون حاقدون على الإسلام وخاتم الأنبياء ﷺ .

وفريق ثانوى وهم بعض المنتسبين إلى الإسلام والمحسوبين عليه ، الذين لا يعرفون هذا الدين الحنيف إلا ما تلقوه من مدارس ومعاهد وجامعات أعدائه .

كل هؤلاء وأولئك يلمحون ويصرحون أحيانا بأن عملية الإعدام الجماعية التى تمت بحق سفهاء بنى قريظة على تلك الصورة الصارمة السريعة هى عملية قد اتسمت بطابع الوحشية والانتقام الذى يتنافى مع قواعد الإنسانية وروح القرن العشرين المتمدنة ، لا سيما وأن اليهود قد وقعوا أسرى حرب فى أيدى المسلمين .

تحذير لكل مسلم :

قبل الدخول فى مناقشة هؤلاء الطاعنين فى الحكم الصادر والنافذ بحق بنى قريظة ، وقبل رد هذه المطاعن وإبطالها بالحجج المنطقية والقانونية والوجدانية ، لابد لنا ولكل مسلم من الإقرار والتسليم - صيانة لديننا وحماية لإيماننا - بأنه ليس لنا الحق فى اى

تعقيب أو مناقشة - فضلا عن الانتقاد - فى أى حكم يصدر عن الذى **يأتيه الوحى من** السماء ﷺ ، لأن الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ لا يصد فى أى حكم إلا عن الله ﷻ إذ هو كما قال تبارك وتعالى : ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [سورة النجم الآية : ٢ ، ٣] .

وقال تعالى ﴿ **مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [سورة النساء الآية : ٨٠] .

وقال السميع البصير ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [سورة الحشر الآية : ٧] .

وأى إنسان ينتسب إلى الإسلام ويصدر منه أى طعن أو انتقاد لحكم يصدره الصادق المصدوق ﷺ **أو يمضيه فهو كافر لا مكان له فى الإسلام ، لأن الذى يفعل شيئا من هذا يعتبر معترضا على** خاتم النبيين ﷺ **، والذى يعترض على حبيب الرحمن ﷺ إنما هو فى الحقيقة معترض على العزيز الحكيم وطاعن فى حكم الله ﷻ ، والطاعن فى حكم الله كافر حلال دمه بالإجماع .**

والحكم الصادر فى حق يهود بنى **قريظة كما ثبت فى صحيح البخارى هو حكم** الله ﷻ الذى ارتضاه وأراده **كما قال ذلك الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ للقاضى سعد** ابن معاذ عندما أصدر حكمه بالإعدام **على سفهاء بنى قريظة :**

- حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات (رواه البخارى) .

ومع إيماننا الكامل بكل ما ذكرنا وتسليمنا **المطلق بعدالة ذلك الحكم الذى صدر** بحق يهود بنى قريظة ونفذ فيهم ، فإننا مستعدون **لمناقشة المعترضين الطاعنين الحاقدين** الكافرين فى هذا الحكم ، **وأن نثبت لهم شرعية ووجاهة هذا الحكم ، ومطابقته لكل** قواعد العدالة التى يلتزمها القضاء والحكم لكل عصر وزمان **وحتى زمن القرن الحادى** والعشرين ، وأن يتمشى كل التمشى مع قواعد الإنسانية **وأنه ليس فيه أى تنافر مع** إحساسات الضمائر الحية والوجدانات المستقيمة .

ولنبدأ المناقشة :

طبيعة اليهود الأبدية :

منذ أن وصل صاحب الخلق العظيم ﷺ منطقة يثرب كان هؤلاء اليهود بل يهود يثرب على أمر مبيت للكيد لخاتم النبيين ﷺ والقضاء عليه وعلى دعوته بأية وسيلة ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة التوبة الآية : ٣٢] .

وأكد العزيز الحكيم ذلك مرة أخرى ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة الصف الآية : ٨] .

وأن الغدر والخيانة واستحلال دماء وأعراض وأموال من يخالف اليهود فى دينهم ولا ينحدر من جنسهم قاعدة ثابتة لديهم ، وطبيعة خبيثة متأصلة فى نفوسهم سابحة فى دمائهم ، لا تلبث أن تطفو وتظهر وتبرز وتتجلى عندما تسنح لهم الفرصة ، فيسيرون على هذه القاعدة اللعينة حتى لو أعطوا ألف عهد ووقعوا ألف ميثاق .

فاليهود يهود قتلة الأنبياء ونقضوا العهود .

المعاهدة بين المسلمين واليهود :

عندما جاء السراج المنير ﷺ إلى يثرب ودان أهلها من الأوس والخزرج وصار المسلمين فى المدينة أغلبية ساحقة عقد إمام الخير ﷺ مع الطائفة اليهودية بقبائلها الثلاث : بنى النضير ، وبنى قينقاع ، وبنى قريظة - معاهدة شاملة ، كان أهم ما جاء فيها أن **المسلمين واليهود أمة واحدة وأن عليهم الدفاع المشترك عن هذا الوطن - يثرب - :** المسلم واليهودى يلزمه حمل السلاح لصد أى عدوان يأتى من الخارج يستهدف هذه المنطقة مهما كان مصدره .

أربع سنوات من المعاهدة :

لم تمض أربع سنوات من هذا المعاهدة حتى كشفت الأحداث المتلاحقة أن اليهود جميعا بقبائلهم الثلاث ما قبلوا تلك المعاهدة وارتضوا بنودها ووقعوا عليها إلا مكرا وخداعا ، وأنهم كانوا لا يهدفون من ورائها إلا تطمين المسلمين ليثقوا بهم ويركنوا إليهم فإذا ما سنحت فرصة لهم داسوا هذه العهود والمواثيق وشرعوا - دون إقامة أى

اعتبار لخلق أو وجدان أو ضمير أو دين - فى تسديد ضربتهم التى يحرصون على أن تكون قاتلة حاسمة بأية وسيلة مهما بلغت من الخسة والوضاعة .

ولقد عانى صاحب الخلق العظيم ﷺ من هذا الخلق اليهودى الماكر الخبيث المتأصل متاعب كثيرة ، فبالرغم من تمسك نبى الوفاء ﷺ بالمعاهدة المعقودة بينه وبين اليهود ، ورغبته فى تطبيقها والالتزام بها حرفيا والوفاء بها إلى أبعد الحدود فإن هؤلاء اليهود - دونما استثناء - كانوا لا تسنح لهم نهزة - فرصة - يرون أنهم قادرون فيها على تسديد ضربة قاتلة إلى المسلمين إلا وحاولوا استغلالها وكأن لم يكن هناك بينهم وبين المسلمين عهد أو ميثاق .

عندما ظن يهود بنى قينقاع ويهود بنى النضير ويهود بنى قريظة أنهم قادرون على نسف الكيان الإسلامى وتدميره حاربوا النبى الخاتم ﷺ .

وقد اكتفى المبعوث رحمة للعالمين ﷺ بنفى يهود بنى قينقاع بعد أن ظفر بهم ، وكانت عقوبة النفى هذه - فيما يبدو لنا - فى مستوى الخطيئة التى ارتكبها يهود بنى النضير ويهود بنى قينقاع .

ولقد حاربت بنو قريظة المسلمين مع بنى النضير ، ولكن - لاعتبارات خاصة - لم ينفهم النبى الخاتم ﷺ بل أقرهم وعفى عنهم بعد أن جددوا العهد الذى كان بينهم وبين المسلمين .

العهود والمواثيق فى نظر اليهود :

مزق هؤلاء السفهاء العهود والمواثيق ووطئوها بأقدامهم حينما ذهبوا إلى قيادات الأحزاب ووضعوا أيديهم فى أيديهم وعاهدوهم فى تلك الساعات الرهيبة الحاسمة من تاريخ الإسلام والمسلمين على سحق المسلمين وإبادة خضرائهم كاملة وهدم كيان الإسلام إلى الأبد .

وعندما يأتى إليهم المسلمون ليطلبوا منهم الثبات على العهد ويذكرونهم بالمسئولية العظمى والنتائج الوخيمة التى تترتب على النكث بهذه العهود والمواثيق وخاصة فى تلك الظروف الحربية الدقيقة الحرجة .

وإذا بالجواب يأتى من قبل هؤلاء السفهاء سخرية واستهزاء بالنبى ﷺ وبالمسلمين وبالعهود والمواثيق التى أبرموها معهم وقالوا :

- من هو محمد - هو هذا الذى يقول بيننا وبينه عهد - ومن هو رسول الله ؟ نحن لا نعرف محمدا وليس بيننا وبينه أى عهد .

هكذا كان جواب سفهاء بنى قريظة للمسلمين عندما جاء حلفاؤهم من الأوس يطلبون منهم الثبات على العهد الذى بين الفريقين والقيام بالالتزامات العسكرية التى عليهم والتى تقضى بقيامهم بالدفاع المشترك مع المسلمين ضد أى عدو .

إن هؤلاء اليهود لم يسلكوا هذا المسلك الوضيع المنحط إلا وقد أيقنوا أنهم بمساعدة الأحزاب قادرون على تدمير الكيان الإسلامى تدميرا كاملا واستئصال شأفة المسلمين استئصالا كليا ، ولهذا لم يترددوا فى الغدر بحلفائهم المسلمين إلى أقصى مما وصل المسلمون بهم إليه ، ولا أدل على ذلك من أن هؤلاء اليهود قد اتفقوا مع قادة جيوش الأحزاب على ألا ينصرفوا بجيوشهم من المدينة إلا بعد أن يقضوا على المسلمين قضاء مبرما وسحقهم كاملا ، وذلك كشرط أساسى لانضمام هؤلاء السفهاء إلى الأحزاب ضد المسلمين وإعلانهم نقض العهد الذى بينهم .

فهل بعد هذا الصنيع الحقير الذى صنعه اليهود مع سبق الإصرار ، والذى لم يقدموا عليه إلا بعد تمحيص ودرس وتخطيط وخبث نية مبيتة يجوز لعاقل منصف أن يسمح لنفسه بالقول :

- إن حكم الإعدام الذى صدر ونفذ بحق سفهاء بنى قريظة هو حكم غير إنسانى ولا عادل ؟

وبقى سؤال :

لو لم يبعث الله ﷻ نُعيم بن مسعود الأشجعى فخذل بين الأحزاب وأوقع الخلاف بينهم ، ولولا ريح الصفا والملائكة ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [سورة المدثر الآية : ٣١] وكان المسلمون بين فكى كماشة الأحزاب ويهود بنى قريظة ، فهل كان بنو قريظة سيتركون أحدا من المسلمين ينعم بالحياه ؟؟؟

إلى المدافعين عن سفهاء بنى قريظة :

إننا نقول بكل صراحة وصدق واطمئنان وثقة لهؤلاء المعترضين على الحكم الصادر والنافذ بحق يهود بنى قريظة . . إن هذا الحكم ليس فيه كما تتوهمون أية قسوة أو وحشية

وإنما هو عقاب عادل نزل بسفهاء خونة مجرمين يستحقونه بل لو كان هناك عقاب أقسى من ذلك لكان عقابا يطمئن إليه الضمير والوجدان وتقره جميع الأعراف والقوانين الدولية وتنفذ مثله حتى بداية القرن الحادى والعشرين فقد كان اليهود والمسلمون أمة واحدة ، وكان اليهود مواطنين يثربيين كما أن اليهود لم يكونوا مجبرين على معاهدة الدفاع المشترك عندما وقعوا عليها بل ارتضوا تلك المعاهدة والتزموا بمقتضاها والعمل بها مختارين دون أن يكرههم أحد .

سؤال قانونى :

ما الحكم اليوم الذى يجب إنزاله فى جميع القوانين الدولية بمن خان وطنه وغدر بأمته وشرع - أثناء ظروف حربية قائمة - فى الاتصال بالعدو الذى جاء غازيا لاحتلال وطنه وسحق مواطنيه ؟ وأخذ ييسر للعدو سبل احتلال هذا الوطن ؟

أعتقد أن أحدا من السادة المعترضين والمدافعين عن يهود بنى قريظة لن يستطيع القول إن قانونا واحدا فى أى بلد من بلاد الدنيا سيقول لمن قدم على خيانة وطنه ومساعدة العدو لاحتلال هذا الوطن :

- اذهبوا فأنتم الطلقاء .

بل أعتقد أن واحدا من هؤلاء المعترضين لن يستطيع إلا أن يقول :

- إن أقل عقوبة يمكن إنزالها بمن ارتكب مثل هذه الجرائم التى ارتكبها سفهاء بنى قريظة هى الموت .

لأن جميع القوانين فى بلاد العالم بلا استثناء تنص على الموت ومصادرة الممتلكات هى العقوبة العادلة التى يجب أن تنزل بمن ارتكب الخيانة العظمى .

بنو قريظة فى نظر القانون الدولى :

لم يكتف بنو قريظة بالاتصال بالأحزاب فى حالة الحرب القائمة بين حلفائهم المسلمين وتيسير معلومات مهمة لاحتلال المدينة وفتح الطريق من خلف الخندق ومن وراء المسلمين فبطل بذلك عمل الخندق الذى كان مانعا لتقدم الأحزاب فطعن بنو قريظة وطنهم وأمتهم من الخلف بل وأعلنوا انضمامهم إلى الأعداء .

فهل الموت والمصادرة هى عقوبة عادلة لكل ما تقدم من هذه الجرائم أم أن الحكم الذى صدر فى حق بنى قريظة هو حكم غير عادل ومخالف لقواعد الإنسانية ؟

إن من يقوم فى عهدنا الحاضر بارتكاب جريمة واحدة فقط من الجرائم التى أشرنا إليها والتى تكفى واحدة منها بإنزال عقوبة الإعدام بمرتكبها كنقل أسرار حربية إلى العدو .

فما حل بيهود بنى قريظة من عقاب صارم إنما هو جزاء عادل يستند إلى قاعدة دولية عامة فى كل عصر وزمان ، وهو بعيد كل البعد عن أى شطط أو انحراف عن مبادئ العدالة والإنصاف .

اليهود خونة لا أسرى حرب :

إن اليهود عندما فعلوا ما فعلوا بانضمامهم إلى جيوش الأحزاب الغازية ضد المسلمين ، بل لم يكونوا فى حالة تعاد أو تنافر ، فقد كانوا أصدقاء متحالفين مع المسلمين ، بل مواطنين هم والمسلمون أمة واحدة يشكلون وحدة وطنية لا تتجزأ ، ملزمون هم والمسلمون على حد سواء بالدفاع المشترك عن الوطن الواحد المشترك وهو الوطن اليثربى كما نصت بذلك الاتفاقية المعقودة والمبرمة بينهم .

فيهود بنى قريظة من وجهة نظر القانون الدولى العام لا يمكن وضعهم فى مكان العدو الذى استسلم وهو يخوض حربا مشروعة - قانونا - كالحرب التى تنشب - لسبب من الأسباب بين دولة وأخرى - .

وإنما كان هؤلاء السفهاء من وجهة نظر القانون الدولى العام هو مكان الخائن المتآمر المتواطئ مع العدو على أمته ووطنه فى حالة الحرب القائمة .

وحكم الذى شأنه هكذا عند الظفر به معروف لدى الخاص والعام ومنصوص عليه فى جميع القوانين الدولية ، وهو الإعدام لا غير .

فيهود بنى قريظة لسيوا أسرى حرب بالمعنى المتعارف عليه دوليا ، حتى يقال لماذا لم يعاملهم محمد ﷺ مثلما عامل غيرهم ممن وقع فى يده من أسرى الحرب الآخرين؟ وإنما سفهاء بنى قريظة خونة غادرون ارتكبوا جريمة الخيانة العظمى ضد وطنهم وأمتهم فظفرت بهم يد العدالة بعد أن أدانتهم بالتواطئ مع العدو ضد الوطن الذى هو وطنهم والأمة التى هى جزء منها الدولة التى هم فى ظلها .

لكل دولة قانونها الخاص :

إن المتعارف عليه دوليا فى كل عصر وزمان هو أن لكل أمة ودولة قانونها الخاص الذى تسير على نهجه فى سلمها وحربها .

ودولة الإسلام يوم نزل العقاب بمجرمى بنى قريظة كان لها قانونها الثابت تنطبق نصوصه على كل مواطنيها : مسلمين وغير مسلمين ، وكان قانون الإسلام وما زال هو الدستور الأعلى : **القرآن** يجعل مصير أسرى الحرب إلى الإمام وهو الحاكم والقائد الأعلى للجُيش ليتصرف فيهم وفق مصلحة الأمة والدولة والدين .

وعلى ضوء الحق الذى أعطاه القانون الإسلامي فى حالة الحرب لرئيس الدولة والقائد الأعلى للجيش ، فإن يهود بنى قريظة حتى لو كانوا أسرى حرب بالمعنى المتعارف عليه وأمر القائد الأعلى حبيب الرحمن ﷺ بإعدامهم فإنه فى ناحية العرف السائد دوليا **لا مكان للاستنكار مطلقا** - لم يقتل صاحب الخلق العظيم ﷺ من الأسرى طيلة حياته سوى ثلاثة مرات وهم : عقبة بن أبى معيط ، والنضر بن الحارث وكانا من كبار مجرمى الحرب ومن المستهزئين بالمصطفى ﷺ ، وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى ، أسره المسلمون يوم بدر وأطلق صاحب الشفاعة ﷺ سراحه بعد أن شكى له فقر بناته وأعطاه موثقا أن لا يحمل السلاح ضد المسلمين ولا يحرض على حربهم بشعره أو بسلاحه ، ولكن صفوان بن أمية أغراه بالمال فخرج يحرض القبائل على حرب المسلمين وخرج معهم يوم أُحد فأسره مرة أخرى فأمر النبى الخاتم ﷺ بضرب عنقه - .

إعدام يهود بنى قريظة والاتفاقات الدولية :

منذ أربعة عشر قرنا لم تكن هناك معاهدات أو اتفاقات دولية تحرم إعدام الأسرى المستسلمين كما هو اليوم ، فكيف يزعم المشوشون والطاعنون بالباطل أن يقولوا :

إن أمر محمدا ﷺ بإعدام يهود بنى قريظة قد خالف العرف والقانون والاتفاقات الدولية .

بل إن النظام الشائع يوم ذلك عند جميع الأمم مسلمين وغير مسلمين أن أسرى الحرب يكون مصيرهم فى يد الرئيس الأعلى للدولة .

وعلى فرض أن سفهاء بنى قريظة أسرى حرب بالمعنى المتعارف عليه وليسوا خونة

غادرين ارتكبوا الخيانة العظمى ضد وطنهم ومواطنيهم - مع أنهم بالتأكيد كذلك - فإن مصلحة المسلمين وسلامة كيانهم استلزمت إبادة هؤلاء السفهاء الذين بالإضافة إلى ارتكابهم الخيانة العظمى التى عقوبتها الموت كانوا سرطانا مخربا فى جسد الأمة الإسلامية وكان العقاب العادل بتر هذا السرطان مصلحة تتطلبها الأمة وهو عمل ضرورى لسلامتها ؤيقره القانون السائد فى الأرض التى يقطنها هؤلاء اليهود .

سكان هيروشيما باليابان وبنو قريظة وفلسطين :

إذا قارنا عملية القصاص العادل الذى أباد المسلمون حوالى ثمانمائة مقاتل من خونة سفهاء بنى قريظة المحاربين بما ارتكبه ولا يزال يرتكبه هؤلاء الذين يتشدقون بذكر وحشية عملية إبادة بنى قريظة ويتبجحون بمدنية وعدالة القرن الحادى والعشرين وحقوق الإنسان ، لوجدنا أن عملية واحدة من عمليات الإبادة التى أقدموا عليها تكفى لأن تجعل إبادة بنى قريظة شيئا لا يذكر ، فكم حصد هؤلاء مئات الآلاف من النساء والشيوخ والأطفال الذين لم يكونوا يوما محاربين ويستأصلون شأفتهم باسم القانون وحماية الوطن وسلامة الدولة .

فأين مثلا إبادة ثمانمائة مقاتل من خونة محاربين ناكثين غادرين نزل بهم حكم الإعدام قصاصا من مائتين وخميسن ألف غير محاربين ولا ناكثين ولا غادرين مسحتهم من الوجود هم ومدينتهم هيروشيما بقنبلة ذرية واحدة ؟؟؟

وبعد ألا يخجل هؤلاء المتعصبون الحاقدون الحاسدون أعداء الإسلام ، والباحثون له كل يوم عن مطعن يحط من شأنه ؟

ألا يخجل هؤلاء هم وفروخهم من المنتسبين إلى الإسلام والطاعنين باسم الإنسانية فى الحكم الصادر والنافذ بحق فى المجرمين السفهاء الخونة ؟

ألا يخجل هؤلاء وفروخهم المحسوبين على الإسلام حينما يتشدقون بطعونهم فى حكم الإعدام الصادر بحق ثمانمائة جرثومة ارتكبوا الخيانة العظمى ويصفونه بأنه حكم وحشى لا يتفق مع روح القرن الحادى والعشرين المتمدنة ؟

أين هؤلاء الذين يزنون بمكيالين وهم يرون ما يفعله السفهاء البربر بشعب فلسطين اليوم ؟ الدبابات والطائرات واقتحام المدن والقرى وقتل النساء والشيوخ والأطفال

ومذابح جماعية فى مخيمات الفلسطينيين ؟

أين مجلس الأمن وقرارات الأمم المتحدة وكل يوم عشرات الشهداء يتساقطون تحت أنقاض بيوت الفلسطينيين أو تحصدهم المدافع الرشاشة ؟

أين المتحدثون باسم الإنسانية وحماية المدنيين العزل وحصد مئات الأرواح من غير المحاربين من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال فى فلسطين؟؟

عمليات انتحارية أم استشهادية ؟ :

لما ضرب قادة إسرائيل بقرارات الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن عرض الحائط ولم تلق اعتبارا للرأى العام ولا للقيم الإنسانية فراحوا يقتلون الشيوخ والنساء والأطفال ويغتالون الشباب ويهدمون البيوت ويدمرون كل شىء قام بعض الشباب فطوقوا أجسادهم بمتفجرات واندسوا فى أماكن تجمع هؤلاء السفهاء ثم يفجرون هذه المتفجرات فتحمل أرواح الخنازير إلى جنهم وبئس القرار ، وترتفع صيحات ونهيق ونباح السفهاء :

- **إرهابيون ، مخربون ، ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة وماتوا كفارا منتحرين .**

عندما يقومون كل يوم بل كل ساعة بقتل عشرات الشهداء يكونون غير إرهابيين ولا مخربين وأرواح هؤلاء الفلسطينيين لا تساوى عندهم شيئاً ، وعندما يموت منهم كلب يصرخون ويولولون؟؟

فهل ما يقوم به هؤلاء الشباب دفاعاً عن أنفسهم ومالهم وعرضهم وأرضهم انتحاراً أم شهادة؟

يوم ما دنا الصحابى الجليل عوف بن الحرث بن عفراء من إمام الخير ﷺ وسأله :

- يا رسول الله ، ما يضحك الرب من عبده ؟

كان عوف بن الحرث يريد أن يرضى الله ﷻ غاية الرضا فقال الصادق المصدوق ﷺ :

- غمسه يده فى العدو حاسراً .

فنزع عوف درعا كانت عليه فقذفها ، ثم اندفع يشق صفوف العدو وهو يقاتل بسيفه حتى خلصت إليه الجراح ، وكان الدم يسيل من كل جسمه ، وهو شب وثوب

الأسد الجريح ، لقد وطد العزم على أن يغمس يده فى المشركين حاسرا وأن يقتل كل من يصل إليه سيفه قبل أن تصعد روحه الطاهرة إلى عليين وظل الحرث بن عوف يصول ويجول ويبحث عن الشهادة حتى هبره أحد سيوف المشركين فحمل روحه إلى جنة عرضها السماوات والأرض . .

وقذف عمير بن الحمام التمرات التى كانت فى يده وقال :

- بخ بخ - كلمة تقال لتعظيم الأمر التعجب منه - ما بينى وبين الجنة إلا أن يقتلنى الناس ؟

فتساءل سيد الأولين والآخرين ﷺ :

- لم تبخبخ ؟

قال نموذج الإيمان الصادق الذى لا يقف فى طريقه شىء :

- رجاء أن أكون من أهلها - من أهل الجنة -

ثم أخذ عمير بن الحمام سيفه وغاص فى أمواج المشركين وهو يضرب بسيفه ويقول :

ركضـــــا إلى الله بغـــــير زاد ::: إلا الـــــتقى وعمـــــل المعـــــاد

والصبـــــر فـــــى الله على الجهـــاد ::: وكـــــل زاد عرضـــه النفـــــاد

غيـــر التقـــى والبـــــر والرشـــاد

فهبره سيف من أسياف المشركين .

فصعدت روحه الطاهرة إلى عليين .

فلو كان المبعوث رحمة للعالمين ﷺ يعلم أن عمير بن الحمام ألقى بنفسه فى التهكلة ومات منتحرا لوقف فى وجهه ولكنه تركه ليكون شهيدا ويصيب الفردوس الأعلى .

ويوم حصار الطائف خرج رجل من الحصن واحتمل رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ودخل الحصن فقال نبى الرفاء ﷺ :

- من يستنقذه فله الجنة ؟

كان من يقدم على ذلك يعلم أن ألف سيف وآلاف السهام فى انتظاره ولكن عم

رسول الله ﷺ قام فقال له الصادق المصدوق ﷺ :

- امض ومعك جبريل وميكائيل .

فمضى العباس بن عبد المطلب فحمل الرجلين معا ووضعهما بين يدى رسول الله ﷺ (رواه ابن عساكر) .

ويوم اليمامة لما انهزم بنو حنيفة دخلوا حديقة فيها مسيلمة الكذاب وتحصنوا بها وأغلقوا عليهم أبوابها وأخذوا يرمون المسلمون بالنبل والسهام .

واحتار المسلمون ماذا يفعلون ؟ كيف يقتحمون حديقة الموت ؟ إن اقتحامها معناه ألف ألف سيف وآلاف الحراب والسهام فى انتظار من يقتحمها .

ولكن الإيمان الراسخ استبد بالصحابى الجليل البراء بن مالك فأخذته الرعدة التى تأخذه إذا حضر الحرب فقعد عليه أبو دجانة والطفيل بن عمرو وزيد بن الخطاب فبال البراء بن مالك وصار كالأسد فوثب وقال :

- يا معشر المسلمين ، ألقونى إليهم فى الحديقة .

فقالوا :

- لا تفعل .

كانوا يعلمون أن البراء إذا ألقى فى الحديقة سيلقى حتفه ولكنه عاد يقول فى إصرار :

- والله لتطرحوننى عليهم فيها .

كان يبحث عن الشهادة . . أو النصر .

فرفعوه على لوح خشب برماحهم ، فرمى بنفسه على بنى حنيفة فى حديقة الموت ، شلت المفاجأة والذهول بنى حنيفة ، وقبل أن يفيقوا من ذهولهم كانت يد البراء بن مالك تفتح الباب وراح يقاتل بنى حنيفة .

اندفع المسلمون كالسيل الكاسح تزلزل تكبيراتهم القلوب ، وراحت سيوفهم تطيح برؤوس بنى حنيفة .

ووجد البراء بن مالك ممسكا بسيفه وبه بضع وثمانون جراحة بين رمية سهم وضربة

سيف فحمل إلى رحله يداوى ، وقام عليه خالد بن الوليد شهرا .

وعند أحد حصون العراق كانوا يلقون كلاليب فى سلاسل محماة ، فتعلق البراء بن مالك بأحد هذه الكلاليب حتى قطع الحبل وعندما نظر البراء بن مالك إلى يده فإذا عظامها تلوح فقد ذهب ما عليها من اللحم ولكن بعد أن فتح باب الحصن ودخله المسلمون .

يقول الصحابى الجليل المغيرة بن شعبة الثقفى :

كنا فى غزاة فتقدم رجل فقاتل حتى قتل .

فقالوا :

- ألقى بيده إلى التهلكة .

فكتب فيه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

فكتب الفاروق .

لئن كان كما قالوا هو من الذين قال الله فيهم ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٠٧] (رواه وكيع ، والفريابى ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم عن المغيرة بن شعبة) .

وقال العزيز الحكيم ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ [سورة التوبة الآية : ١١١] .

فهنيئا لشهداء فلسطين الذين باعوا أرواحهم ليرثوا الفردوس الأعلى .

حكم بنى قريظة فى شريعتهم :

إن الحكم الذى أصدره الصحابى الجليل سعد بن معاذ على حلفائه سفهاء بنى قريظة وأقره طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ وقام بتنفيذه قد جاء تماما وفق الشريعة الموسوية عند اليهود أنفسهم فى التوارة عندهم .

فقد نص الإصحاح العشرون فى سفر الثنية من كتابهم المقدس على أن لهم قتل كل الرجال من أعدائهم إذا ظفروا بهم وامتلاك نسائهم وأطفالهم وكل ما يملكون .

فهذا هو نص الإصحاح العشرون من سفر الثنية ، وإن لم تسالمك أية قرية بل حاربتك فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها ، فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك إلهك (سفر الثنية : ٢٠ ، ١٣ - ١٤) .

وهذا النص الصريح فى كتاب اليهود المقدس يجعل هؤلاء السفهاء بالتأكيد يرون أن حقهم تنفيذ حكم الإعدام فيمن وقع فى أيديهم من أعدائهم من الرجال وسبى النساء وذراريهم ومصادرة كل ممتلكاتهم .

وهذا يعنى أن اليهود لو نجحوا فى خيانتهم ومؤامرتهم الحقيرة وتم لهم وللأحزاب محاصرة وهزيمة المسلمين يوم الخندق لما ترددوا لحظة فى إبادة المحاربين من أصحاب لا إله إلا الله وسبى نسائهم وذراريهم ومصادرة أموالهم تمشيا مع حكم كتابهم المقدس والشريعة الموسوية الذى جاء صريحا فى سفر الثنية .

ولكن القوى المتين أبى إلا يتم نوره وينصر عبده وهزم الأحزاب وحده فكانت العقوبة التى أنزلها حزب الله بالسفهاء الفجرة هى نفس العقوبة التى كان هؤلاء السفهاء ينوون إنزالها بالجيش المحمدى لو وقعوا فى أيديهم .

فالحكم النازل باليهود إنما جاء تماما وفقا لشريعتهم ، فهو إذن جزاء وفاقا .

وعلى ذلك لم يبق لا من الناحية الشرعية والدينية ولا الوجدانية ولا القانونية أى مجال للانتقاد فى الحكم الصادر والنافذ بحق فى سفهاء بنى قريظة .

وبالإضافة إلى كل ما ذكرنا وأوردنا من حجج لا تقبل الجدل ، فإنا نقول لهؤلاء الطاعنين الحاقدين والمستبشعين لهذا الحكم : إنه مهما تقولون فى صرامة هذا الحكم وقسوته لو أن واحدا منكم كان قائدا عسكريا وتعرض هو وجيشه وأمته ووطنه لمثل ما تعرض له خاتم الأنبياء ﷺ من خطر خيانة يهود بنى قريظة وغدرهم بانقلابهم على المسلمين فى ذلك الظرف الخطر لما وسعه إلا أن ينزل بهم على الأقل ذلك الحكم الذى أنزله الرحمة المهداة ﷺ بأولئك الخونة الغادرين .

إنصاف الصحابي الجليل سعد بن معاذ :

ليس من الغريب أن يندفع غلاة المستشرقين والحاقدين والمأجورين فى تجريد سيد

الأوس سعد بن معاذ حين أصدر حكمه العادل باستئصال سفهاء بنى قريظة ، إذ أنهم خانوا الله ورسوله وتآمروا بالمسلمين فحالفوا قريشا على حرب إمام الخير ﷺ ، ناقضين عهدهم الوثيق الغليظ معلنين دفائن أحقادهم الثائرة .

وصدق الذى لا يخلف وعده فرد **الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا** ، وحان أوان القصاص فارتضوا حليفهم سعد بن معاذ حكما ، **فجزاهم بما اقترفوا من العقوق والغدر والخيانة ونقض العهد أعدل الجزاء .**

وليس من الغريب أن يندفع غلاة المستشرقين فى ذلك عن غرض جائر وهوى مريض ، **إنما الغريب حقا أن يستمع إليهم بعض المنتسبين إلى الإسلام من كبار رجال القانون فيروا فى حكم سعد بن معاذ مغالات كبيرة .**

ولا أدرى كيف يقولون ذلك وقد درسوا **القوانين** المعاصرة دراسة نافذة ، **وكان فى** مقدرتهم أن يطبقوها على قضية سفهاء بنى **قريظة** ليروا أن قوانين القرن العشرين **والحادى والعشرين لا تختلف فى شىء عما أصدره القاضى سعد بن معاذ .**

ولكن **أقوال** ذوى الغرض الحاقدين الحاسدين من المستشرقين قد خدعت رجالنا عن عقولهم فنسوا ما يحفظون وتجاهلوا ما **يعلمون فقد كان** بين صاحب الشفاعة ﷺ وبين يهود بنى قريظة معاهدة تحفظ حقوق **الفريقين** وتقضى على كل فريق أن ينصر الآخر إذا واجه خطر الحرب ، **ولكن السفهاء تآمروا فانضموا إلى أعداء المسلمين وأوقفوهم بين فكى الرحى فى مدينة رسول الله ﷺ مصليا بنار أعدائه المشركين من جهة واعتداء حلفائه اليهود فى ساعة العسرة من جهة ثانية .**

فاقترفوا بذلك الغدر الشنيع **ثلاث جرائم :**

أولا : رفع السلاح ضد سلطان المدينة **مع الأحزاب** المعتدين .

ثانيا : دس الدسائس لدى الأحزاب ضد **المسلمين .**

ثالثا : تسهيل دخول العدو المدينة ففقد **الخندق** حماية المدينة .

وقانون العقوبات المصرى وهو **أقرب قانون** يعرفه من يؤاخذون سعد بن معاذ من رجالنا **القانونيين يجعل عقوبة الإعدام لكل جريمة من الجرائم الثلاث التى ارتكبها**

سفهاء بنى قريظة .

أين هؤلاء الطاعنين الحاقدين ؟ :

لم نسمع نباح أحد من هؤلاء الطاعنين فى حكم سعد بن معاذ الذى حكم بحكم الله ﷻ من فوق سماوات يوم مذبحة دير ياسين أو نهيق أحدهم يوم مذبحة صبرا وشتيلا أو استنكار أحدهم يوم معسكر جنين وراملة .

أين جعجعة هؤلاء المتشدقين بمبادئ الديمقراطية والإنسانية لما يقوم به كلاب إسرائيل اليوم وإبادة شعب أعزل يسقط كل يوم بل كل ساعة عشرات الشهداء برصاص وحوش غابة إسرائيل .

كلمة حق من كاتب إنجليزي :

إذا كانت جمهرة كتاب الغرب الصليبي قد جانب الصواب وحادت عن جادة الإنصاف عندما وصفت الحكم الصادر والنافذ بحق سفهاء بنى قريظة بالوحشية والقسوة ، **فإن بعض هؤلاء الكتاب لم يخلوا من منصفين قالوا كلمة حق وأبوا الانحراف** فى تيار الهوى والحقد والعاطفة فنفوا بتجرد ونزاهة أن يكون فى ذلك الحكم السماوى أى شيء من الوحشية والهمجية ، ومن هؤلاء الكاتب الإنجليزى الكبير الدكتور **مونتجمرى وات** فقد جاء فى كتابه : (محمد نبى ورجل دولة ، صفحة ١٧١) وما بعدها ما يلى :

لقد انتقد بعض الأوربيين الحكم الصادر بحق بنى قريظة ووصفوه بالهمجية ، ولقد اندهش بعض معاصرى محمد ﷺ لعدم اكتراثه بالعواقب التى قد تنتج عن قتل بنى قريظة ، **إلا أن عمل هذه القبيلة أثناء محاصرة المدينة كان يعتبر ناقضا للمعاهدة المبرمة مع محمد ﷺ** .

ثم ينفى الدكتور مونتجمرى وات ما ألصقه بعض المستشرقين بالنبى ﷺ من اتهامات باطلة فيقول :

ولا داعى للافتراض بأن محمداً ﷺ قد ضغط على سعد بن معاذ لينزل هذه العقوبة ببنى قريظة فإن رجلا بعيد النظر كسعد يبد أنه أدرك طغيان الولاء القبلى على الولاء الإسلامى سيجدد المعارك الدموية التى جاءوا - أى الأوس والخزرج - بمحمد ﷺ

لينقذهم منها .

ويقال :

أنه عندما مثل سعد أمام محمد ﷺ لينفذ حكمه أشار سعد إلى أن قرب نهايته - كان مصابا بسهم ابن العرقة يوم الخندق - تحتم عليه أولاً القيام بواجبه تجاه ربه والجماعة الإسلامية حتى على حساب الأحلاف القديمة .

ثم يشير الكاتب الإنجليزى إلى حكمة رسول الله ﷺ فى اختيار حليف اليهود سعد ابن معاذ ليحكم فيهم ، **ويستدل من ذلك على بعد النبى ﷺ عن الديكتاتورية التى اتهمه بها خصومه فيقول دكتور مونتجمرى وات :**

إن تعيين سعد بن معاذ من قبل محمد ﷺ لم يكن يقصد به التستر وراء سلطة ديكتاتورية ، لم يكن محمد ﷺ يملكها فى ذلك الوقت ، بل كانت محاولة لمعالجة مشكلة عويصة بأحصف وأحذق طريقة ممكنة .

ثم يؤكد الدكتور مونتجمرى وات بأن الحكم النافذ فى حق بنى قريظة لم ينفذ **لأنهم يهود بل لأنهم خونة ارتكبوا الخيانة العظمى فيقول :**

لم تبق قبيلة يهودية ذات أهمية بالمدينة بعد القضاء على بنى قريظة ، بل كانت هناك بعض الجماعات الصغيرة .

وتشير بعض الروايات إلى أن أحد أثرياء اليهود قد اشترى بعض نساء وأطفال بنى قريظة ، ولا شك أن اليهود الذين تخلفوا فى المدينة كانوا على جانب كبير من الحذر فلم يمتنعوا عن بعض النشاطات المادية فحسب ، بل عن بعض الأنشطة الاجتماعية ، غير أن عواطفهم بلا شك كانت مع إخوانهم اليهود فى خيبر .

إن استمرار وجود بعض اليهود فى المدينة يمكن أن يعتبر دليلا ضد وجهة نظر بعض العلماء الاوربيين التى تقول :

إن محمدا ﷺ انتهج فى السنة الثانية من الهجرة سياسة إبادة جميع اليهود فى المدينة لمجرد كونهم يهود وأن هذه السياسة أخذت تزداد عنفا .

ويقول الدكتور مونتجمرى وات :

إلا أن محمدا ﷺ لم يكن طبيعته سلوك مثل هذه السياسة ، فقد كان يتمتع بنظرة معتدلة لأسس المشاكل المعاصرة ولسياسة طويلة الأمد يكون على ضوئها سياسته بموجب العوامل .

أما بالنسبة لهجومه على القبيلتين اليهود فقد كانت مجرد فرصة مواتية غير أنه كانت هناك بعض الأسباب العميقة فقد كان اليهود من جانبهم يحاولون زعزعة المجتمع الإسلامى بانتقاداتهم الموجهة ضد الوحى القرآنى ، كما أنهم كانوا يمنحون تأييدهم السياسى لأعداء محمد ﷺ ومناوئيه من المنافقين ، وقد سمح لهم محمد ﷺ مع هذا بالعيش فى المدينة دون أن يمسهم منه أى أذى .

اليهود وصلح الحديبية :

أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بنى المصطلق شهر رمضان وشوالا وخرج فى ذى القعدة من العام السادس للهجرة معتمرا لا يريد حربا ، واستنفر خاتم الأنبياء ﷺ العرب ومن حوله من أهل الوادى من الأعراب وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثيرا من الأعراب .

وخرج السراج المنير ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب فكان الناس سبعمائة رجل وساق الهدى فكانت كل بدنة عن عشرة نفر .

وقيل :

كانوا ألف وخمسمائة وعشرون رجلا وأحرم معه ﷺ زوجه أم المؤمنين أم سلمة .

وصدت قريش أبا القاسم ﷺ والذين معه فلجأ إلى الحديبية . . فكان صلح الحديبية الذى ينص على :

١- وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض .

٢- من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليه ، ومن أتى قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه .

٣- بينهما عيبة - مكفوفة - صدر نقى من الغل والخداع مطويا على الوفاء - ،

وأنه لا إسلال .

الأسلال : السرقة الخفية ، وقيل سل السيف ، سل الشىء بالليل خلسة - ولا أغلال

الأغلال : الخيانة .

٤- من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

فتواثب خزاعة وقالوا :

- نحن فى عقد محمد وعهده .

وتواثبت بنو بكر وقالوا :

- نحن فى عقد قريش وعهدهم .

٥- يرجع محمد ومن معه هذا العام فلا يدخل مكة ، على أن يدخلها هو وأصحابه عام قابل فتخرج قريش عنها ويدخلها محمد بأصحابه ويقيم بها ثلاثة أيام ومعه سلاح الراكب ، السيوف فى القرب لا يدخلها بغيرها .

وعلى الرغم من أن المسلمين كانوا يرون أن البند الثانى كان مجحفًا فقد أنزل العليم الخبير﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الفتح الآية : ١] .

فنسوا أن قريشا قد صدتهم عن المسجد الحرام عندما أخبرهم الصادق المصدوق ﷺ أن هذا فتح ، ووعدهم الذى لا يخلف الميعاد بفتح خيبر﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ [سورة الفتح الآية : ٢٠] .

فكان هذا الوعد الحق من الله ﷻ تطمينا للمسلمين وتثبيتا لعزائمهم ، فلم يعد لأحد منهم شك أن القوى العزيز سيفتح عليهم خيبر ويجعلها بواحاتها الخضراء الواسعة وحدائقها النضرة غنيمة لهم .

وكان اليهود فى خيبر يطوون أفئدتهم على البغضاء لنبى الوفاء ﷺ ، وكانوا كالأفاعى فى الجحور يتحينون الفرص ليطعنوا الإسلام طعنة فى الصميم ، فلما عاد المسلمون بعد صلح الحديبية إلى المدينة دون أن تسمح لهم قريش بدخول مكة والطواف

حول البيت ، ظن اليهود أن نبى الإسلام ﷺ لم يقبل شروط صلح الحديبية المجحفة بالمسلمين إلا لوهن دب فى كيان ملكه ، فأرادوا أن يستغلوا ذلك الضعف فبعثوا إلى غطفان ليؤلبوهم على حرب خاتم الأنبياء ﷺ .

وجاء الخبر إلى الرحمة المهداة ﷺ أن خيبر تتأهب لقتاله والسير إليه وكان إمام المجاهدين ﷺ إذا علم أن قوما يتأهبون لقتاله لم ينتظر حتى يقتحموا المدينة بل يسرع بالسير إليهم ويفرق جمعهم فى عقر دارهم .

لم ينتظر حبيب الرحمن ﷺ أن يفاجأه السفهاء وحلفاؤهم بهجومهم ، فاستنفر من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه .

ففرح المسلمين فقد كانوا حريصين كل الحرص على الجهاد فى سبيل الله الذى هو السبيل الوحيد لنيل أعلى الدرجات عند الله ﷻ عن طريق الاستشهاد فى سبيله .

وجاء المخلفون عنه فى غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال الصادق المصدوق ﷺ:

- لا تخرجوا معى إلا راغبين فى الجهاد ، فأما الغنيمة فلا .

ثم أمر منادينا ينادى بذلك .

فنادى به .

نموذج من الديمقراطية الصحيحة :

كان فى مدينة رسول الله ﷺ بقية من اليهود لم تنلهم يد العقوبة التى نالت بنى قريظة الخونة الغادرين لأن هذه البقية من اليهود لم يكن لها يد فى الغدر التى أقدمت عليه بنو قريظة ، ولهذا لم يتعرض لهم صاحب الخلق العظيم ﷺ لا بنفى ولا بقتل ولا بحبس ، فظلوا فى المدينة أحرارا فى ذمة وعهد المسلمين .

إلا أن هؤلاء السفهاء بالرغم من المعاملة الحسنة العادلة التى يعاملهم بها المسلمون ظل هواهم مع إخوانهم يهود خيبر ، بل لم يتورعوا عن التخريب والتعصب لهم داخل المدينة علنا .

فلما علم هؤلاء اليهود الذين ظلوا فى المدينة وفى عهد وذمة المسلمين - بعد تأديب

بنى قريظة - لما علموا بتجهيز المسلمين لغزو خيبر شق عليهم ذلك لأنهم موقنون أن احتلال المسلمين لخيبر يعنى إنهاء الوجود اليهودى الدخيل فى الجزيرة ، فلم يجدوا مانعا من التعبير عن عطفهم على يهود خيبر وامتعاضهم من المسلمين لاعتزامهم الزحف على خيبر .

إحراج اليهود للمسلمين :

كان اليهود أصحاب ثروات كبيرة ، وكان المسلمون يقترضون منهم لقلة ما بأيديهم من الأموال فلم يكاد أحد من المسلمين يسلم من أن يكون عليه دين ليهودى فى المدينة ، وقد استغل اليهود ذلك لصالح يهود خيبر ، فحاولوا تعويق ومنع المسلمين عن الغزو بمطالبتهم فورا بتسديد ما عليهم من ديون قبل حلول الموعد المتفق عليه .

ولم يكتف يهود المدينة بذلك بل أخذوا يسخرون من قوة المسلمين الذين هم فى ذمتهم وتحت سلطانهم وقالوا :

- تحسبون أن قتال خيبر مثلما تلقونه من الأعراب ؟ فيها والتوراة عشرة آلاف مقاتل .

فقال المسلمون :

- أى أعداء الله تخوفوننا بعدونا وأنتم فى ذمتنا وجوارنا ؟

وسخر يهودى من قوة المسلمين وعظم من قوة يهود بنى خيبر وتمنى لهم النصر على المسلمين وخوفهم بعددهم وعديدهم حتى أغضب أحد جنود الإسلام ، وعندما رفع هذا الجندى أمره إلى المبعوث للناس كافة ﷺ لم يتخد معلم البشرية ﷺ أى إجراء ضد هذا اليهودى ، بل أمر الرجل المسلم أن يدفع إلى اليهودى ما عليه من دين قبل أن يشتكى وقال له :

- أعطه حقه .

فهل يرى أدعياء الديمقراطية فى هذا العصر شرقيين كانوا أم غربيين أنهم يستطيعون معاملة من يخالفهم فى العقيدة والمذهب والاتجاه ممن تحت سلطانهم معاملة الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ لهذا اليهودى ؟؟؟

يهود المدينة يتجسسون على المسلمين :

لم يكتف يهود المدينة بالتعبير عن عطفهم على يهود خيبر والتعصب لهم ومحاولة تعويق المسلمين عن الغزو بمطالبتهم فورا بتسديد ما عليهم من ديون ، بل بعثوا بأعرابى من أشجع استأجروه ليحمل إلى قادة يهود خيبر كل ما يحتاجون من معلومات عن الجيش الإسلامى ويطلبون منهم الصمود فى وجه المسلمين ، وقد وقع هذا الجاسوس فى قبضة دورية الجيش الإسلامى التى كانت تقوم بالاستطلاع .

المنافقون طابور اليهود الخامس :

كان يهود خيبر ليسوا بحاجة إلى أن يبعثوا بالأرصاد والجواسيس لينقلوا إليهم حقيقة الموقف فى مدينة رسول الله ﷺ وليبلغونهم كيف ومتى يعتزم النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى ﷺ التحرك بجيشه لغزوهم؟

فقد كان الباطنيون من المنافقين الذين يحملون الهوية الإسلامية فى الظاهر والمقيمون بين أظهر المسلمين ، كان هؤلاء المنافقون بمثابة الرتل الخامس العامل لحساب يهود خيبر بين صفوف المسلمين فى مدينة رسول الله ﷺ فمنذ بزغت شمس الإسلام وحمله أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس إلى يثرب كان هؤلاء المنافقون يضعون أيديهم فى أيدى اليهود ويشكلون فى المدينة جبهة قوية مناوشة للإسلام والمسلمين .

اليهود يمثلون المعارضة الصريحة والمعاداة ، والمنافقون يقفون وراء هؤلاء السفهاء كعناصر سرية مساندة تشجعهم على التحرش بالمسلمين وتشد من عضدهم ، بل وتمد إليهم يد العون المادى والأدبى جهرا إن أمكن وسرا إذا لم يمكن الجهر .

استعداد اليهود للمواجهة :

كان يهود خيبر منذ فشل خطة غزو الأحزاب التى هى من وحى اليهود وتدبيرهم فى السنة الرابعة من الهجرة يتوقعون أن يقوم المسلمون بتأديبهم عن طريق حرب وقائية شاملة ، ولذلك كانوا يستعدون للمواجهة بصفة عامة ، إلا أنهم ما كانوا يعلمون على وجه التحديد متى سيتحرك الجيش الإسلامى لغزوهم ؟؟

إلا أنهم بعد أن تلقوا عن طريق عملائهم المنافقين فى المدينة كافة التفاصيل الدقيقة عن مدى قوة المسلمين ، أخذوا فى التهيؤ والاستعداد للمواجهة وعلى أوسع نطاق

وبصورة جديدة ، فحشدوا كافة قواهم العسكرية واتخذوا كافة الإجراءات التى يرونها ضرورية لمواجهة هذا الغزو ، وكانت خطتهم الأساسية خطة دفاعية محضة بالرغم من تفوقهم على المسلمين تفوقا كبيرا فى كل شىء مادى فلديهم حصون وقلاع منيعة ، ووضعوا النساء والذرارى فى الحصون الخلفية ، ولم يسمحوا لأحد أن يبقى فى الحصون والقلاع الأمامية غير حملة بالسلاح الذين امتلأت بهم ساحات وأبراج هذه الحصون .

اختلافات قادة اليهود فى وضع الخطط :

عندما أحس قادة السفهاء بمسير الذى جعل الله له الأرض مسجدا وطهورا ﷺ إليهم بجيشه عقدوا مجلسا عسكريا تبادلوا فيه الرأى حول أفضل الخطط التى يجب اتباعها لمواجهة جيش الإسلام .

وأثناء بحث هذا الموضوع انقسم قادة اليهود إلى ثلاث فئات :

فئة ترى أن تتحصن اليهود فى الحصون والقلاع ويقاتلوا المسلمين من وراء الأسوار بحجة أن ذلك يضجر المسلمين فيجبرهم فى النهاية على الانسحاب دون أن يقدروا على اقتحام الحصون لمناعتها وكثرة المقاتلين فيها .

وفئة ترى أن يهود خيبر يعسكروا خارج الحصون والقلاع ويواجهوا المسلمين فى العراء فيخوضوا معهم معركة فاصلة خاطفة بدلا من التحصن داخل الحصون والقلاع .

أما الفئة الثالثة فقد ذهبت فى الجرأة إلى أبعد مما ذهبت إليه الفئة الثانية فقد اقترحت هذه الفئة غزو المسلمين فى المدينة وضربهم فيها قبل أن يتحركوا بقواتهم نحو خيبر وكان سلام بن مشكم النضرى قائدا عاما لقوات يهود خيبر وكان يقال له صاحب حربهم فقال :

- هذا كله عمل حيى بن أخطب أشأمنا أولا ، وخلفنا فى الرأى ، فأخرجنا من أموالنا وشرفنا - كان سلام بن مشكم مع منصبه القيادى الحربى حبرا من أحبار يهود ، وكان يعلم أن محمدا ﷺ رسول من عند الله ، وكان الزعيم اليهودى الوحيد الذى عارض فكرة اغتيال حبيب الرحمن ﷺ فى ديار بنى النضير بالمدينة ولكن معارضته رفضت واتبع بنو النضير رأى حيى بن أخطب وحاولوا اغتيال خاتم الأنبياء ﷺ وكان ذلك من أسباب نفيهم من المدينة - وقتل إخواننا - يعنى بنى قريظة الذى غرر بهم حيى ابن أخطب فخانوا عهد المسلمين - وأشد من القتل سبى الذرية ، لا قامت يهود

بالحجاز أبدا ، ليس لليهود عزم ولا رأى .

فقالوا :

- وما الرأى يا أبا عمرو ؟

فقال سلام بن مشكم :

- وما تصنعون برأى لا تأخذون منه حرفا ؟

قال كنانة بن أبى الحقيق :

- ليس هذا بحين عتاب ، فقد صار الأمر إلى ما ترى .

قال سلام بن مشكم :

- محمد قد فرغ من يهود يثرب وهو سائر إليكم فنازل بساحتكم ، وصانع بكم ما صنع ببنى قريظة .

فعادوا يتساءلون :

- فما الرأى ؟

قال سلام بن مشكم :

- نسير إليه بمن معنا من يهود خيبر ، فلهم عدد ، ونستجلب يهود تيماء وفدك ووادى القرى ، ولا نستعين بأحد من الأعراب ، فقد رأيتم فى غزوة الخندق ما صنعت بكم العرب - يعنى غطفان - بعد أن شرطتم لهم تمر خيبر نقضوا ذلك وخذلوكم ، وطلبوا من محمد بعض تمر الأوس والخزرج ينصرفون عنه .

ثم عاد سلام بن مشكم وجدد دعوته إلى غزو المدينة قبل أن يزحف الجيش الإسلامى إلى خيبر وقال :

- نسير إليه - أى النبى ﷺ - فى عقر داره فنقاتل على وتر حديث وقديم .

فمال أكثر قادة خيبر إلى رأى سلام بن مشكم قائلين :

- هذا هو الرأى .

ولكن ملك اليهود كنانة بن أبى الحقيق عارض فكرة غزو المدينة التى أبداها سلام ابن مشكم وقال :

- إنى قد رأيت وأخبرتهم فرأيتهم أشد عليه - أى ﷺ - وحصونهم هذه ليست مثل ما هناك - يعنى يثرب- ومحمد لا يسير علينا أبدا لما يعرف .

فغضب سلام بن مشكم لمعارضة كنانة بن أبى الحقيق لاقتراحه وقال بحدة :

- هذا رجل لا يقاتل حتى يؤخذ برقبته .

خيبر تستنجد بأعراب نجد :

على أثر المعلومات التى تلقاها يهود خيبر من عملائهم المنافقين واليهود فى مدينة رسول الله ﷺ والتى تفيد أن أبا القاسم ﷺ قد قرر الزحف على خيبر ، سارع يهود خيبر إلى طلب النجدة من أصدقائهم القدامى وجيرانهم أعراب نجد ، فبعثت خيبر بوفد من زعمائها ليطوف على هذه القبائل الوثنية ويطلب منها النجدة والمساعدة لمواجهة الجيش الإسلامى الذى يعتبره الفريقان عدوا مشتركا .

وكان هذا الوفد مكونا من أربعة عشر رجلا على رأسهم كنانة بن أبى الحقيق ملك خيبر الجديد ، هوذة بن قيس الوائلى أحد قادة اليهود البارزين .

وطاف هذا الوفد على قبائل غطفان الوثنية طالبا منها مده بقوات كبيرة ترابط إلى جانب يهود خيبر لمواجهة المسلمين .

فلم تتردد هذه القبائل الوثنية فى الاستجابة لطلب يهود خيبر وخاصة : غطفان وبنى أسد فقد بعثوا بعدة كتائب من رجالهم بقيادة عيينة بن حصن الفزارى على رجال غطفان ، وطليحة بن خويلد الأسدى على بنى أسد .

فأصبحت مهمة شاقة وعسيرة على المسلمين أن يقوموا بها وتغلب هذه القلة من المسلمين المكشوفين فى العراء على تلك الكثرة الهائلة ، المتحصنة خلف تلك القلاع والحصون المنيعة هو نوع من المعجزات إن صح هذا التعبير .

رفض بنى مرة أن ينجدوا اليهود :

إذا كانت قبائل غطفان وبنى أسد قد استجابت لنداء يهود خيبر فإن بنى مرة بناء

على نصيحة سيدها الحارث بن عوف المرى الذى نصحها **بأن لا تتورط فى مساندة يهود** خيبر كما تورطت فى الاستجابة لوساوسهم حين شاركوا الحلف اليهودى الوثنى يوم الأحزاب فكانت حربا خاسرة ولم يكتف الحارث بن عوف بذلك بل نصح صاحبه عيينة بن حصن الفزارى **ألا يستجيب لنداء يهود خيبر** وأبلغه صراحة أنه إن فعل إنما يأتى عبثا ويرتكب خطأ وإن محمدا ﷺ سيظهر عليهم وأنه سيملك الأرض جميعا .

تحرك الجيش الإسلامى نحو خيبر :

بينما كان يهود خيبر يعدون لمواجهة المسلمين ويتصلون بحلفائهم من قبائل نجد الوثنية لإنجادهم ، كان المسلمون فى مدينة رسول الله ﷺ يهيئون أنفسهم ويستكملون تجهيزات جيشهم للمعركة التى قرر المبعوث كافة ﷺ خوضها مع يهود خيبر لإنهاء وجودهم الدخيل فى الجزيرة كلها .

وبعد أن أكمل إمام الخير ﷺ حشد جيشه وإعداده فى المدينة خرج به فى اتجاه خيبر وكان ذلك فى **أوائل شهر محرم من السنة السابعة للهجرة .**

وكان جيش المسلمين نحو ألف وأربعمائة مقاتل كلهم حضر الحديبية ، وكان بينهم مئتا فارس .

وكان هذا أكبر عدد من الفرسان يتوفر لدى المسلمين فى جيش يغزون به فى تاريخهم حتى ذلك اليوم .

وقبل أن يتحرك النبى الخاتم ﷺ بجيشه من المدينة كون وحدة للاستكشاف والاستطلاع كلها من الفرسان بقيادة الصحابى الجليل **عباد بن بشر الأنصارى** ، وقد كانت مهمة هذه الوحدة أن تنطلق أمام الجيش الإسلامى لارتياد المسالك والطريق ، وكشفها أمام الجيش الزاحف للتأكد من خلوها من كمائن اليهود وجواسيسهم والتعرف على أخبارهم .

كما أن الصادق المصدوق ﷺ وأصحابه كانوا يجهلون المسالك والطرق المؤدية إلى خيبر ولا يعرفون شيئا عن طبيعة البلاد التى سيمرون بها ، فقد استعانوا بأدلاء خبيرين بتلك الأرض ومسالكها ليدلوا الجيش حتى يصل إلى خيبر ، وكان من بين هؤلاء الأدلاء حسيل بن خارجة ، وعبد الله بن نعيم وكلاهما من قبيلة أشجع النجدية التى

كان رجالها دائما يرتادون فى الجاهلية منطقة خيبر .

وأثناء قيام عباد بن بشر ووحدته بأعمال الاستكشاف أمام الجيش النبوى ألقوا القبض على رجل من أشجع بعد أن اشتبهوا فيه بأنه جاسوس ليهود خيبر ، وقد أنكر الأشجعى أول الأمر أن يكون جاسوسا إلا أن التحقيق الذى أجراه معه عباد بن بشر حمله على الاعتراف بتجسسه لحساب اليهود .

خاتم النبيين ﷺ يطلب من غطفان عدم مناصرة يهود خيبر :

اتفق اليهود والمرتزقة من غطفان بأن تقوم قبائل غطفان بمساندة اليهود ضد المسلمين عسكريا حسب الخطة الآتية :

تبعث غطفان بمجموعة من رجالها المسلحين إلى اليهود ليكونوا معهم فى حصونهم وقد فعلوا ذلك فقد أرسلوا عدة كتائب بقيادة عيينة بن حصن الفزارى وطليحة بن خويلد الأسدى وحذيفة بن بدر الفزارى .

أن يقوم أربعة آلاف مقاتل من غطفان بحركة التفاف على المسلمين لضربهم من الخلف عندما يكونون قريبين من خيبر .

وقد تعهد زعماء يهود خيبر لغطفان بأن يمنحوهم نصف ثمار خيبر مقابل هذه المساندة العسكرية ضد المسلمين .

ونفذ الغطفانيون البند الأول من الاتفاقية قبل أن يتحرك الجيش الإسلامى من المدينة إذ وصلت إلى خيبر كتائب من جيوش غطفان وبنى أسد بقيادة عيينة وطليحة وحذيفة ورابطت هذه القوات مع اليهود داخل حصونهم وقلاعهم .

وأما البند الثانى من الاتفاقية فقد شرع الوثنيون فى تنفيذه عندما وصل الجيش المحمدى إلى ضواحى خيبر فتحركت من خلفهم أربعة آلاف مقاتل من غطفان بقصد الالتفاف على المسلمين **لقطع خط الرجعة عليهم وجعلهم بين نارين .**

ولاشك أن هذا قد أوقع الجيش الإسلامى فى موقف حرج ، وخاصة إذا أخذنا فى الاعتبار **أن قوة المسلمين لا تزيد عن ألف وأربعمائة مقاتل يقابلها أحد عشر ألف مقاتل هى فى انتظارهم داخل الحصون والقلاع فى خيبر وأربعة آلاف مقاتل بدأت فى التحرك**

لتقطع خط رجعتهم من الخلف ، بل وتهاجمهم قبل أن يبدأوا هم الهجوم على اليهود .

ونظرا للموقف الخطير الذى صارت إليه القوات الإسلامية قبل بدئها الهجوم على خيبر ، فقام الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ كقائد عسكرى مسئول بالاتصال بقادة قبائل غطفان ونصحهم بأن يلتزموا الحياد فى الصراع الذى سيدور بينه وبين يهود خيبر وأبلغهم - مؤكدا لهم - بأن الله ﷻ سيفتح عليه خيبر لا محالة لأنه وعده بذلك ووعده لن يخلفه - .

وبعث المبعوث رحمة للعالمين ﷺ إلى غطفان وبنى أسد رسالة قال فيها :

أن خلوا بينى وبين القوم - يهود خيبر - فإن الله قد وعدنى أن يفتحها لى - أى خيبر - .

وقال المؤرخون :

إن النبى ﷺ ليجنب جيشه خطر مؤازرة قبائل غطفان وبنى أسد ليهود خيبر ضده أبلغ رؤساء هذه القبائل بأنه على استعداد بأن تكون خيبر لهم ، إن هم أسلموا وخلوا بينه وبين هؤلاء اليهود .

وبعض المؤرخين ذكر :

أنه لم يشترط إسلامهم ، بل طلب منهم التزام جانب الحياد فلا يعينوا يهود خيبر عليهم على أن يعطيهم مقابل ذلك نصف ثمار خيبر بعد فتحها .

إلا أن رؤساء قبائل غطفان قد ركبهم الغرور حين رأوا تلك القوات الضاربة منهم ومن حلفائهم اليهود . . **خمسة عشر ألف مقاتل على وشك الإحاطة بألف وأربعمائة من المسلمين بعيدين عن حاضرتهم المدينة .**

لقد ظن الحلف الوثنى اليهودى أنهم الغالبون لا محالة هذه المرة وأنها ستكون حرب أحزاب ظافرة ضد المسلمين لا كحرب الخندق الأولى التى اشتركت فيها قريش وقريظة والتى كانت نتيجتها الفشل .

لذلك رفض رؤساء هذه القبائل كل العروض النبوية وأبوا أن يلتزموا الحياد ، فأبلغوا أبا القاسم ﷺ أنهم لن يتخلوا عن حلفائهم اليهود وأنهم سيقاتلون معهم وإلى جانبهم .

الانتصار بالرعب:

نتيجة إصرار غطفان وبنى أسد على محاربة المسلمين إلى جانب يهود خيبر أصبح الموقف بالنسبة للمسلمين **موقفا دقيقا** وحرجا ، إلا أن ذلك لم يفت فى عضدهم ولم يثنهم عن عزمهم فقد استمروا فى تحركهم فى اتجاه خيبر **واثقين من نصر الله ﷻ وقد وعدهم ذلك ، والله لن يخلف وعده .**

سار المسلمون فى طريقهم نحو المعركة الفاصلة وكلهم ثقة وإيمان واطمئنان فلم تكن تلك القوات الضارية من الحلف الوثنى اليهودى لها أى أثر على معنوياتهم الحربية ، لأنهم بعد وعد العزيز الحكيم الذى وعدهم لم يعودوا يزنوا الأمور ويقيسوها بموازين ومقاييس مادية أو موازين الأرض ، وإنما قاسوها حسب موازين السماء واعتمادا على القوى المتين الذى لم يكن تحركهم من المدينة إلا فى سبيل مرضاته ولإعلاء كلمته .

ولهذا كانت نفس كل واحد من المسلمين مشحونة بطاقات روحية هائلة تجعله فى قرارة نفسه موقنا بأنه قادر على أن يواجه بمفرده مائة من أعدائه ويتغلب عليهم .

وقبل أن يحدث أى اشتباك مسلح بين المسلمين وأعدائهم بدت بشائر النصر للمسلمين تلمع فى الأفق فقد خرجت قوات غطفان التى بلغت أربعة آلاف مقاتل تسير خلف جيش المسلمين وهم سائرون إلى خيبر وتتعقبهم قاطعة عليهم خط الرجعة ومقررة الهجوم عليهم من الخلف لإرباكهم وجعلهم بينها وبين حلفائها من يهود الهدف الرئيسى لتحركات الجيش الإسلامى فإذا بقادة قوات غطفان وبنى أسد يسمعون من خلفهم يصيح فيهم منذرا :

إن المسلمين قد أغاروا على دياركم ومضاربكم وإنهم على وشك استياق أموالكم وسبى نسائكم وذراريكم .

وقيل :

إن جيش غطفان وبنى أسد بعد أن ساروا مرحلة خلف جيش المسلمين سمعوا خلفهم أصواتا فظنوا أن المسلمين قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى أهليهم ، وأموالهم وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين يهود خيبر .

كما سمع جيش غطفان وبنى أسد الذين كانوا فى حصون وقلاع يهود خيبر نفس الصائح فانسحبوا وتركوا السفهاء وحدهم .

قال الصادق المصدوق ﷺ :

- نصرت بالرعب مسيرة شهر .

قال عيينة بن حصن الفزارى :

إنا فى حصن النطاة بعد هدأة - الهدأة : أول الليل - إذ سمعنا صائحا يصيح : لا ندرى من السماء أو من الأرض :

- أهليكم أهليكم بحيفاء - صيح ثلاثة - فلا تربة ولا مال .

فقال الحارث بن عوف المرى :

- يا عيينة ، والله لقد غبرت - أى بقيت - إن انتفعت ، والله إن الذى سمعت لمن السماء والله ليظهرن محمد على من ناوأه حتى لو ناوأته الجبال لأدرك منها ما أراد .

فأقام عيينة بن حصن أياما فى أهله ثم دعا أصحابه للخروج إلى نصر اليهود - كان يطمع فيما يأخذه من تمر خيبر - فجاءه الحارث بن عوف المرى وقال له :

- يا عيينة ، أطعنى وأقم فى منزلك ودع نصر اليهود ، مع أنى لا أراك ترجع من خيبر إلا وقد فتحها محمد .

فأبى عيينة أن يقبل قول الحارث بن عوف وقال :

- لا أسلم حلفائى لشىء .

علوتم وما أنزل على موسى، غلبتم يا معشر يهود:

قال الصادق المصدوق ﷺ :

- لأبعثن غدا رجلا يحب الله ، ويحبه الله ورسوله لا يولى الدبر يفتح الله على يديه ، ويأخذها عنوة .

فلما أصبح المسلمون غدوا على أبى القاسم ﷺ كلهم يرجو أن يعطيه الراية .

فتساءل حبيب الرحمن ﷺ :

- أين على بن أبى طالب ؟

فقال أحد الصحابة :

- تركناه يشتكى عينيه .

فذهب سلمة بن الأكوع وجاء بأبى الحسن على بعير له حتى أناخ قريبا من طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ فسأله :

- مالك ؟

قال على :

- رمدت - أصاب الرمد عينى - بعدك .

فقال نبى الرحمة ﷺ :

- ادن - اقترب - منى .

فلما دنا أبو الحسن من صاحب الخلق العظيم ﷺ تفل فى عينيه فشفى ، ثم أعطاه الراية فنهض بها ثم سار خطوات وتساءل :

- يا رسول الله : علام أقاتل؟

قال صاحب لواء الحمد ﷺ :

- حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فو الله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم .

فحمل على بن أبى طالب الراية وتقدم .

وتبع أصحاب رسول الله ﷺ أبا الحسن يهرولون خلفه حتى ركز رايته فى رضم - حجارة مجتمعة - من حجارة حصن ناعم ، فأطل يهودى من رأس الحصن وتساءل :

- من أنت ؟

قال أبو الحسن :

- أنا على بن أبى طالب .

فقال اليهودى :

- علوتم وما أنزل على موسى ، غلبتم يا معشر يهود .

وخرج أهل حصن ناعم يتقدمهم الحارث أخو مرحب .

والتقى الجمعان ودار قتال رهيب وانطلق على بن أبى طالب إلى الحارث فضربه بسيفه فأطاح برأسه فكبر المسلمون ، وانتهى أبو الحسن إلى باب الحصن فاقتلعه ، وألقاه على الأرض ، فلما رأى ذلك ألقى الله ﷻ فى قلوبهم الرعب فانهزموا وانداحوا بين يدى جند الإسلام كما ينداح الورق اليابس أمام العاصفة فى فصل الخريف فتعالت صيحات التكبير .

اليهودى الذى طلب الأمان فأعطيه :

قرب انهيار مقاومة خيبر فى حصن ناعم ، وبينما كان عمر بن الخطاب يقوم بأعمال الدورية ليلا ألقى رجاله من الحرس القبض على رجل من اليهود فأتى به إليه ، فأمر عمر أن تضرب عنقه ظنا منه أنه جاسوس لليهود ، ولكن اليهودى قال لابن الخطاب :

- اذهب بى إلى نبيكم حتى أكمله .

فصحبه عمر إلى أبى القاسم ﷺ فسأل اليهودى :

- ما وراءك ومن أنت ؟

قال اليهودى :

- تؤمنى يا أبا القاسم وأصدقك ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ :

- نعم .

قال اليهودى واسمه سماك :

- خرجت من حصن النطاة من عند القوم وليس لهم نظام ، تركتهم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة .

فسأل المبعوث رحمة للعالمين ﷺ اليهودى :

- فأين يذهبون ؟

قال سماك :

- إلى أذل إلى الشق - منطقة محصنة ذوات حصون تقع فى القسم الأول من مدينة خيبر - وقد رعبوا منك حتى أن أفئدتهم لتخفق ، وهذا حصن اليهود فيه السلاح والطعام والودك - الشحم والسمن والدهن - وفيه آلة حصونهم التى كانوا يقاتلون بها بعضهم بعضا قد غيبوا ذلك فى بيت حصنهم - حصن الصعب - تحت الأرض .

قال صاحب الشفاعة ﷺ لليهودى :

- وما هو ؟

قال سماك :

- منجنيق مفككة ، ودبابتان وسلاح من دروع وبيض وسيوف ، فإذا دخلت الحصن غدا ، وأنت تدخله .

قال حبيب الرحمن ﷺ :

- إن شاء الله .

قال سماك :

- أوقفك عليه - أى مستودع الأسلحة السرى - فإنه لا يعرفه أحد من اليهود غيرى .

ثم قال اليهودى :

- وأخرى .

قال الهادى البشير ﷺ :

- ما هى ؟

قال سماك :

- تستخرجه - أى السلاح - ثم انصب المنجنيق على حصن الشق وتدخل الرجال تحت الدبابتين فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك ، وكذلك تفعل بحصن الكتيبة - بفتح الكاف - إحدى مناطق خيبر الغنية بالزراعة وفوقها حصون حربية لليهود .

فقال عمر بن الخطاب :

- يا رسول الله إنى أحسبه قد صدق .

فقال سماك :

- يا رسُول الله احقن دمى .

- فقال نبى الوفاء ﷺ :

- **أنت آمن .**

قال اليهُودى :

- ولى زوجة فى حصن النزار فهبها لى .

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- **هى لك .**

وسأل نور الظلمة ﷺ اليهودى :

- **ما لليهود حولوا ذراريهم من النطاة ؟**

قال سماك :

- جردوها للمقاتلة وحولوا الذرارى إلى حصن الشق وحصن الكتيبة .

ودعا السراج المنير ﷺ اليهودى إلى الإسلام فقال :

- انظرنى - أمهلنى - أياما .

ففعل خاتم الأنبياء ﷺ ، وترك اليهودى وشأنه حرا .

وانشغل صاحب لواء الحمد ﷺ بإدارة دفة المعارك .

الاستيلاء على خيبر :

تحرك عيينة بن حصن الفزارى بمن أطاعه من غطفان محاولا إمداد يهود خيبر ومساندتهم ضد المسلمين ، إلا أنه لم يصل خيبر حتى وجد الصادق المصدوق ﷺ قد فتحها واستولى عليها .

وعندما وضعت الحرب أوزارهاواستولى المسلمون على جميع حصون خيبر وكان آخرها حصن النزار .

أسلم سماك اليهودى بعد أن وفى له نبى الوفاء ﷺ بما وعده فأعطاه زوجته - كان **اسمها نفيلة وكانت مع نساء اليهود وذراريهم فى حصن النزار .**

يقول كعب بن مالك - أحد شعراء الرسول الله ﷺ وفيه نزل قوله تعالى بعد أن تخلف عن غزوة تبوك ﴿ **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [سورة التوبة الآية : ١١٨] ، فالثلاثة الذين خلفوا هم : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة .

- رأيت اليهودى سماك يأخذ بيد امرأة حسناء - نفيلة .

معدات وأسلحة يستولى عليها المسلمون :

بالإضافة إلى المواد الغذائية الكثيرة من التمر والودك والسكر والسمن والشعير والماشية - التى استولى عليها المسلمون فقد وجدوا تحت الأرض مدفونا آلات حربية وأسلحة كثيرة مختلفة بينها دروع وسيوف ومنجنيقات - وهى آلات قاذفة مهمتها تدمير القلاع والحصون كما وجدوا دبابات حربية - وهى آلات من حديد على شكل صفائح كبيرة العرض والطول تصنع ليتقدم خلفها الجنود لتحميهم من السهام والحراب عندما يريدون مهاجة حصن أو قلعة لفتحها .

والدبابات آلات راقية متطورة لم تستعملها فى تلك العصور إلا الجيوش الرومانية والفارسية لكونهما أرقى الجيوش تنظيما فى العالم آنذاك ، ولا يستبعد أن يكون يهود خيبر قد جلبوها من الشام أو أنهم كانت لهم خبرة بصنعها فصنعوها محليا فى خيبر عندما شعروا بخطر الغزو الإسلامى ، ويبدو أن يهود خيبر قد جهزوا هذه الآلات

الهجومية ليستخدموها فى الهجوم على مدينة رسول الله ﷺ .

السماح لليهود بالبقاء فى خيبر لفلاحتها مقابل نصف المحصول :

تنفيذا لاتفاقية التسليم قرر النبى الخاتم ﷺ إجلاء اليهود عن خيبر ، فلم يعارض اليهود فى ذلك ، إلا أنهم تقدموا إلى الرحمة المهداة ﷺ بعرض طلبوا فيه أن يسمح لهم بالبقاء فى خيبر فى ظل حكم الإسلام ، ليعملوا كأجراء فى أرض خيبر للعناية بمزارعها وبساتينها وتولى فلاحتها مقابل جزء من محصولها يعطى لهم ما يتفق عليه الطرفان .

وفى صحيح البخارى :

أعطى النبى ﷺ خيبر اليهود أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها .

وقال ابن حزم فى جوامع السيرة :

وأقر النبى ﷺ اليهود على أن يعتملوها أى أرض خيبر بأموالهم وأنفسهم ولهم النصف من كل ما يخرج منها من زرع أو تمر ، ويقرهم على ذلك ما بدا له ، فبقوا على ذلك حتى مات خاتم الأنبياء ﷺ ومدة خلافة أبى بكر وجمهور خلافة عمر .

صاحب الخلق العظيم ﷺ يعيد التوراة إلى اليهود :

غنم المسلمون أكثر من ألف رمح ، وأربعمائة سيف ، ومنجنيقات ، ودبابات ، وخمسمائة قوس بجعابيها - الجعبة : وعاء مستطيل توضع فيه السهام ويحمله النبال على ظهره ساعة الحرب - وغنموا كميات كبيرة من الذهب والفضة .

وعند إحصاء الغنائم وجد المسلمون من بينها عدة **أجزاء من التوراة** - كتاب اليهود المقدس - وقد طلب اليهود من صاحب الخلق العظيم ﷺ أن يعيد إليهم هذه الصحائف من كتابهم ، فاستجاب لطلبهم ، وأمر بإعادتها إليهم فأعيدت .

ولعل فى إعادة صحائف التوراة إلى اليهود وخاصة فى ذلك العصر البرهان ، وأعظم دليل على تسامح الإسلام وإطلاق الحريات لمن يخالفه فى العقيدة فى عصر بلغ التعصب الأعمى للدين والمذهب بين الأمم الأخرى - كالرومان - إلى أن أباحوا لأنفسهم سفك دم الذين يخالفونهم فى المذهب داخل إطار الدين الواحد ، كما فعل حكام دولة الروم البيزنطية بنصارى مصر ، فكيف بمن يخالفهم فى جوهر الدين ذاته ؟

وأين تصرفات المسلمين الفاتحين المنتصرين المتسامحة بإطلاقهم الحريات لمخالفيهم فى الدين ليمارسوا شعائرهم فى ظل الدولة الإسلامية كما يريدون من تصرفات الصليبيين الذين أعماهم الحقد والتعصب ؟

فلم يكتفوا بمصادرة حرية المسلمين فى ممارسة شعائر دينهم ، بل لجأوا إلى تخييرهم بين أمرين :

إما قتلهم وتحريقهم بالنار ، وإما مفارقة دين الإسلام واعتناق النصرانية ، كما حدث من الملك فيرديناند والملكة إيزابلا فى الأندلس - أسبانيا - عندما كتب لهم الغلبة على المسلمين هناك ، فى مئات الآلاف من المسلمين ، ولم تتوقف هذه المجازر الرهيبة إلا بعد أن أجبر كثير من المسلمين عل اعتناق النصرانية حفاظا على أرواحهم .

وكما حدث من الصليبيين - ريتشارد قلب الأسد - عندما ذبح ثلاثة آلاف مسلم من أسرى المسلمين بالرغم من إعطائهم الأمان عند استيلائه على بيت المقدس ، وعندما استعادها منه صلاح الدين بقوة السلاح **لم يقتل أسيرا واحدا من الصليبيين .**

محاولة اغتيال إمام الخير ﷺ فى خيبر :

بعد أن عقد الرحمة المهداة ﷺ مع يهود خيبر اتفاقية المساقاة والمزارعة وأعطاهم الأمان ، صار المسلمون يقعون فى حرثهم وبقلهم فشكت اليهود ذلك إلى صاحب الخلق العظيم ﷺ ، **فأمر بعدم التعرض لليهود وأخذ أى شئ من زرعهم** ، فامتثل المسلمون أمر خاتم الأنبياء ﷺ وصاروا لا يأخذون من ثمار الأراضى التى أعطيت لليهود **إلا بثمن .**

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وتمت السيطرة التامة للمسلمين على خيبر جرت محاولة شريرة لاغتيال حبيب الرحمن ﷺ ، فقد عمدت امرأة يهودية اسمها زينب بنت الحارث - زوجة سلام بن مشكم الذى قتل فى حصن النطاة - فسألت :

- أى أنواع اللحم أحب إلى النبى ﷺ ؟

فقيل لها :

- الذراع والكتف .

فعمدت زينب بنت الحارث إلى شاة فذبحتها واختارت أخطر نوع من أنواع السم **يقال لـه : لابطى لا يلبث أن يقتـل متناولـه فى الحـال** ، ثم وضعته فى جميع أوصال

الشاة ، وأكثرت من هذا السم بصفة خاصة فى الذراعين .

ولما صلى الهادى البشير ﷺ المغرب وعاد إلى مقر قيادته فى خيبر وجد زينب بنت الحارث اليهودية جالسة عند رحله ، فسألها :

- **ما شأنك ؟**

فقالت زينب اليهودية :

- يا أبا القاسم : هدية أهديتها لك .

فقبلها ، وأمر بقبضها منها .

فقبضت ثم وضعت الشاة بين يديه ﷺ وكان معه بشر بن البراء بن معرور وبعض الصحابة فقال لهم :

- **ادنوا فتعشوا .**

فدنوا ومدوا أيديهم ، وتناول النبى الخاتم ﷺ الذراع فانتهز منها نهشا ، وازدرد لقمة ، وتناول بشر بن البراء عظما فأكل منه لقمة أيضا .

وفجأة أمر الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ أصحابه أن يتوقفوا عن الأكل وقال :

- **كفوا أيديكم فإن هذا الشاة تخبرنى أنها مسمومة .**

فقال بشر بن البراء بن معرور :

- والذى أكرمك لقد وجدت ذلك من أكلتى التى أكلتها ، فما منعنى أن ألفظها إلا كراهية أن أنغص عليك طعامك ، فلما تسوغت ما فى يدك لم أرغب بنفسى عن نفسك .

أما بشر بن البراء فلم يقم من مكانه حتى تحول لونه أسود من شدة تأثير السم وظل يعانى من وجعه طيلة سنة كاملة مشلولا حتى مات متأثرا بهذا السم .

ولدى التحقيق مع زينب بنت الحارث اعترفت بأنها سمت الشاة قاصدة بذلك قتل النبى ﷺ ، ولما سألها أبو القاسم ﷺ :

- **ما حملك على ما صنعت ؟**

قالت زينب اليهودية :

- لقد بلغت من قومى - يهود خيبر - ما لا يخفى عليك قتلت زوجى وأبى وعمى فقلت : إن كان نبيا فسيخبره الله ، وإن كان ملكا استرحنا منه .

يقول حماد بن سلمة :

عفا رسول الله ﷺ بالنسبة لحقه الخاص ، غير أنه أمر بقتلها فيما بعد قصاصا ببشر ابن البراء الذى مات متأثرا بذلك السم الذى دسته فى الشاة .

كيف صالح الصادق المصدوق ﷺ يهود فدك ؟ :

اختلف المؤرخون فى كيفية استسلام يهود فدك للمسلمين .

فقيل :

إنهم صالحوا النبى ﷺ على أن يحقن دماءهم ويجليهم ويخلوا بينه وبين الأموال . . ففعل .

وقيل :

إنهم عرضوا على النبى ﷺ أن يخرجوا من بلادهم ولا يكون للنبى ﷺ من الأموال شىء ، وإذا كان جذاذها - قطع ثمار النخيل - جاءوا فجذوها . . فأبى أن يقبل ذلك .

وقيل :

بعد أن رفض أبو القاسم ﷺ عرض يهود فدك الأخير قرروا المقاومة ، فقال لهم مبعوث النبى ﷺ محيصة بن مسعود :

- ما لكم منعة ولا رجال ولا حصون ، لو بعث رسول الله ﷺ إليكم مائة رجل لساقوكم إليه .

فطلبوا الصلح .

فصالحهم صاحب الشفاعة ﷺ على أن لهم نصف الأرض بتربتها ، ولرسول الله ﷺ نصفها .

قال الواقدى :

وهذا القول أثبت .

فتح وادى القرى :

يقع وادى القرى بين خيبر والمدينة ، وهو واد خصب وبه مزارع عظيمة وعيون

كثيرة ، وكانت تقطنه - عند فتح خيبر - جماعة من اليهود على جانب لا يستهان من القوة ، ولهذا فقد كانت هذه الجماعة من اليهود من بين الفئات اليهودية التى رفضت بعد فتح خيبر الاستسلام للمسلمين وقررت مقاومتهم بحد السلاح .

وكان يهود وادى القرى كيهود خيبر يمتنعون بقلاع وحصون حربية منيعة ، كما أنهم استعانوا بجمع من الأعراب الوثنيين استعداداً لمواجهة المسلمين الذين كانوا فى طريقهم إلى وادى القرى من خيبر .

وقد انضم كثير من الأعراب الوثنيين إلى يهود وادى القرى واستعدوا جميعا لقتال المسلمين بمجرد وصولهم إلى وادى القرى .

وكانت العادة المتبعة لدى صاحب الخلق العظيم ﷺ أن لا يبدأ أحدا بالقتال حتى ينذر ويعذر ويعرض الإسلام ، فإن أسلموا كف عنهم واعتبرهم جزءاً من الأسرة الإسلامية .

غير أن يهود وادى القرى لم يتركوا لنور الظلمة ﷺ فرصة توجيه الدعوة إليهم ليكف عن دمائهم ، فبمجرد وصول الجيش الإسلامى إلى وادى القرى وقبل أن يحط رحاله ويستعد للقتال **شن يهود وادى القرى الهجوم على المسلمين فقتلوا رجلا منهم -** مدعم مولى رسول الله ﷺ - أصابه سهم من سهام اليهود وهو يحط رحل أبى القاسم ﷺ .

عند ذلك هيأ رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفهم فكتب الكتائب ووزع الرايات على القادة من أصحابه لخوض المعركة .

فدفع لواءه إلى سيد الخزرج سعد بن عبادة ، ودفع راية إلى الحباب بن المنذر ، وراية لعباد بن بشر ، وراية إلى سهل بن حنيف ليتولوا قيادة المحاربين .

ومع بداية يهود وادى القرى بالقتال لم يتعجل نور الظلمة ﷺ فى قتالهم بل حرصا على حقن الدماء رغبة منه فى هداية هؤلاء اليهود وجه إليهم الدعوة إلى الدخول فى الإسلام ، وأكد لهم أنهم إن أسلموا سيحوزون أموالهم ، وستحقن دماؤهم وحسابهم على الله .

ولكن السفهاء قد ركبهم الغرور كإخوانهم من قبل يهود بنى قريظة ويهود خيبر وكان جوابهم إشعال نار الحرب وسارعوا إلى القتال حيث خرج من حصونهم أحد فرسانهم وطلب المبارزة فبرز إليه الزبير بن العوام - حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب - فلم يمهله الزبير وقتله .

فخرج فارسان آخران ، فبرز لهما أبو دجانة - سماك بن حرشة الأنصارى - فقتلهما الواحد بعد الآخر .

وظلت المبارزة مستمرة حتى قتل من يهود وادى القرى أحد عشر رجلا .

وقد استمر القتال بين المسلمين واليهود فى الوادى طوال اليوم حتى المساء .

وكان نبى الرحمة ﷺ كلما حضرته الصلاة صلى بأصحابه ، وبعد كل يكرر توجيه الدعوة إلى يهود وادى القرى إلى الدخول فى الإسلام ، ولكنهم يرفضون ويستمرون فى القتال .

استسلام يهود وادى القرى والبقاء فى الوادى :

فى اليوم التالى شن المسلمون على يهود وادى القرى هجوما عاما كاسحا فلم ترتفع الشمس قيد ريح حتى أعلن السفهاء الاستسلام وأعطوا بأيديهم إلى المسلمين ، فتم فتح وادى القرى عنوة فغنمه المسلمون بأكمله .

وقد عامل المبعوث رحمة للعالمين ﷺ يهود وادى القرى كما عامل يهود خيبر المغلوبين إلا أنه لم يقتل أحدا من أهل وادى القرى بعد الاستسلام ، وقد سمح صاحب الخلق العظيم ﷺ ليهود وادى القرى بالبقاء فى الوادى ، وترك النخل والأرض بأيديهم على أن يقوموا برعايتها واستصلاحها وزراعتها مقابل أن يأخذوا نصف المحصول منها كما فعل مع يهود خيبر .

وباستسلام يهود وادى القرى تم القضاء على أقوى جيب ، من جيوب المقاومة اليهودية فى جزيرة العرب ، كانت قد قاومت المسلمين بعد سقوط خيبر .

يهود تيماء يدفعون الجزية :

كانت تيماء الواقعة فى الركن الشمالى الغربى للجزيرة بها مجموعة من اليهود ، وكانت بهم قوة لهم حصون فى قمم الجبال ، وكان من المتوقع أن يبدوا شيئا من المقاومة .

إلا أنه لما بلغهم استسلام خيبر وفدك ثم وادى القرى للمسلمين ، بعثوا من تلقاء أنفسهم إلى الذى نصره الله بالرعب ﷺ يطلبون الصلح ويعرضون دفع الجزية للمسلمين فقبل منهم صاحب الشفاعة ﷺ الجزية ، وترك لهم ما بأيديهم من أموال فلم يستول المسلمون على شئ منها لأنهم يدفعون الجزية وأصبحوا أهل ذمة شأنهم غير شأن العدو

المحارب الذى لم يستسلم إلا بعد قتال وحرب .

إجلاء اليهود فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب :

ظل اليهود فى خيبر وبأيديهم أرضها يعملون فيها طوال عهد الصادق المصدوق ﷺ وخلافة الخليفة الأول ، إلى أن أجلاهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وذلك لأن اتفاقية المساقاة والمزارعة التى عقدها نبى الوفاء ﷺ **كانت تنص على أن من حق المسلمين إجلاءهم متى أرادوا .**

وأن اليهود بالرغم من هزيمتهم فى خيبر ظلوا يتمتعون بكامل الحرية بعد السماح لهم بالعمل فى أراضى خيبر ، **وبقيت روح التآمر والكيد والحقد والحسد للمسلمين تسيطر على نفوسهم الخبيثة الشريرة .**

فقد ارتكب السفهاء أعمالا ضد المسلمين تدل على أنهم لن يكفوا عن العداء والكيد والعمل ضد المسلمين ، حتى وإن لم يعد لهم سلطان أو نفوذ فى خيبر .

وقد بدأوا بممارسة أعمال شريرة ضد المسلمين وخاتم الأنبياء ﷺ لا يزال على قيد الحياة ومن ذلك **أنهم قاموا باغتيال الصحابى الجليل عبد الله بن سهل فى منطقة** النطاة ، وبالرغم من أن المقتول وجد جثته فى ديارهم ، والقرائن تشير وتدل على أنهم ارتكبوا جريمة قتله ، فإن صاحب الخلق العظيم ﷺ لم يعاقبهم لأن التحقيقات التى أجراها مع اليهود **لم تثبت إدانتهم من وجهة نظر القانون الإسلامى ،** ولذلك أمر أبو القاسم ﷺ **بدفع دية القتيل من بيت مال المسلمين . غير أن اغتيال الصحابى الجليل عبد الله بن سهل ظل عالقا بأذهان المسئولين فى مدينة رسول الله ﷺ كقرينة من القرائن على إجرام اليهود .**

وفى عهد الفاروق كثرت مؤامرات ومحاولات الاغتيال والتخريب من قبل السفهاء فى خيبر ، ومن ذلك أن الصحابى الجليل مظهر بن رافع الحارثى - شهد أحدا مع خاتم الأنبياء ﷺ وعاش إلى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - استقدم عشرة من نصارى الشام يعملون بأرضه ، فأقبل حتى نزل بهم خيبر فأقام بها ثلاثة أيام ، فجاء رجل من يهود وقال لهم :

- أنتم نصارى ونحن يهود ، وهؤلاء قوم - يعنى المسلمين - قد قهرونا بالسيف ،

وأنتم عشرة رجال ، أقبل واحد منهم يسوقكم من أرض الخمر والخير إلى الجهد والبؤس ، وتكونون فى رق - عبودية - شديد ، فإذا خرجتم من قريتنا فاقتلوه .

قالوا :

- ليس معنا سلاح .

فدس اليهودى إليهم سكينين أو ثلاثة ، فخرجوا وقد اعتزموا تنفيذ ما فح فى آذانهم اليهودى الخبيث .

فلما وصلوا إلى ثبار - بكسر أوله وهو موضع على ستة أميال من خيبر - فى طريقهم إلى المدينة مع مظهر بن رافع الحارثى فقال لأحدهم :

- ناولنى كذا وكذا .

فأقبلوا إليه جميعهم قد شهروا سكاكينهم ، فخرج مظهر يعدو إلى سيفه ، ولكنهم بعجوا بطنه قبل أن يخرج سيفه من قرابه ، وبعد أن قتلوه عادوا إلى خيبر فآواهم السفهاء وأخفوهم ، ثم زودوهم وأعطوهم قوة فلحقوا بالشام .

الخليفة الثانى يأمر بإجلاء اليهود :

لما جاء خبر مقتل الصحابى الجليل مظهر بن رافع الحارثى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقف خطيبا فى مدينة رسول الله ﷺ وقال :

أيها الناس :

إن اليهود فعلوا بعبد الله - يعنى ابن عمر فقد اعتدى اليهود على عبد الله بن عمر وهو نائم فخلعوا يده ، فلم يتخذ الفاروق ضدهم أى إجراء - ما فعلوا ، وفعلوا بمظهر ابن رافع مع عدوتهم على عبد الله بن سهل فى عهد رسول الله ﷺ ، لاشك أنهم أصحابه - أى مظهر بن رافع- ليس لنا عدو غيرهم ، فمن كان بها - خيبر - مال فليخرج فأنا خارج فقاسم ما كان بها من الأموال وحاد حدودها ومؤرف أرفها - الأرف - جمع أرفة وهى الحدود والمعالم - ومجلى اليهود منها ، فإن رسول الله ﷺ قال لهم :

- أقركم ما أقركم الله ، وقد أذن الله فى جلائهم ، إلا أن يأتى رجل منهم بعهد أو بينة من النبى ﷺ أنه أقره فأقره .

فقام الصحابى الجليل طلحة بن عبيد الله - صحابى جليل أحد العشرة المبشرين بالجنة - فقال :

- قد والله أصبت يا أمير المؤمنين ووفقت .

فتساءل الفاروق :

- من معك على مثل رأيك ؟

قال المهاجرون جميعا والأنصار :

- نحن يا أمير المؤمنين .

فسر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بذلك .

وكان الفاروق مع ذلك بلغه عن السراج المنير ﷺ أنه قال وهو فى مرض موته .

- لا يجتمع بجزيرة العرب دينان .

فأرسل إلى سفهاء خيبر وفدك يخبرهم بأنه قرر إجلاءهم ، إلا من كان عنده عهد من خاتم النبيين ﷺ ، وبذلك نفذ الفاروق وصية أبى القاسم ﷺ وطرد السفهاء من جزيرة العرب .

تعويض يهود فدك عند الجلاء :

أجلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يهود خيبر جميعا ، ويهود فدك - لأن فدك تعتبر من أرياض خيبر إذ لا تبعد عنها إلا عدة أميال - .

وقد أجلى الخليفة الثانى هؤلاء اليهود بعد أن سمح لهم باصطحاب جميع ما يملكون من أموال منقولة هذا بالنسبة لسفهاء خيبر ، أما بالنسبة ليهود فدك فقد دفع لهم الفاروق تعويضا عادلا عن نصف الأرض التى كانت بأيديهم لأنها كانت لهم بموجب اتفاقية بينهم وبين الصادق المصدوق ﷺ .

أما يهود وادى القرى ويهود تيماء فلم يخرجهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من الجزيرة العربية فهم أهل ذمة صالحوا المسلمين على دفع الجزية ولم يحاربوا .

****

القرآن واليهود

كرم الله ﷻ بنى إسرائيل أعظم تكريم ﴿ وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ ﴾ . [سورة المائدة الآية : ٢٠] .

أى الذين هم بين ظهرانيهم يومئذ .

يقول ترجمان القرآن - عبد الله بن عباس :

- كان الرجل من بنى إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار سمى ملكا .

وقال الصادق المصدوق ﷺ :

- كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة كتب ملكا .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾ [سورة غافر الآية : ٥٣] .

فهل حفظوه وحافظوا عليه ؟؟

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [سورة يونس الآية : ٩٣] .

فهل رعوا تلك النعمة حق رعايتها ؟؟

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٤٧] .

وجعل منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . . . ورفعهم العزيز الحكيم إلى عليين .

ولكنهم بدلوا وحرفوا وأولوا فسلبوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم من مواضعه فلا عمل صالحا ولا اعتقادا صحيحا ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [سورة النساء الآية : ٤٦] .

وقتلوا أنبياء الله وأكلوا السحت فلعنهم الله ﷻ وردهم أسفل سافلين ولعنهم بكفرهم وضربت عليه الذلة والمسكنة .

وبعث السميع البصير نبيه الخاتم ﷺ فبين لليهود كثيرا مما كانوا يخفون من الكتاب ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [سورة المائدة الآية : ١٥] .

وأنزل العليم الخبير كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقص على السفهاء أكثر الذى كانوا فيه يختلفون ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة النمل الآية : ٧٦] .

وخاطب السميع البصير السفهاء بلفظين فى القرآن :

يا بنى إسرائيل - يا أبناء إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام .

يا أهل الكتاب ، يا أصحاب التوراة التى أنزلت على كليم الله موسى عليه السلام وكلا اللفظين **توبيخ وسخرية** .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٦٨] .

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾ [سورة طه الآية : ٨٠] .

وقد حاول اليهود أن تكون لهم سورة باسمهم فى القرآن الكريم كما دسوا بعض الإسرائيليات وبذلوا قصار جهدهم أن تكورة سورة الإسراء هى سورة بنى إسرائيل ، ولو كان لبنى إسرائيل الذين احتلوا من القرآن نحو ثلثه لكانت سورة البقرة فهى تحوى من أخبار بنى إسرائيل أكثر مما تحويه سورة الإسراء ومع هذا فقد أخذت السورة اسم البقرة وهى بقرة بنى إسرائيل ولم تأخذ اسمهم ، الأمر الذى يحمل على القول بأنه **مستبعد أصلا أن يكون لبنى إسرائيل سورة باسمهم فى كتاب الله وكان لأبى لهب سورة باسمه** .

ومن جهة أخرى فإنا نرى سورا فى القرآن فيها حديث مستفيض عن بنى إسرائيل كسورة الأعراف وسورة طه مثلا ومع هذا **فلم تسم أى منهما سورة بنى إسرائيل** .

وإننا نشم هنا فى سورة الإسراء بالذات ريح اليهود ، ونجد بصمات أصابعهم المتلصصة التى تريد أن يكون حديث الإسراء خافتا لا يذكر إلا عند تلاوة الآية دون أن

يجرى له ذكر عند الحديث عن سورة القرآن الكريم ، كلما ذكرت آية من آيات هذه السور نسبت إليها الآية ، وذكر السورة فى القرآن يجرى عادة أكثر من ذكر آية من آياتها .

فهذه واحدة من فعلات اليهود فى حديث الإسراء .

وأكثر من هذا أكيدا ومكرًا ما أدخلوه على حديث الإسراء ذاته من زور الأحاديث .

وكثيرا ما قرن الله ﷻ فى محكم كتابه ذكر موسى عليه السلام والمبعوث للناس كافة ﷺ وبين كتابهما - يعنى التوراة الكتاب الأول - والقرآن .

وإذا كان لكل صنعة صانع فإن الصانع أدرى بصنعته ، **فما بالنا بالخالق البارئ** المصور ومخلوقاته ؟

القرآن يصف اليهود :

لقد وصف الحق جل وعلا فى **كتابه الكريم اليهود بدقة وإحكام فكانت كلماته** تبارك وتعالى على السفهاء المغضوب عليهم آية فى الإعجاز **فقد وصفهم الله عز وجل أدق وصف من جبن وحرص على الحياة وطغيان وكذب وحقد وحسد وافتراء وخسة وجشع . . . .**

١- الإجرام والقسوة :

لم يعرف التاريخ أمة هى **أقسى قلوبا من السفهاء فقد التصق الإجرام باليهود منذ** القدم وها هى قصتهم مع يوسف عليه السلام يوم أن تآمر إخوته على غيرة وحسد **فأقنعوا أباهم يعقوب عليه السلام أن يرسله معهم للهو واللعب . . ثم نفذوا جريمتهم** الشنعاء **﴿ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾** [سورة يوسف الآية : ٩] .

لم يوافق بعضهم على قتل أخيهم واكتفوا بإلقائه فى بئر بعيدة ، ورجعوا إلى أبيهم عشاء يبكون وزعموا أنه قد أكله الذئب مبررين قميصه وعليه دم كذب .

قصة تصور الإجرام المتأصل فى قلوبهم وتصور المقدرة على التلون والادعاء والافتراء والقسوة .

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٧٤] .

وهـذه القســوة التى وصفهــم الله تعالى بها هى التى لازمتهم على مر الأجيال والعصور .

٢- أعدى أعداء الإسلام اليهود :

قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ . [سورة المائدة الآية : ٨٢] .

فاليهود فى غاية العداوة للمسلمين ، وكيف لا ؟ وقد نبه الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ عن ذلك فقال :

- ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله .

٣- الجبـــن :

وهو طبعهم الأصيل وغريزة راسخة فى نفوسهم مهما تظاهروا بعكسها وذلك لحرصهم على الحياة .

﴿ لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ ﴾ [ســورة الحشــر الآية : ١٤] .

ولما أمرهم موسى عليه السلام أن يدخلوا مدينة الجبارين .

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ١٢- ١٣] .

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٩٦] .

وقد قدمهم الله ﷻ فى الآية عن المشركين والكفار .

فاليهود جبناء بالفطرة ، يهابون الموت ، وحيثما يحاربون يفضلون معارك الليل فى الظلام حتى لا يشاهدوا أعداءهم ولا يراهم أعداؤهم جيدا ويفضلون الاحتماء بالحصون والمنازل والجدر والبروج المشيدة ، فهم جبناء مهما حاولوا ارتداء أثواب الأسد يسترون بها جبن الثعالب .

وقد ظهر حقيقة أمرهم يوم دعاهم كليم الله لمحاربة شعب فلسطين ، ماذا قالوا :

- إن فيها قوما أشداء ولن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن خرجوا منها سوف ندخلها .

تعاليت يا رب العالمين ، ما أوسع علمك فقد تعقبت السفهاء الجبناء فى محكم قرآنك وذكرت عين الحقيقة والصواب ، إذ بعد ثلاثين قرنا أو يزيد على قولهم الذى قالوه لابن عمران وجبنهم الذى أبدوه قالوا لعبيدهم من الإنجليز فى أوائل القرن العشرين :

- خلوا لنا فلسطين واحكموها لنا بعد أن تفعلوا كل شئ لتهويدها ، فنحن نريدها خالية من سكانها وأصحابها العرب .

وفى عام ١٩٥٦ عندما حاولت إنجلترا وفرنسا وإسرائيل الاعتداء على مصر عقب تأميم قناة السويس ماذا قالت إسرائيل للإنجليز والفرنسيين :

- ادخلا مصر أولا سألحق بكما .

٤- الكفر وقتل الأنبياء:

وسجل على اليهود القرآن العظيم كفرهم وقتلهم الأنبياء والرسل بغير حق ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٨٧] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٩١] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٢١] .

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [سورة النساء الآية : ١٥٥] .

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٧] .

أرسلُ العليم الخبير رسلا إلى بنى إسرائيل فريقا كذبوا وفريقا قتلوا رسلهم وفريقا أذوا هؤلاء الرسل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ٦٩] .

قال الصادق المصدوق ﷺ :

إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شئ استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل فقالوا :

- ما يتستر هذا التستر إلا من عيب فى جلده إما برص وإما أدرة وإما آفة .

وإن الله ﷻ أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام ، فخلا يوما وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا- مشى - بثوبه ، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول :

- ثوبى حجر ، ثوبى حجر .

حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله ﷻ ، وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضربا بعصاه .

فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا .

فذلك قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾[سورة الأحزاب الآية : ٦٩] ، (رواه البخارى ، ومسلم باب فضل موسى ، والإمام أحمد عن أبى هريرة) .

٥- الكذب والافتراء :

لجأ السفهاء فى محاربة الإسلام إلى وسائل دنيئة من كذب وافتراء وتضليل ، وتحريف لكلام الله تعالى لزعزعة العقيدة ، واستخدموا المال فى تحقيق مآربهم ورد المسلمين عن دينهم الحق فسجل القرآن عليهم كل ذلك ليبقى شاهدا ودليلا على أنهم كانوا ومازالوا يحلون بتلك الصفات القبيحة ﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٦٩] .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . [سورة آل عمران الآية : ٧١] .

﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [سورة النساء الآية : ٤٦] .

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ [سورة النساء الآية : ٤١] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [سورة الأنفال الآية : ٣٦] .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة الصف الآية : ٧- ٨] .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة هود الآية : ١٨] .

ولما ذكر الله ﷻ ما حرم على أمة محمد ﷺ عقب ذلك بذكر الله ما حرم على اليهود ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [سورة الأنعام الآية : ١٤٦] .

لما فى ذلك من تكذيبهم فى قولهم :

- إن الله لم يحرم علينا شيئا وإنما نحن حرمنا على أنفسنا ما حرمه إسرائيل على نفسه .

٦- المكر والكيد :

اتصف السفهاء بالمكر والخداع والكيد وقد عانى المسلمون الأوائل منهم الشئ الكثير ومازالوا حتى الآن يعانون الويل من المغضوب عليهم من جراء مكرهم وكيدهم وخداعهم ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٥٤] .

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٢] .

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [سورة الأنفال الآية : ٣٠] .

﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ [سورة إبراهيم الآية : ٤٥] .

لقد سجل العليم الخبير فى قرآنه خطط اليهود الماكرة فى تغيير دينهم فى الظاهر من أجل تحقيق غايتهم ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ [سورة التوبة الآية : ٥٦] .

ولقد شهد القرن العشرون خاصة عملية بارزة فى التاريخ الحديث فقد استطاع اليهود الذين تركوا اليهودية وتظاهروا باعتناق الإسلام أن يسهموا فى القضاء على الخلافة الإسلامية ، وهم مازالوا إلى يومنا هذا يحملون أسماء إسلامية فى تركيا ويسيطرون على مقاليد الحكم فى أنقرة واستانبول تحقيقا لخطتهم فى القضاء على الإسلام فى معاقله القديمة ، ولقد كانوا اليد الطولى والعليا القوية التى ساعدت أتاتورك ووجهته لإلغاء اللغة العربية ومحاربة الدين وتحويل البلاد إلى قاعدة يهودية أمريكية .

٧- نقض العهود :

دأب المغضوب عليهم منذ وجدوا على الأرض على نقض العهود والمواثيق والغدر

بمن عاهدوهم ، وهذا ليس بغريب أو عجيب فقد نقضوا عهدهم وميثاقهم مع العزيز الحكيم .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٨٧] .

أمر الله ﷻ اليهود بالإيمان بمحمد ﷺ وبيان أمره فكتموا نعته فالآية توبيخ لهم .

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٧٠] .

كذب اليهود عيسى عليه السلام ومن مثله من الأنبياء وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء فهذا دأبهم وعادتهم .

وقيل :

فريقا كذبوا لم يقتلوهم ، وفريقا قتلوهم فكذبوا .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ [سورة المائدة الآية: ١٢] .

وهذه الآية المتضمنة الخبر عن نقض اليهود مواثيق الله تعالى ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ ﴾ [سورة المائدة الآية : ١٣] .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٨٣] .

وإذا كان دأب اليهود نقض العهود والمواثيق مع الله ﷻ فقد نقضوا عهودهم ومواثيقهم مع خاتم الأنبياء ﷺ ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٠٠] .

قال السفهاء :

- والله ما أخذ علينا في كتابنا أن نؤمن بمحمد ولا ميثاق .

فنزل قوله تعالى : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ .

وقيل :

هى العهود التى كانت بين الصادق المصدوق ﷺ وبين يهود فنقضوها كفعل يهود بنى قريظة ﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنفال الآية : ٥٦].

لقد عانى خاتم الأنبياء ﷺ من غدر اليهود ونقضهم العهود مما حمله على محاربتهم والقضاء على شرورهم وخيانتهم .

والمغضوب عليهم مازالوا بعد أربعة عشر قرنا رمزا للغدر والخيانة ونقض العهود .

٨- عبادة الذهب وأكل المال الحرام :

الذهب هو المعبود الإله الأول والأخير عند السفهاء ، يقدسونه ويتعبدون مختلف الوسائل والطرق لجمعه وتكديسه ، ثم يستخدمونه فى تحقيق مآربهم وخططهم لحكم العالم وتدمير القيم والأخلاق والقضاء على الديانات السماوية غير اليهودية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ [سورة الأنفال الآية : ٣٦].

لقد عبد اليهود الذهب والمال قبل موسى عليه السلام وفى أيام كليم الله ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٤٨].

﴿ وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٩٢].

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [سورة التوبة الآية : ٣٤ ، ٣٥].

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٤٢].

﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ

يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٦٢] .

٩- المكابرة :

برع السفهاء فى المكابرة والتطاول على العزيز الحكيم فتارة يدعون أنهم أغنى من الغنى الوهاب ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٨١] .

وتارة يصفون الكريم المنان بالبخل ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء ﴾ [سورة المائدة الآية : ٦٤] .

وتارة يزعمون أنهم أولياء الله ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة الحشر الآية : ١٤] .

وزعموا أنهم ابناء الله وأحبائه ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ١٨] .

وتارة يزعمون أنهم لن يعذبوا فى النار إلا أياما معدودات ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٨٠] .

بل زعموا أنهم سيدخلون الجنة ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١١١] .

وزعموا أن من كان هودًا أو نصارى اهتدى ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٣٥] .

ومع أنهم فى حقيقة أمرهم عصبة تمزقها الأهواء المتنافرة والبغضاء المستحكمة فى نفوسهم ودمائهم ﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الحشر الآية : ١٤] .

فاليهود يتظاهرون أمام غيرهم وكأنهم كتلة واحدة ولقد كانوا كذلك أيام كليم الله ويشوع بن نون شيعا وأحزابا ، وهم مازالوا كذلك حتى يومنا هذا .

وفى إسرائيل العنصرية المغتصبة أكثر من عشرة أحزاب متنافرة تسير الحياة السياسية

للدولة الصهيونية المجرمة .

وكل الانتصارات التى حققها اليهود فى العالم ليست ناجمة ولا ترجع إلى قوتهم وإنما تعود إلى ضعف الشعوب الأخرى من غير اليهود ، وجهلها وانخداعها وتفرق كلمتها أمام العدوان اليهودى الدائم وتحكم السفهاء فى اقتصاد هذه الشعوب .

١٠- المنكر والفحشاء :

عاش السفهاء طول حياتهم بؤرة ومستنقع فساد ومنكر وفحشاء ينشرون الرذيلة فى العالم ويحاربون الفضيلة فى كل مكان .

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٧٨ ، ٧٩] .

لعن الله اليهود فى الزبور والإنجيل بعصيانهم واعتدائهم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [سورة النور الآية : ١٩] .

ومن أحسن من الله حديثا ؟ صدقت علام الغيوب فقد كان اليهودى عبر التاريخ مصدرا ومنبعا للمنكر والفحشاء ، فهم أصحاب بيوت الدعارة فى العالم وناشروا الإنحلال الجنسى فى كل مكان ، إنهم يسخرون المال الذى سرقوه من دماء الشعوب فى إشاعة الرذيلة من أجل تدمير القيم الخلقية عند الناس كافة ، إنهم أعداء ألداء لكل من ينتسب إلى الشرف والفضيلة ، إنهم يحتقرون البشر ويستحلون سرقة مال غير اليهود وتدنيس أعراضهم وتلويث شرفهم .

١١- أكل الربا :

اتبع السفهاء وسيلة دنيئة من أجل سرقة مال الغير أصبحت حكرا ووقفا عليهم ورمزوا لجشعهم وبرعوا فيها وأتقنوا فنها ونجحوا فى تخريب الذمم والضمائر والحكومات والأمم نتيجة تطبيقها ، وتلك الوسيلة الشيطانية هى الربا .

وحين جاء الإسلام حارب اليهود فى أعز ما لديهم فى الحياة ، حاربهم فى الجشع

وحب الابتزاز فحارب الربا عدو الإنسانية والسيف البتار الذى يقطع به بنو إسرائيل النظام الاجتماعى للبشر كافة .

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٧٥ ، ٢٧٦] .

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- **الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه** (رواه ابن ماجه كتاب التجارات باب تغليظ الربا عن أبى هريرة) .

وقال طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ :

- **لعن الله آكل الربا ، وموكله وشاهديه وكاتبه ، هم فيه سواء** (رواه الإمام أحمد ، ومسلم والنسائى عن جابر) .

وقال السراج المنير ﷺ :

إذا أراد الله بقرية هلاكا أظهر فيهم الربا (رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى هريرة) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٧٨ ، ٢٧٩] .

قال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ :

- **الآخذ والمعطى سواء فى الربا** (رواه الدارقطنى والحاكم فى المستدرك عن أبى سعيد) .

وقال إمام الخير ﷺ :

- **ما ظهر فى قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله** (رواه الإمام أحمد ، وابن جرير عن ابن مسعود) .

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [سورة النساء الآية : ١٦٠- ١٦١] .

حرم الله الربا فهى من المهلكات السبع ، قال إمام المتقين ﷺ :

اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات (أخرجه مسلم والبخارى ، وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٣- ١٤] .

١٢- اليهود يحبون الجدل :

السفهاء أهل الجدل ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ * قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ * قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَاء اللّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا ﴾ [سورة البقرة الآية : ٦٧- ٧١] .

١٣- الذلة والمسكنة والخزى :

سبحان علام الغيوب بحقيقة هؤلاء السفهاء من خلقه فى ماضيهم الحافل بالغدر والخيانة والكذب ونقض العهود وحاضرهم ومستقبلهم ، **فكتب عليهم الذلة والمسكنة** إلى يوم الدين ، لقد أخزاهم الحق جل وعلا بشر أعمالهم ومهما يتظاهرون بالقوة والمنعة فإن كلمة الله هى العليا .

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٦١] .

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٢] .

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٨٥] .

١٤- أصحاب السبت :

السفهاء أصحاب مكر وخداع وحيل وألاعيب وجدل شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٦٣] .

يا محمد ، اسأل اليهود الذين هم جيرانك عن أخبار أسلافهم فهم عن أهل القرية التى كانت على ساحل البحر ، وكان اليهود يكتمون قصة هذه القرية لما فيها من السبة على السفهاء فكانوا يصيدون الحيتان وقد نهوا عنه .

يقال سبت اليهود : تركوا العمل فى سبتهم .

وهو من الراحة والقطع .

وكانت الحيتان تأتى شوارع ظاهرة على الماء كثيرة رافعة رءوسها فقد ألهمها الله ﷻ أنها لا تصاد يوم السبت لنهيه تعالى اليهود عن صيدها ، ولكن اليهود تعدوا فأخذوها فى السبت .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٦٥] .

لقد أخذ اليهود الحيتان على جهة الاستحلال فقد كانوا يأخذ الرجل منهم خيطا ويضع فيه وهقة - الوهق : الحبل المغار يرمى فيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان - وألقاها فى ذنب الحوت وفى الطرف الآخر من الخيط وتد وتركه كذلك إلى يوم الأحد ، ثم تطرق الناس حين رأوا من صنع لا يبتلى حتى كثر صيد الحوت ومشى به

فى الأسواق .

فشدد عليهم فى العبادة بسفههم .

وكان إبليس أوحى إلى اليهود فقال :

- إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض .

فكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعة فتبقى فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلة الماء فيأخذوها يوم الأحد .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة النحل الآية : ١٢٤] .

سمى رسول الله ﷺ **يوم مكر وخديعة** لأن قريشا مكرت به ﷺ فيه ، وبنو إسرائيل مكروا يوم السبت والله تعالى حرم عليهم الصيد يوم السبت فأخذوا حبالا وربطوا فيها الحيتان يوم السبت وأكلوها يوم الأحد فظنوا جواز ذلك فمسخهم الله ﷻ - مسخ الشيوخ خنازير والشباب قردة - **فاتخذه اليهود يوم بطالة وزعموا أن الله خلق الأرض يوم السبت فاستراح فى ذلك اليوم .**

وقيل :

إن السبت كان تغليظا على بنى إسرائيل فى رفض الأعمال وترك التبسط فى المعاش بسبب اختلافهم فيه ، ثم جاء عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقال :

- تفرغوا للعبادة فى كل سبعة أيام يوما واحدا .

فقالوا :

- لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا .

فاختاروا الأحد .

وقد اختلف العلماء فى كيفية ما وقع لهم من الاختلاف .

فقالت طائفة :

- إن موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة وعينه ، وأخبرهم بفضيلته على

غيره ، فناظروه أن السبت أفضل .

فقال تعالى له :

- دعهم وما يختاروا لأنفسهم .

وقيل :

- إن الله تعالى لم يعينه لهم ، وإنما أمرهم بتعظيم يوم فى الجمعة فاختلف اجتهادهم فى تعيينه .

فعينت اليهود السبت ؛ لأن الله ﷻ فرغ فيه من الخلق .

وعينت النصارى يوم الأحد ، لأن الله تعالى بدأ فيه بالخلق .

فألزم كل منهم ما أداه إليه اجتهاده .

وعين تبارك وتعالى لهذه الأمة يوم الجمعة من غير أن يكلهم إلى اجتهادهم فضلا منه ونعمة ، فكانت خير الأمم .

يقول الصحابى الجليل عبد الرحمن بن صخر - أبو هريرة :

قال رسول الله ﷺ : **نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق ، فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له - يوم الجمعة - فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى** (رواه البخارى) .

وحد العزيز الحكيم الأمة من الاختلاف عليه فيشدد عليهم كما شدد على اليهود .

اليهود ينكرون نعم الله عليهم :

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٥٠] .

يقول تعالى اذكروا يا بنى إسرائيل نعمتى عليكم إذ نجيناكم من آل فرعون أى خلصتكم منهم وأنقذتكم من أيديهم صحبة موسى عليه السلام وقد كانوا يسومونكم أى يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم سوء العذاب وذلك أن فرعون كان رأى رؤيا ،

رأى نارا خرجت من بيت المقدس فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر إلا بيوت بنى إسرائيل - معناها ومضمونها أن زوال ملكه على يدى رجل من بنى إسرائيل - .

وقيل :

بعد تحدث سماره عنده بأن بنى إسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم يكون لهم به دولة ورفعة وهكذا جاء فى حديث الفتون ، **فعند ذلك أمر فرعون بقتل كل ذكر يولد** بعد ذلك من بنى إسرائيل وأن تترك البنات ، وأمر باستعمال بنى إسرائيل فى مشاق الأعمال وأُرذلها - وههنا فسر العذاب بذبح الأبناء -

﴿ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ وذلك لكم نعمة من ربكم عظيمة .

ثم عبد بنو إسرائيل العجل

﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٥٢] .

واذكروا نعمتى عليكم فى عفوى عنكم لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى عليه السلام لميقات ربه وعند انقضاء أمد المواعدة - كانت أربعين ليلة - وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون وإنجائهم من البحر .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٥٤] .

هذه صفة توبته تعالى على بنى إسرائيل من عبادة العجل حين وقع فى قلوبهم من شأن عبادتهم العجل وعبدتم مع ربكم غيره وهذا تنبيه على عظم جرمهم فتوبوا إلى الذى خلقكم **﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾** [سورة البقرة الآية : ٥٤] .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٥٥] .

يقول تعالى : يا بنى إسرائيل : اذكروا نعمتى عليكم فى بعثى لكم **﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾** [سورة البقرة الآية : ٥٦] .

بعد الصعق إذ سألتم رؤيتى جهرة عيانا مما لا يستطاع لكم ولا لأمثالكم .

١٥- إفساد بنى إسرائيل مرتين :

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ [سورة الإسراء الآية : ٤] . المراد بالفساد : مخالفة أحكام التوراة .

فى الأرض : يريد أرض الشام وبيت المقدس وما والاها .

أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ أى يتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس .

﴿ فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ ﴾ [سورة الإسراء الآية : ٥] .

أى أولى المرتين من فسادكم بعثنا عليكم وسلطنا عليكم جندا من خلقنا أولى بأس شديد أى قوة وعدة وعدد - أهل بابل ، وقيل جالوت - فتملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم أى بينها ووسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدا ، وكان وعدا مفعولا ثم جاءكم بختنصر ثانية فقتلكم ودمركم تدميرا .

وقيل :

أول الفساد قتل زكريا عليه السلام .

وقيل :

قتل شعيب عليه السلام .

وقيل :

قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام .

﴿ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ ﴾ [سورة الإسراء الآية : ٧] .

من إفسادكم - بعد أن قتل هردوس ملك إسرائيل يحيى عليه السلام - ﴿ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ أى بالسبى والقتل فيظهر أثر الحزن فى وجوهكم .

١٦- تفرق اليهود بعد أن جاءهم العلم :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا

اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة يونس الآية : ٩٣].

لما أهلك القوى العزيز فرعون وجنوده استقرت الدولة الموسوية فى بلاد مصر بكاملها كما قال تعالى ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٣٧].

وقال تعالى ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [سورة الدخان الآية : ٢٥].

ولكن استمروا مع موسى عليه السلام طالبين بلاد المقدس وكان فيه قوم من العمالقة فنكل بنو إسرائيل عن قتالهم .

فشردهم العزيز الحكيم فى التيه أربعين سنة ، ومات فيه هارون ثم موسى عليهما السلام .

وخرجوا بعدها مع يوشع بن نون عليه السلام ، ففتح عليهم بيت المقدس ، واستقرت أيديهم عليها إلى أن أخذها منهم بختنصر حينا من الدهر .

ثم عادت إليهم .

ثم أخذها ملوك اليونان فكانت تحت أحكامهم مدة طويلة .

وبعث الله ﷻ عيسى عليه السلام فى تلك المدة فاستعانت اليهود على معاداة عيسى عليه السلام بملوك اليونان ووشوا عندهم وأوحوا إليهم :

- إن هذا - يعنى عيسى عليه السلام - يفسد عليكم الرعايا .

فبعثوا من يقبض عليه ، فرفعه الله إليه ، وشبه لهم بعض الحوراين بمشيئة الله وقدره فأخذوه وصلبوه ، واعتقدوا أنه هو ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء الآية : ١٥٧ - ١٥٨].

ودخل قسطنطين أحد ملوك اليونان بعد ثلاثمائة سنة فى دين النصرانية حيلة ليفسده ، فوضعت له الأساقفة منهم قوانين وشريعة بدعوها وأحدثوها فبنى لهم الكنائس والبيع الكبار والصغار والصوامع والهياكل والمعابد والقلايات فانتشر دين

النصرانية فى ذلك الزمان واشتهر على ما فيه من تبديل وتغيير وتحريف ووضع وكذب ومخالفة لدين المسيح ، ولم يبق على دين المسيح على الحقيقة منهم إلا القليل من الرهبان ، فاتخذوا لهم الصوامع فى البرارى والقفار .

واستحوزت النصارى على مملكة الشام والجزيرة وبلاد الروم ، وبنى لهم قسطنطين مدينة القسطنطينية والقيامة وبيت لحم وكنائس ببلاد المقدس ومدن حوران كبصرى وغيرها من البلدان بناءات هائلة محكمة وعبدوا الصليب من حينئذ ، وصلوا إلى المشرق **وصوروا الكنائس وأحلوا لحوم الخنازير وغير ذلك مما أحدثوه من الفروع فى دينهم وظلت يدهم على هذه البلاد إلى أن انتزعها منهم الصحابة رضوان الله عليهم فكان فتح بيت المقدس على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .**

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة ، وإن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة فى الجنة وثنتان وسبعون فى النار .

قيل :

- من هم يا رسول الله ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

- ما أنا عليه وأصحابى (رواه الحاكم فى مستدركه) .

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [سورة البينة الآية : ٤] .

وما تفرق اليهود إلا بعد أن أتتهم البينة الواضحة أى القرآن موافقا لما بين أيديهم من التوراة والإنجيل بنعت محمد ﷺ وصفته ، وذلك أنهم كانوا مجتمعين على نبوته ، فلما بعث جحدوا نبوته وتفرقوا ، فمنهم من كفر بغيا وحسدا ، ومنهم من آمن وقال تعالى ﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة الجاثية الآية : ١٧] .

لقد آتينا بنى إسرائيل أمر النبى ﷺ وشواهد نبوته بأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب

وينصره وأيدناه ببينات الأمر شرائع واضحات فى الحلال والحرام وبمعجزات فآمن بعضهم وكفر بعضهم ﴿ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ ﴾ نبوة محمد ﷺ فاختلفوا فيها حسدًا على النبى ﷺ وطلب بعضهم الفضل والسياسة .

وقال تعالى ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٩] .

اختلف اليهود فى نبوة محمد ﷺ بعد بيان صفته ونبوته فى كتبهم .

وقيل :

اختلف اليهود فى أمر عيسى بعد أن جاءهم الإنجيل .

داود وعيسى عليهما السلام يلعنان بنى إسرائيل .

قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية ٧٨- ٨٠] .

أى لعنوا فى الزبور والإنجيل ، فالزبور لسان داود عليه السلام والإنجيل لسان عيسى عليه السلام ، **أى لعنهم الله فى الكتابين .**

ويقول ابن عباس :

- الذين لعنوا على لسان داود أصحاب السبت ، والذين لعنوا على لسان عيسى الذين **كفروا بالمائدة بعد نزولها .**

فقد كانوا لا ينهى بعضهم بعضا ، فقال خاتم النبيين ﷺ :

- إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل كان الرجل أول ما يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على أيدى الظالم ولتأطرنه على

الحق أطرًا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم .

ثم قال :

لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون [رواه أبو داود عن ابن مسعود] .

ثم قال عليه الصلاة والسلام :

- كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذون على يدى الظالم ولتأطرنه - لتردنه - على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض وليلعننكم كما لعنهم (أخرجه الترمذى) .

اختبار اليهود :

قال تعالى ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً** ﴾ [سورة المدثر الآية : ٣١] .

جعلنا خزنة جهنم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس ، فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة ولا يسترحمون إليهم ، ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضبْ له ، فتؤمن هوادتهم ، ولأنهم أشد خلق الله بأسا وأقواهم بطشا .

﴿ **وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً** ﴾ أى بلية .

أى إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختبارا منا ﴿ **لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** ﴾ أى يعلمون أن هذا الرسول حق فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية - التوراة والإنجيل - المنزلة على الأنبياء قبله .

أى ليوقن الذين أعطوا التوراة والإنجيل أن عدة خزنة جهنم موافقة لما عندهم .

يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق :

أنكر الله ﷻ من عبد غيره من الأصنام والأنداد والأوثان وبين له أنها لا تستحق شيئا من الآلهة فهى لا تقدر على دفع ضر عنكم ولا إيصال نفع إليكم ، ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ**

الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٧٧].

أى لا تتجاوزوا الحد فى اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الآلهة كما صنعتم فى المسيح وهو نبى من الأنبياء فجعلتموه إلها من دون الله وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديما وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال.

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَاللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٩٨].

يا معشر يهود بنى إسرائيل وغيرهم من سائر من ينتحل الديانة بما أنزل الله ﷻ من كتبه ، ممن كفر بمحمد ﷺ وجحد نبوته ، لم تجحدون بآيات الله ؟

لم تجحدون حجج الله التى آتاها محمدا ﷺ فى كتبكم وغيرها التى قد ثبتت عليكم بصدقه ونبوته وحجته وأنتم تعلمون صدقه ؟

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاء وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٩٩].

يا معشر يهود بنى إسرائيل وغيرهم ممن ينتحل التصديق بكتب الله : لم تضلون عن طريق الله ومحجته التى شرعها لأنبيائه وأوليائه وأهل الإيمان من صدق بالله ورسوله وما جاء به من عند الله ؟ تبغون لها عوجا وإعواجا عن سننه واستقامته ، وتبغون لأهل دين الله ولمن هو على سبيل الحق عوجا وضلالا عن الحق وزيغا عن الاستقامة على الهدى والمحجة ؟ وأنتم شهداء على أن الذى تصدون عنه من السبيل حق تعلمونه وتجدونه فى كتبكم ؟ ليس الله بغافل عن أعمالكم التى تعلمونها مما لا يرضاه لعباده وغير ذلك من أعمالكم حتى يعاجلكم بالعقوبة معجلة أو يؤخر ذلك لكم حتى تلقوه فيجازيكم عليها.

وقيل :

كان اليهود إذا سألهم أحد :

- هل تجدون محمدا فى كتابكم ؟

فيقولون :

- لا

فصدوا عنه الناس ، وبغوا محمدا عوجا : هلاكا .

لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى أحسن :

قال تعالى ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت الآية : ٤٦] .

كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام .

فقال رسول الله ﷺ :

- لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا : آمنا بالذى أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون .(رواه البخارى) .

وقيل :

بينما كان رسول الله ﷺ جالسا جاءه رجل من يهود فقال :

- هل تتكلم هذه الجنازة ؟

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

- الله أعلم .

قال اليهودى :

- أنا أشهد أنها تتكلم .

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله ، فإن كان حقا لم تكذبوهم وإن كان باطلا لم تصدقوهم .

ولما هاجر خاتم النبيين ﷺ إلى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فجاءوا وقالوا :

- يا أبا القاسم : إن الأنبياء بعثوا بالشام وهى بلاد مقدسة وكانت مهاجر إبراهيم ، فلو خرجت إلى الشام لآمنا بك واتبعناك ، وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم ، فإن كنت رسول الله فالله مانعك منهم .

فعسكر رسول الله ﷺ على أميال من المدينة أو بذى الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج إلى الشام لحرصه على دخول الناس فى دين الله .

فنزل قوله تعالى ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [سورة الإسراء الآية : ٧٦] .

فرجع أبو القاسم ﷺ .

وقيل :

إن اليهود قالوا فى حق خاتم النبيين ﷺ منذ دخل المدينة :

- نقصت ثمارها ، وغلت أسعارها .

فرد السميع البصير عليهم بقوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ ﴾ .

أى يبسط الأرزاق ويقبضها .

وعند ظهور الإسلام فى مدينة رسول الله ﷺ قامت نفوس أحبار اليهود ونصبوا العداوة للمبعوث للناس كافة ﷺ فأنزل العليم الخبير ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١١٨] .

وقال تعالى : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٢٠] .

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٢٧] .

اتل على هؤلاء البغاة الحسدة إخوان الخنازير والقردة من اليهود وأمثالهم خبر ابنى

آدم وهما قابيل وهابيل .

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [سورة المائدة الآية : ٣٢] .

يقول تعالى من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلما وعدوانا ﴿ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أى شرعنا لهم وأعلمناهم ﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ .

أى من قتل نفسا بغير سبب من قصاص أو فساد فى الأرض واستحل قتلها بغير سبب ولا جناية فكأنما قتل الناس جميعا لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس ومن أحياها أى حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار .

يقول سعيد بن جبير :

- من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعا ، ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعا .

وقال ابن عباس :

- من قتل نبيا أو إمام عدل فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن شد على عضد نبى أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعا .

اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً ﴾ [سورة النساء الآية : ٥١] .

قال ابن عباس :

الجبت : الساحر بلسان الحبشة .

الطاغوت : الشيطان .

وقال عمر بن الخطاب :

الجبت : السحر .

الطاغوت : الشيطان .

وقال عبد الله بن مسعود :

- الجبت والطاغوت ها هنا كعب بن **الأشرف** وحيى بن أخطب .

وقيل :

هما كل معبود من دون الله .

وقيل :

الجبت : **كل ما حرم الله .**

الطاغوت : **كل ما يطغى الإنسان .**

فقد خرج كعب بن الأشرف فى سبعين راكبا من يهود **إلى مكة بعد غزوة أحد** ، ليحالفوا قريشا على قتال رسول الله ﷺ **فنزل كعب بن الأشرف على أبى سفيان بن** حرب فأحسن مثواه ، **ونزلت يهود دون قريش فتعاقدوا وتعاهدوا ليجتمعن على قتال** محمد - ﷺ - .

فقال أبو سفيان لكعب بن الأشرف :

- إنك امرؤ تقرأ الكتاب الأول - **التوراة** - وتعلم ، **ونحن أميون لا نعلم ، فأينا** - نحن ومحمد ﷺ - أهدى سبيلا **وأقرب إلى الحق نحن أم محمد ؟**

فقال كعب بن الأشرف :

- أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد .

لا يريد اليهود أن ينزل عليكم من خير من ربكم :

﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٠٥] .

ما يتمنى اليهود أن ينزل عليكم أيها المؤمنون من خير من ربكم ولكن العزيز الحكيم يختص بنبوته فخص بها محمدا ﷺ .

الرحمة : القرآن .

وقيل :

الرحمة فى هذه الآية عامة لجميع أنواعها التى قد منحها الله ﷻ قديما وحديثا لعباده .

ورحمة الله لعباده : إنعامه عليهم وعفوه لهم .

اليهود يودون أن تعودوا كفارا من بعد إيمانكم :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٠٩] .

هذا نوع آخر من مكايد اليهود فقد قال فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفر من اليهود للصحابيين الجليلين : حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد غزوة أحد :

- ألم تروا ما أصابكم ؟ ولو كنتم على الحق ما هزمتهم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا .

فقال الصحابى الجليل عمار بن ياسر :

- كيف نقض العهد فيكم ؟

قالوا :

- شديد .

قال عمار بن ياسر .

- فإنى قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ﷺ ما عشت .

فقالت اليهود :

- أما هذا فقد صبأ - غير دينه -

فقال الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان :

- وأما أنا فقد رضيت بالله وبمحمد نبيا وبالإسلام دينا والقرآن إمامًا وبالكعبة قبلة

وبالمؤمنين إخوانا .

ثم أتى عمار وحذيفة خاتم النبيين ﷺ وأخبراه فقال :

- أصبتما خيرا وأفلحتما .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٠٠] .

دس شاس بن قيس على الأوس والخزرج شابا من يهود فذكرهم ما كان بينهم من الحروب - يوم بعاث - وأنشدهم شعرا قاله أحد الحيين فى حربهم .

فقال الحى الآخر :

- قد قال شاعرنا فى يوم كذا وكذا .

فإنهم دخلهم من ذلك شئ .

فقالوا :

- تعالوا نرد الحرب جذعاء كما كانت .

فنادى هؤلاء :

- يا آل الأوس .

ونادى هؤلاء :

- يا آل الخزرج .

فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال .

فجاء إمام الخير ﷺ ووقف بين الصفين وقرأ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ . ورفع صوته فلما سمعوا صوته أنصتوا له وجعلوا يستمعون .

فلما فرغ ﷺ ، ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وانصرفوا مع حبيب الرحمن ﷺ سامعين مطيعين .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ ﴾ [سورة النساء الآية : ٤٤].

نزلت هذه الآية فى يهود المدينة ومن والاها .

فقد كان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود ، إذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه وقال :

- أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك .

ثم طعن فى الإسلام وعابه .

فنزلت الآية ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ .

قيل :

إن اليهود كانوا يعطون أحبارهم بعض أموالهم لينصروا اليهودية فكأنهم اشتروا بمالهم الشبهة والضلالة والمراد تكذيب المبعوث للناس كافة ﷺ فتضلوا السبيل أيها المؤمنون كما ضلوه .

اليهود أسوأ حالا من الحمير :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الجمعة الآية :٥].

ضرب مثلا لليهود لما تركوا العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ وفى هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء السفهاء .

وقيل :

كان كعب الأحبار من أحبار يهود ، أقبل ذات يوم يريد بيت المقدس فمر بمدينة رسول الله ﷺ فخرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولقيه وقال له :

- يا كعب : أسلم .

فقال كعب الأحبار فى عناد وغضب :

- ألستم تقولون فى كتابكم ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [سورة الجمعة الآية : ٥] .

وأنا حملت التوراة .

فتركه الفاروق .

ثم خرج كعب الأحبار حتى انتهى إلى حمص فسمع رجلا من أهلها يقرأ قول الحق جل وعلا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ [سورة النساء الآية : ٤٧] .

فقال كعب الأحبار :

- يا رب أسلمت مخافة أن تصيبنى هذه الآية .

ثم رجع إلى اليمن فأتى أهله ثم جاء بهم مسلمين إلى المدينة .

اليهود يكرهون الموت :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الجمعة الآية : ٦ - ٨] .

لما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاء اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [سورة المائدة الآية : ١٨] .

قال تعالى : ﴿ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ ﴾ .

فالأولياء عند الله الكرامة ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ لتصيروا إلى ما يصير إليه أولياء الله ﴿ وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أى أسلفوه من تكذيب محمد ﷺ .

ولو تمنى السفهاء الموت لماتوا ، فكان فى ذلك بطلان قولهم وما ادعوه من الولاية .

قال السراج المنير ﷺ :

- والذى نفس محمد بيده لو تمنوا الموت ما بقى على ظهرها يهودى إلا مات .

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٩٤] .

وقيل :

قال رسول الله ﷺ لليهود :

- إن كنتم فى مقالتكم - لنا الجنة خالصة - صادقين فقولوا : اللهم أمتنا فوالذى نفسى بيده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه .

فأبوا أن يفعلوا وكرهوا ما قال لهم .

فأنزل السميع البصير ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة البقرة الآية: ٩٥] .

يعنى : عملته أيديهم .

فقال السراج المنير ﷺ :

- والله لا يتمنونه - الموت - أبدا ، والذى نفسى بيده لو تمنوا الموت لماتوا ، فكره أعداء الله الموت ، فلم يتمنوا الموت حزنا أن ينزل بهم الموت .

اليهود ليسوا على شئ حتى يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل على محمد ﷺ :

المغضوب عليهم ليسوا على شئ من الدين حتى يقيموا الكتاب الأول وما أنزل على عيسىٰ عليه السلام ويؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة على الأنبياء والإيمان بمحمد ﷺ والاقتداء بشريعته .

لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء من دون الله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٥١] .

الأولياء: جمع ولى والولى هو النصير والظهير والمعين .

والآية نهى عن مولاة اليهود والنصارى وليس دعوة إلى عداوة أو قطيعة إنما هو نهى عن مناصرتهم والوقوف بجانبهم ومعاضدتهم ، وهم على موقفهم من الإسلام ومحاربتهم له ، فذلك خيانة للمسلمين وعدوان على الإسلام ، إذ كيف يكونون هم

حربا على الإسلام ثم يكونون فى المسلمين من هو على ولاء لهم ومودة معهم ؟ .

فاليهود أولياء لليهود ، والنصارى أولياء للنصارى

وهذا أول ما فيه أن يجعل المسلمين أولياء للمسلمين ، فلا يكون ولاء المسلم ومناصرته ومناصحته لغير المسلمين .

فإذا لم يكن هذا الولاء وتلك المناصحة من المسلم للمسلمين فلا أقل من أن يقف عن هذا الحد السلبى - وهو موقف آثم - فلا يتحول إلى جبهة معادية للإسلام وأهله فيكون لها مساندًا ومناصحا .

ومن يجعل ولايته وولاءه لغير المسلمين من أهل الكتاب المحادين لله ورسوله ، المحاربين للإسلام والمسلمين فهو من هؤلاء الظالمين المعتدين على حق دينه وحق اتباع دينه بخذلانهما ومناصرة أعدائهما .

اليهود يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٤٤] .

هذا استفهام توبيخ والمراد به علماء بنى إسرائيل .

قال ترجمان القرآن عبد الله بن عباس :

كان يهود المدينة يقول الرجل لصهره ولذى قرابته ولمن بينه وبينه رضاع من المسلمين :

- اثبت على الذى أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل - يريدون محمدا ﷺ - فإن أمره حق .

فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه .

وقال ابن جريج :

- كان أحبار يهود يحضون على طاعة الله وكانوا هم يواقعون المعاصى .

اليهود يفترون على مريم :

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء الآية : ١٥٦] .

فبنقض اليهود الميثاق وفعلهم لا يؤمنون فطبع على قلوبهم .

لقد أنكر السفهاء قدرة الله ﷻ على خلق الولد من غير أب وكذا إنكارهم نبوة عيسى ونسبتهم الزنا لمريم بهتان عظيم لأنه ظهر لهم عند ولادة عيسى من الكرامات والمعجزات **ما دلهم على براءتها من كل سوء .**

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [سورة النساء الآية : ١٥٧] .

قال اليهود ذلك على وجه الاستهزاء كقول فرعون ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [سورة الشعراء الآية : ٢٧] .

أو أنه تعالى جعل الذكر الحسن مكان القبيح الذى كان السفهاء يطلقونه على كلمة **الله وروحه من الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة .**

وكان من أصحاب عيسى عليه السلام حواريا منافقا فذهب إلى اليهود ودلهم فلما دخل اليهود مع الرومان لأخذه ألقى الله ﷻ شبهه على رجل من حواريه المخلصين وقتل ذلك وزعم يهود أن عزيرًا ابن الله .

قال الصادق المصدوق ﷺ :

قال الله تعالى : كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى فزعم أنى لا أقدر أن أعيده كما كان ، وأما شتمه إياى فقوله لى ولد فسبحانى أن اتخذ صاحبة أو ولدا (أخرجه البخارى عن ابن عباس) .

اليهودى يسجد على حاجبه الأيسر :

﴿ وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٧١] .

رفع الله الجبل فوق رؤوس السفهاء ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ ﴾ .

سار موسى عليه السلام ببنى إسرائيل إلى الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما

سكت عنه الغضب وأمرهم بالذى أمر الله من الوظائف فثقلت عليهم وأبوا أن يقروا بها حتى نتق الجبل فوقهم .

وقيل :

سألهم موسى عليه السلام :

- هذا كتاب أتقبلونه بمافيه ؟ فإن فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهاكم .

قالوا :

- أنشر علينا ما فيها فإن كانت فرائضها وحدودها يسيرة قبلناها .

قال كليم الله :

- اقبلوها بما فيها .

قالوا :

- لا حتى نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها؟

فراجعوه مرارا

فأوحى الله ﷻ إلى الجبل فانقلع وارتفع فى السماء حتى إذا كان بين رءوسهم وبين السماء قال لهم موسى عليه السلام:

- ألا ترون ؟ ما يقول ربى ﷻ : لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الخيط

قال الحسن البصرى :

- لما نظروا إلى الجبل خر كل رجل ساجدا على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا - خوفا - أن يسقط عليه ، فكذلك ليس اليوم فى الأرض يهودى يسجد إلا على حاجبه الأيسر .

يقولون :

- هذه السجدة التى رفعت بها العقوبة .

اليهود يستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٦١] .

لما كان اليهود فى التيه ، كانوا يأكلون المن والسلوى ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٥٧] .

المن : الترنجبين .

وقيل :

عسل .

وقيل :

شراب حلو . .

وقيل :

خبيز الرقاق .

السلوى : طير السمانى .

فلما بمل المغضوب عليهم المن والسلوى وتذكروا عيشهم بمصر قالوا :

- لن نصبر على طعام واحد - كنوا المن والسلوى بطعام واحد وهما اثنان لأنهم كانوا يأكلون أحدهما بالآخر ، وقيل : لتكرارهما فى كل يوم غذاء -

قال الحسن البصرى :

- **كان اليهود نتانى أهل كرات وأبصال وأعداس ، فنزعوا إلى عكرهم عكر** السوء ، واشتاقت طباعهم إلى ما جرت عليه عاداتهم .

الفوم : الثوم لأنه المشاكل للبصل .

وقيل :

هو الحنطة أو كل حب يختبز .

اليهود يزعمون أن ليس عليهم حرج فى ظلم المسلمين :

﴿ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٧٥] .

إن اليهود كانوا إذا بايعوا المسلمين يقولون :

- ليس علينا فى الأميين سبيل - أى حرج فى ظلمهم - لمخالفتهم إيانا .

وادعوا أن ذلك فى كتابهم - **الذى كتبوه بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا - فأكذبهم الله ﷻ ورد عليهم فقال :**

- بلى .

أى بلى عليهم سبيل العذاب بكذبهم واستحلالهم أموال العرب .

ويقال :

إن اليهود كانوا استدانوا من الأعراب أموالا فلما أسلم أرباب الحقوق .

قالت اليهود :

- ليس لكم علينا شئ ، لأنكم تركتم دينكم فسقط عنا دينكم .

وادعوا أنه حكم التوراة ، فقال تعالى :

(بلى) .

ردا لقولهم ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ .

أى ليس كما تقولون .

قال رجل لابن عباس :

- إنا نصيب فى العمد من أموال أهل الذمة - الذين لم يدخلوا فى الإسلام ، وبقوا على دينهم ويدفعون الجزية للمسلمين - الدجاجة والشاة ونقول - ليس علينا فى ذلك بأس .

فقال ترجمان القرآن :

- هذا كما قال الكتاب ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا عن طيب أنفسهم .

لما اختلف اليهود والنصارى :

زعم اليهود والنصارى أن لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا أو نصرانيا ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى ﴾ [سورة البقرة الآية : ١١١] .

ولما اختلف المغضوب عليهم والضالون تبادلوا الادعاءات ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١١٣] .

ادعى كل فريق منهم أن صاحبه ليس على شيء فى الدين وأنه أحق برحمة الله منه وهم يتلون التوراة والإنجيل .

وقد صدق كل فريق فى قولهم وكل منهما سيدخل النار وبئس القرار .

اليهود هم السفهاء :

﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٥٥] .

أمر الله ﷻ كليمه أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فخرج بهم ليدعوا ربهم وكانوا فيما دعوا :

اللهم اعطنا ما لم تعط أحدا قبلنا ولا تعطه أحدا بعدنا .

فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة فترددوا يمينا وشمالا أى أخذتهم الزلزلة الشديدة فقال موسى عليه السلام :

﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا ﴾ .

السفهاء : مفرد سفيه وهو الخفيف العقل .

والسفيه : البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم .

وقيل :

السفيه : الظلوم الجهول .

قال السدى :

لما عبد بنو إسرائيل العجل أمر الله ﷻ موسى عليه السلام أن يأتيه فى ثلاثين من بنى إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً ﴾ على عينيه ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا المكان قالوا :

- ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ﴾ يا موسى ﴿ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [سورة البقرة الآية : ٥٥] . فإنك قد كلمته فأرناه .

- ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٥٥] .

فقام موسى يبكى ويدعو الله ويقول :

- رب ماذا أقول لبنى إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ﴾ قد سفهوا وهذا ابتلاؤك واختبارك وامتحانك .

اليهود فى التيه :

بعد أن عبر بنو إسرائيل البحر ، ونجاهم العزيز الحكيم من عدوهم ، حرض كليم الله بنى إسرائيل على دخول بيت المقدس تنفيذا لأمر الله ﷻ ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٢١] .

وينكل بنو إسرائيل معتذرين بقولهم ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٢٢] .

ويتكلم اثنان من النقباء محرضين بنى إسرائيل على دخول مدينة الجبارين وهما : يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فقالا ﴿ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٢٣] .

ولكن الإصرار والجبن الراسخين فى قلوب بنى إسرائيل يجعلهم يرتعدون خوفا فقالوا : ﴿ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٤] .

لما استشار خاتم النبيين ﷺ أصحابه يوم بدر قال المقداد بن عمرو :

يا رسول الله : امْض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - موضع بناحية اليمن - لجالدنا - قاتلنا وحاربنا - معك من دونه حتى تبلغه .

فعرف سيد الأولين والآخرين ﷺ رأى المهاجرين وهم أقلية الجيش الإسلامى ، **ولما أراد أن يعرف حقيقة موقف الأنصار** الذين سيدور ثقل المعركة القادمة على كواهلهم لأنهم يمثلون أغلبية الجيش فقال الصادق المصدوق ﷺ :

- أشيروا على أيها الناس .

فقال سعد بن معاذ :

يا نبى الله : قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة - يوم بيعة العقبة - .

فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء ، **لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله .**

فأشرق وجه السراج المنير ﷺ بقول سعد بن معاذ ونشطه ذلك فقال :

- سيروا وأبشروا فإن الله تعالى وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم - مقتل سادات قريش - .

ويتسلل اليأس إلى صدر موسى عليه السلام فيدعو عليهم ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٢٥] .

لما رأى كليم الله بعد بنى إسرائيل عن الحق وذهابهم عن الصواب فيما ارتكبوا من العصيان سأل ربه الفرق بينه وبين هؤلاء القوم الفاسقين ودعا عليهم .

فكان العقاب ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٢٦] .

عاقب الحق جل وعلا بنى إسرائيل فى التيه أربعين سنة .

وأصل التيه فى اللغة : الحيرة .

والأرض التيهاء : التى لا يهتدى فيها .

فوقع بنو إسرائيل فى التيه أربعين سنة يسيرون فلا يهتدون ، ليس لهم قرار .

وقيل :

كانوا يسيرون الليل كله ، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم فى الموضع الذى كانوا فيه ، وذلك نظير سوء صنيعهم ، ومخالفتهم لأمر الله ﷻ .

وفى التيه شكا بنو إسرائيل إلى كليم الله حالهم ، فأنزل الله عليهم المن - عسل أو شراب حلو - والسلوى - طير يشبه السمانى - وظللهم بالغمام ليحميهم من الشمس ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٥٧] .

وأصاب الظمأ بنى إسرائيل وكادوا يهلكون من شدة العطش فسألوا موسى عليه السلام أن يستسقى بهم ، فدعا كليم الله ربه فأمره أن يضرب الحجر بعصاه ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٦٠] .

انفجرت الماء اثنتى عشرة عينا بعدد أسباط بنى إسرائيل ، كل سبط عرف مكان شربه حتى لا يتنازعوا .

وكان موسى عليه السلام يحمل هذا الحجر فى مخلاة ، فإذا احتاج بنو إسرائيل إلى الماء وضعه وضربه بعصاه فينفجر الماء منه ، فإذا أراد حمله ضربه مرة أخرى بعصاه ،

فيذهب الماء .

لقد أطعم الكريم المنان بنى إسرائيل دون جهد ومشقة من المن والسلوى وسقاهم من الماء المتفجر من الحجر مدة أربعين سنة .

ولما مات هارون عليه السلام ثم لحق به موسى عليه السلام بعد ثلاث سنين ، وبعث الله ﷻ فيهم يوشع بن نون - كان قد مات أكثر بنى إسرائيل وجاء جيل جديد - فأخبرهم أن الله تبارك وتعالى قد أمرهم بقتال الجبارين ودخول بيت المقدس فصدقوه وتابعوه وقاتلوا الجبارين ، وحاصروا بيت المقدس حتى أوشكوا على فتحها وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت وهو يوم يحرم فيه بنو إسرائيل القتال .

فقال يوشع بن نون للشمس :

إنك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله ، وإنك مأمورة وأنا مأمور .

اللهم احبسها على .

فحبسها الله ﷻ حتى فتح بيت المقدس .

وأمر يوشع بن نون بنى إسرائيل أن يدخلوا المدينة سجدا لله على خلاصهم من التيه ونصرهم وأن يقولوا :

- ﴿ حِطَّةٌ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٥٨] .

أى احطط عنا ذنوبنا حطة .

وقيل :

قولوا : مغفرة ، أى قولوا : شيئا يحط ذنوبكم .

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

قيل لبنى إسرائيل : ادخلوا الباب وقولوا : حطة يغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم وقالوا :

- حبة فى شعرة (أخرجه البخارى عن أبى هريرة) .

وقيل :

قالوا : هطا سمهاثا وهى لفظة عبرانية بمعنى حنطة حمراء .

لقد كان قصدهم خلاف ما أمرهم الله به فعصوا وتمردوا واستهزؤوا

فعاقبهم العزيز الحكيم بالرجز وهو العذاب .

قال ابن زيد :

كان طاعونا أهلك منهم سبعين ألفا .

وقيل :

إن الباب جعل قصيرا ليدخلوه ركعا فدخلوه متوركين على إستاههم فكان مثل بنى إسرائيل مثل سابقيهم ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٥٨ ، ٥٩] .

تخاصم أهل الأديان :

قال قتادة :

إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب :

- نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم .

وقال المسلمون :

- نحن أولى بالله منكم ، ونبينا خاتم النبيين ، وكتابنا يقضى على الكتب التى كانت قبله .

وقيل :

قال عبد الله بن عباس :

- قالت اليهود والنصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان منا ؟

وقالت قريش :

- ليس نبعث .

فانزل السميع البصير﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا * وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ ﴾ [سورة النساء الآية : ١٢٣- ١٢٥] .

يقول ابن عباس :

تخاصم أهل الأديان فقال أهل التوراة :

كتابنا خير الكتب ، ونبينا خير الأنبياء .

وقال أهل الإنجيل مثل ذلك .

وقال أهل الإسلام :

- لا دين إلا الإسلام ، وكتابنا نسخ كل الكتب ، ونبينا خاتم النبيين ، وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا .

فقضى الله ﷻ بينهم وأنزل ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ .

وخير بين الأديان فقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ .

قال مجاهد .

قال العرب : لن نبعث ولن نعذب .

وقالت اليهود والنصارى: ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى ﴾ [سورة البقرة الآية : ١١١] .

وقالوا: ﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٨٠] .

فالدين ليس بالتحلى ولا بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلوب وصدقه الأعمال ، وليس كل من ادعى شيئا حصل له بمجرد دعواه ، ولا كل من قال إنه على الحق سمع

قوله بمجرد ذلك حتى يكون له من الله برهان ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ أى ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمنى ، بل العبرة بطاعة الله سبحانه وتعالى واتباع مـا شرعـه على ألسنـة الرسـل الكرام ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ كقوله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [سورة الزلزلة الآية : ٧ ، ٨] .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ .

شرط الإيمان لأن المشركين أدلوا بخدمة الكعبة وإطعام الحجيج وقرى الضيف ، وأهل الكتاب بسبقهم ، وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه .

فبين الحق جل وعلا أن الأعمال الحسنة لا تقبل من غير إيمان ، وأن دخول الجنة برحمة الله ﷻ ونيل دراجتها بالأعمال .

النقير : نكتة على ظهر النواة - نوى التمر - .

وبين فضل دين الإسلام على سائر الأديان (أسلم وجهه لله) أى أخلص دينه لله وخضع له وتوجه إليه بالعبادة .

وقيل :

قال أبو هريرة :

لما نزلت هذه الآية ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ بكينا وحزنا وقلنا:

- يا رسول الله ، ما أبقيت هذه الآية من شيء .

قال عليه الصلاة والسلام :

- أما والذى نفسى بيده إنها لكم أنزلت ولكن أبشروا وقاربوا وسددوا فإنه لا يصيب أحدا منكم مصيبة فى الدنيا إلا كفر الله بها من خطيئة حتى الشوكة يشاكها أحدكم فى قدمه .

اليهود ينكرون نعم الله عليهم :

من صفات اليهود الجحود والنكران ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٢٢] .

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٤١] .

وقال تعالى ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢١١] .

كم جاءهم فى أمر محمد عليه الصلاة والسلام من معرفة دالة عليه فبدلوا فى كتبهم وجحدوا - أنكروا - أمره .

وقيل :

الآيات التى جاء بها موسى عليه السلام من فلق البحر والظلل ومن الغمام والعصا واليد وغير ذلك ، وقد أمر الله نبيه بسؤالهم على جهة التقريع لهم والتوبيخ .

اليهود يجترئون على الله :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [سورة التوبة الآية : ٣٠] .

هذه الآية إغراء من الحق جل وعلا للمؤمنين على قتال الكفار من اليهود والنصارى لمقالتهم الشنعاء والفرية على الله تعالى:

فأما اليهود فقالوا :

- عزير ابن الله .

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

يقول السدى :

إن الشبهة التى حصلت لهم فى ذلك أن العمالقة لما غلبت على بنى إسرائيل فقتلوا

علماءهم وسبوا كبارهم ، وبقى العزير يبكى على بنى إسرائيل وذهاب العلم منهم حتى سقطت جفون عينيه ، فبينما هو ذات يوم إذ مر على جبانة وإذا امرأة تبكى عند قبر وهى تقول :

- وامطعماه واكسياه :

فقال لها :

- ويحك من كان يطعمك قبل هذا ؟

قالت :

- الله .

قال :

- فإن الله حى لا يموت .

قالت :

- يا عزير : من كان يعلم العلماء قبل بنى إسرائيل ؟

قال عزير :

- الله .

قالت :

- فلم تبكى عليهم ؟

فعرف أنه شىء قد وعظ به .

ثم قيل له :

- اذهب إلى نهر كذا فاغتسل منه وصل هناك ركعتين فإنك ستلقى هناك شيخا فما أطعمك فكله .

فذهب ففعل ما أمر به ، فإذا الشيخ فقال له :

- افتح فمك .

ففتح عزير فمه ، فألقى الشيخ فيه شيئا كهيئة الجمرة العظيمة ثلاث مرات ، فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة فقال :

- يا بنى إسرائيل ، قد جئتكم بالتوراة .

فقالوا :

- يا عزير ، ما كنت كذابا .

فعمد فربط على أصبع من أصابعه قلما وكتب التوراة بإصبعه كلها .

فلما تراجع الناس من عدوهم ورجع العلماء - من السبى - أخبروا بشأن عزير فاستخرجوا التوراة - النسخ - التى كانوا أودعوها فى الجبال وقابلوه بها فوجدوا ما جاء به عزير صحيحا .

فقال بعض جهلة بنى إسرائيل :

- إنما صنع هذا لأنه ابن الله .

وقيل :

إن سبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام ، فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم ، فخرج عزير يسيح فى الأرض فأتاه جبريل عليه السلام فقال :

- أين تذهب ؟

قال عزير :

- أطلب العلم .

فعلمه التوراة كلها ، فجاء عزير بالتوراة إلى بنى إسرائيل فعلمهم .

وقيل :

بل حفظها الله ﷻ إكرامة منه له ، فقال لبنى إسرائيل :

- إن الله قد حفظنى التوراة .

فجعلوا يدرسونها من عنده ، وكانت التوراة مدفونة - كان دفنها علماء إسرائيل حين أصابهم من الفتن والجلاء والمرض ما أصاب بختنصر إياهم - ثم إن التوراة المدفونة وجدت فإذا هى مساوية لما كان عزير يدرس ، فضلوا عند ذلك وقالوا - ليس كل اليهود :-

- إن هذا لم يتهيأ لعزير إلا وهو ابن الله (رواه الطبرى) .

وهذا أشنع الكفر .

وزعمت النصارى أن المسيح إله وأنه ابن الإله ، ولهذا كذب الواحد الأحد الطائفتين فقال ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ أى لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افترائهم واختلافهم فهذا قول ساذج لا برهان ولا بيان فيه وإنما هو مجرد قول بالفم فهو كذب وقول لسانى فقط .

قال أهل المعانى :

إن الله ﷻ لم يذكر قولا مقرونا بذكر الأفواه والألسن إلا وكان قولا زورا كقوله ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٦٧] ، ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [سورة الفتح الآية: ١١] ، ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [سورة الكهف الآية : ٥] .

﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ أى لعنهم الله - اليهود والنصارى - لأن الملعون كالمقتول .

يقول ترجمان القرآن عبد الله بن عباس :

- كل شئ فى القرآن قتل فهو لعن .

ومنه قول أبان بن تغلب :

قاتلها الله تلحاني وقد علمت ::: أني لنفسي إفسادي وإصلاحي

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة الآية : ٣١] .

الأحبار : جمع حبر وهو الذى يحسن القول وينظمه ويتقنه بحسن البيان عنه ، والحبر هو العالم .

الرهبان : جمع راهب وهو مأخوذ من الرهبة ، وهو الذى حمله خوف الله تعالى على أن يخلص له النية دون الناس ، ويجعل زمامه له وعمله معه وأنسه به .

فقد جعل اليهود والنصارى أحبارهم ورهبانهم **كالأرباب حيث أطاعوهم فى كل شئ فأحلوا** لهم الحرام فاستحلوه ، وحرموا **عليهم الحلال فحرموه** .

ولما قدم عدى بن حاتم الطائى مدينة رسول الله ﷺ **رأى فى عنقه صليبا من ذهب** فقال إمام الزاهدين ﷺ له :

- ما هذا يا عدى ؟ اطرح عنك هذا الوثن (رواه الترمذى) .

وكفر اليهود لما قالوا :

إن الله ثالث ثلاثة ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٧٣] .

﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾ [سورة النساء الآية : ١١٦] .

فقد زعم اليهود أن عزيرًا ابن الله وقالت **الأنصارى** :

- المسيح ابن الله .

فجعلوا الله ثالث ثلاثة :

وقيل :

المراد بذلك كفارهم فى قولهم بالأقانيم **الثلاثة وهو : أقنوم الأب وأقنوم الابن** وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن تعالى **الله عن قولهم علوا كبيرا .**

ويحكى أن النصارى يقولون :

- أب وابن وروح قدس والثلاثة إله واحد كما أن الشمس تتناول القرص والشعاع والحرارة . **وما إله قط فى الوجود إلا إله واحد موصوف بالوحدانية لا ثانى له ولا** شريك .

قسوة قلوب اليهود بعد ظهور الآيات :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ

لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٧٤].

يقول الحق جل وعلا توبيخا لبنى إسرائيل وتقريعا لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى فقلوبهم كالحجارة التى لا تلين أبدا ولذا نهى الله تعالى المؤمنين عن مثل حالهم فقال ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [سورة الحديد الآية : ١٦].

لقد صارت قلوب بنى إسرائيل مع طول الأمد قاسية بعيدة عن الموعظة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات فهى فى قسوتها كالحجارة أو أشد قسوة.

اليهود يشترون الضلالة بالهدى :

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ﴾ [سورة النساء الآية : ٤٤- ٤٥].

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس :

كان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء اليهود ، إذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه وقال :

- راعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك .

ثم طعن فى الإسلام وعابه فأنزل السميع البصير﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ أى اليهود الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يختارون الضلالة وذلك إلا الأخذ على غير طريق الحق وركوب غير سبيل الرشد والصواب ، وقد وصفهم الله عز وجل باشترائهم الضلالة مقامهم على التكذيب بالصادق المصدوق ﷺ وتركهم الإيمان به ، وهم عالمون أن السبيل الحق الإيمان به وتصديقه بما قد وجدوا من صفته فى كتبهم التى عندهم ، فهم يريدون أيها المسلمون أصحاب محمد ﷺ المصدقين به أن تضلوا السبيل وتزولوا عن قصد الطريق ومحجة الحق فتكذبوا بمحمد ﷺ وتكونوا ضلالا مثلهم ، والله أعلم منكم بعداوة هؤلاء اليهود أيها المؤمنون .

يقول :

- فانتهوا إلى طاعتى عما نهيتكم عنه من استنصاحهم فى دينكم ، فإنى أعلم بما هم عليه لكم من الغش والعداوة والحسد ، وأنهم إنما يبغونكم الغوائل ، ويطلبون أن تضلوا عن محجة الحق فتهلكوا .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٠٤] .

نهى الله ﷻ عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين فى مقالهم وفعالهم ، وذلك أن اليهود كانوا يعانون من الكلام ما فيه تورية يقصدونه من التنقيص عليهم لعائن الله فإذا أرادوا أن يقولوا :

- اسمع لنا :

يقولوا :

- راعنا - وهى كلمة كرهها الله ﷻ .

ويورون بالرعونة كما قال تعالى ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [سورة النساء الآية : ٤٦] .

كان اليهود يحرفون كلام خاتم النبيين ﷺ أو ما عندهم فى التوراة أو يؤولونه على غير تأويله فذمهم الله تعالى بذلك لأنهم يفعلونه متعمدين ويقولون :

- سمعنا قولك وعصينا أمرك .

﴿ وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ .

قال ابن عباس :

- كانوا يقولون للنبى ﷺ :

- اسمع لا سمعت .

هذا مرادهم - لعنهم الله - وهم يظهرون أنهم يريدون اسمع غير مسمع مكروها

ولا أذى .

وقال الحسن البصرى ومجاهد :

- معناه غير مسمع منك .

وكانوا إذا سلموا إنما يقولون :

- السام عليكم .

والسام هو الموت .

لذلك علم إمام الخير ﷺ أصحابه أنهم إذا قال لهم اليهود :

- السام عليكم .

فليقولوا :

- وعليكم - أى وعليكم الموت .

من مزاعم بنى إسرائيل :

فضح العليم الخبير بعض مزاعم اليهود فى كتابه العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقال: ﴿ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٩٤- ٩٦].

قل لهم يا محمد : إن كانت الجنة لكم خالصة لا يشاركم فى نعيمها أحد كما زعمتم ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أى اشتاقوا الموت الذى يوصلكم إلى الجنة ، لأن نعيم هذه الحياة لا يساوى شيئا إذا قيس بنعيم الآخرة ، ومن أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها .

ورد السميع البصير على مزاعم اليهود الكاذبة ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أى لن يتمنوا الموت ما عاشوا بسبب ما اجترحوه من الذنوب والآثام

والمعاصى والخطايا ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ أى عالم بظلمهم وإجرامهم وسيجازيهم على ذلك .

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ أى ولتجدن اليهود أشد الناس على الحياة وأحرص على المشركين أنفسهم وذلك لعلمهم بأنهم وقود النار لإجرامهم وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقضهم مواثيق الله ﷻ .

﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ أى وما طول العمر مهما عمر بمبعده ومنجيه من عذاب الله المطلع على أعمالهم وسيجازيهم عليها .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [سورة المائدة الآية : ١٨] .

زعم اليهود أنهم من الله بمنزلة الأبناء من الآباء وقالوا :

- نحن أحباؤه ولأننا على دينه .

وقيل :

- قالوا : نحن منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه وله بهم عناية وهو يحبنا .

- ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ ؟ أى لو كنتم كما تزعمون وتدعون أبناءه وأحباءه فلمَ أعد لكم نار جهنم على كفركم وافترائكم ؟

﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ أى أنتم بشر كسائر الناس وهو سبحانه الحاكم فى جميع عباده يغفر لمن شاء من عباده ويعذب من شاء لا اعتراض لحكمه ولا راد لأمره فالجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه وإليه المرجع والمآب .

﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٨٠] .

أى لن ندخل النار إلا أياما قلائل هى مدة عبادة العجل سبعة أيام فقط .

﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا ﴾ ؟ أى قل لهم يا محمد : على سبيل الإنكار والتوبيخ .

- هل أعطاكم الله الميثاق والعهد بذلك ؟

فإذا كان قد وعدكم بذلك ﴿ فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾ لأن الله ﷻ لا يخلف الميعاد ، أم تكذبون على الله فتقولون عليه ما لم يقله فتجمعون بين جريمة تحريف الكلام والكذب والبهتان عليه جل وعلا ؟؟

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴾ [سورة النساء الآية : ١٢٣].

أى ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل .

لقد تفاخر المؤمنون وأهل الكتاب فقالوا :

- نبينا نبيكم ، وكتابنا كتابكم ، ونحن أحق بالله منكم .

فقال المؤمنون :

- نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على سائر الكتب .

فنزل قوله تعالى ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ .

وزعم اليهود أنهم قد ضمنوا دخول الجنة ، فأمر الله تبارك وتعالى حبيبه ﷺ أن يقول لهم :

﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١١١].

أى اطلبوا الموت الذى يوصلكم إلى الجنة كما زعمتم ، فإن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتعجلها .

يقول ترجمان القرآن - عبد الله بن عباس :

- لو تمنى يهود الموت لماتوا ، ولو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه ، ونظير ذلك قوله تعالى لليهود أيضا : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الجمعة الآية : ٦- ٨].

- أى قل يا محمد للذين تهودوا وتمسكوا بملة اليهود إن كنتم أولياء الله وأحباءه حقا كما تدعون فتمنوا من الله أن يموتكم لتنقلوا إلى دار كرامته المعدة لأوليائه إن كنتم صادقين فى هذه الدعوة .

ففضحهم العليم الخبير وبين كذبهم ﴿ وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أى لا يتمنون الموت بحال من الأحوال بسبب ما أسلفوه من الكفر والمعاصى وتكذيب محمد ﷺ يقول الألوسى :

- لن يتمن أحد الموت منهم - اليهود - لأنهم كانوا موقنين بصدقه عليه الصلاة والسلام فعلموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ، وهذه إحدى معجزات القرآن العظيم .

وقال أبو السعود :

كان اليهود يقولون: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاء اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ ويدعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون : ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً ﴾ فأمر الله رسوله أن يقول لهم إظهارا لكذبهم : إن زعمتم ذلك فتمنوا الموت لتنقلوا من دار البلاء إلى دار الكرامة فإن من أيقن بأنه من أهل الجنة ، أحب أن يتخلص إليها من هذه الدار التى هى مقر الأكدار .

كما حذرنا العليم الخبير من الشيطان وأنه عدو مبين حذرنا أيضا من اليهود .

اليهود أشد الناس عداوة لنا :

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٧٢] .

قال اليهود بعضهم لبعض :

- أظهروا الإيمان بمحمد فى أول النهار ثم اكفروا به آخره ، فإنكم إن فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعه ارتياب فى دينه فيرجعون عن دينه إلى دينكم ويقولون : أهل الكتاب أعلم به منا .

- وقيل :

آمنوا بصلاته فى أول النهار إلى بيت المقدس فإنه الحق ، واكفروا بصلاته آخر

النهار إلى الكعبة لعلهم يرجعون إلى قبلتكم .

ويقول ابن عباس :

جاء اليهود محمدا ﷺ أول النهار ورجعوا من عنده فقالوا للسفلة :

- هو حق فاتبعوه .

ثم قالوا :

- حتى ننظر فى التوراة .

ثم رجعوا فى آخر النهار فقالوا :

- قد نظرنا فى التوراة فليس هو به .

يقولون :

- إنه ليس بحق .

إنما أرادوا أن يلبسوا على السفلة وأن يشككوا فيه .

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٧٥] .

كان الأنصار لهم حرص على إسلام اليهود للحلف والجوار فكان الاستفهام فيه معنى الإنكار ، كأنه إياسهم من إيمان السفهاء فقد سمعوا ما سمع موسى عليه السلام ، فلما فرغوا وخرجوا - السبعون الذين اختارهم موسى للقاء ربه - بدلت طائفة منهم ما سمعت من كلام الله على لسان نبيهم ﴿ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ أى عرفوه وعلموه ، وهذا توبيخ لهم فكيف تطعمون فى إيمانهم ؟ .

اليهود يهزأون من المسلمين عند صلاتهم :

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء ﴾ [سورة المائدة الآية : ٥٧] .

روى عن عبد الله بن عباس أن قوما من اليهود والمشركين ضحكوا من المسلمين وقت سجودهم فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ

هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ ونهاهم الله ﷻ أن يتخذوا اليهود والمشركين أولياء .

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٥٨] .

فقد كان إذا أذن المؤذن وقام المسلمون إلى الصلاة قالت اليهود :

- قد قاموا لا قاموا .

وكانوا يضحكون إذا ركع المسلمون وسجدوا **وقالوا فى حق الأذان :**

- لقد ابتدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الأمم ، فمن أين لك صياح العير؟ فما أقبحه من أمر .

إنهم كانوا إذا أذن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون تجهيلا لأهلها وتنفيرا للناس عنها وعن الداعى إليها .

وقيل :

إن اليهود كانوا يرون المنادى إليها بمنزلة اللاعب الهازئ بفعلها ، **جهلاً منهم** بمنزلتها فنزلت هذه الآية ، والنداء : الدعاء برفع الصوت ، **وليس فى كتاب الله تعالى ذكر الأذان إلا فى هذه الآية** ونزل قوله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [سورة فصلت الآية : ٣٣] .

وقال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٥٩] .

قال ترجمان القرآن ابن عباس :

جاء نفر من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن رافع إلى النبى ﷺ فسألوه عمن يؤمن به والرسل عليهم السلام فقال :

﴿ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٣٣] ، فلما ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته .

وقالوا :

والله ما نعلم أهل دين أقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فتنزل قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٥٩ - ٦٠].

فقدسماهم العزيز الحكيم الفاسقين .

فاليهود أولئك الذين لعنهم الله ، وهم شر مكانا من الذين نقموا عليهم .

وقيل : لما نزلت هذه الآية قال المسلمون لليهود : يا أخوة القردة والخنازير .

فنكسوا رؤوسهم افتضاحا .

اليهود يسألون خاتم النبيين ﷺ أن ينزل عليهم كتابا من السماء :

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللَّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [سورة النساء الآية : ١٥٣].

سأل اليهود المبعوث للناس كافة ﷺ أن ينزل عليهم كتابا من السماء كما نزلت التوراة على موسى عليه السلام مكتوبة .

وقيل :

سألوه أن ينزل عليهم صحفا من الله مكتوبة إلى فلان وفلان بتصديقه فيما جاءهم به وهذا إنما على سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد .

فقال تعالى :

لقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا : أرنا الله جهرة .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ أى بطغيانهم وبغيهم وعتوهم وعنادهم .

ولما أهلك القوى العزيز فرعون وجنوده فى اليم وجاوزه بنو إسرائيل قليلا وجدوا

قوما يعكفون على أصنام لهم فقالوا :

﴿ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٣٨] .

قال موسى عليه السلام :

﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٣٨] .

ثم قال :

- ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٤٠] .

ثم ذكرهم بنعم الله عليهم من إنقاذهم من أسر فرعون وقهره وما كانوا عليه من الهوان والذلة وما صاروا من العزة والاستشفاء من عدوهم والنظر إليه فى حال هوانه وهلاكه .

وذهب موسى عليه السلام لميقات ربه ﴿ ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٤٢] .

فلما رجع موسى إلى قومه وجدهم يعبدون عجلا من ذهب ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٤٨] .

يا أهل الكتاب :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ [سورة المائدة الآية : ١٩] .

يقول تعالى مخاطبا أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه أرسل إليهم رسوله محمدًا ﷺ خاتم النبيين الذى لا نبى بعده ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى ابن مريم .

وقد اختلفوا فى مقدار هذه الفترة ، والمشهور هو أنها ستمائة سنة .

وكان بين ميلاد المسيح والنبى ﷺ خمسمائة سنة وتسع وستون سنة .

قال ابن عباس :

كان بين موسى بن عمران وعيسى ابن مريم عليهما السلام ألف سنة وسبعمائة

سنة ، ولم يكن بينهما فترة ، وأنه أرسل بينهما ألف نبى من بنى إسرائيل سوى ما أرسل من غيرهم ، وكان من ميلاد عيسى والنبى ﷺ خمسمائة سنة وتسع وستون سنة ، بعث فى أولها ثلاثة أنبياء وهو قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ [سورة يس الآية : ١٤] ، والذى عزز به شمعون وكان من الحواريين ، وكانت الفترة التى لم يبعث الله فيها رسولا أربعمائة سنة وأربعا وثلاثين سنة .

وقال الحق جل وعلا : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [سورة المائدة الآية : ١٥] .

يا أهل الكتاب قد جاءكم محمد ﷺ يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من كتبكم من الإيمان به ومن آية الرجم ، ومن قصة أصحاب السبت الذين مسخوا قردة فإنهم كانوا يخفونها .

﴿ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ أى يتركه ولا يبينه ، وإنما يبين ما فيه حجة على نبوته ودلالة على صدقه وشهادة برسالته ، ويترك ما لم يكن به حاجة إلى تبيينه .

وقيل :

﴿ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ أى يتجاوز عن كثير فلا يخبركم به .

وقد ذكر أن حبرا من أحبار يهود جاء النبى ﷺ فسأله فقال :

- ما هذا عفوت عنا ؟

فأعرض عنه رسول الله ﷺ ولم يبين ، وإنما أراد اليهودى أن يظهر مناقضة كلامه ، فلما لم يبين له رسول الله ﷺ قام من عنده فذهب وقال لأصحابه :

- أرى أنه صادق فيما يقول ، لأنه كان وجد فى كتابه أنه لا يبين له ما سأل عنه .

من قتل نفسا من بنى إسرائيل :

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [سورة المائدة الآية : ٣٢] .

يقول العليم الخبير :

من أجل قتل ابن آدم - قابيل - أخاه - هابيل - ظلما وعدوانا كتبنا على بنى إسرائيل أى شرعنا لهم وأعلمناهم أنه ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ .

أى من قتل نفسا بغير سبب من قصاص أو فساد فى الأرض واستحل قتلها بلا سبب أو جناية فكأنما قتل الناس جميعا لأنه فرق عنده بين نفس ونفس ، ومن أحياها أى حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار .

وقيل :

من قتل نفسا فكأنما قتل الناس: فقد وجب عليه القصاص فلا فرق بين الواحد والجماعة .

ومن أحياها : عفا عن قاتل وليه فكأنما أحيا الناس جميعا .

الله ﷻ مزق وفرق بنى إسرائيل فى الأرض :

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٦٧] .

يذكر الله ﷻ أنه فرق السفهاء فى الأرض وشتت أمرهم فلم تجمع لهم كلمة فصاروا طوائف وفرقا ﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [سورة الإسراء الآية : ١٠٤] .

جئنا بكم لفيفا : يوم القيامة جئنا بكم مجتمعين مختلطين .

والمعنى أنهم يخرجون وقت الحشر من القبور كالجراد المنتشر مختلطين لا يتعارفون وقد صدق الله **فاليهود اليوم فرق فى جميع دول العالم وإن اجتمع أكثرهم فى إسرائيل .**

اليهود يحرقون المسجد الأقصى :

المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله وعلق به قلوب الملايين من المسلمين على مدى الدهور واختصه بكثير من القدسية بالإضافة إلى أنه أول القبلتين وثالث الحرمين التى تشد إليه الرحال فقال النبى الخاتم ﷺ :

- لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى (أخرجه البخارى كتاب أبواب التطوع باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة عن أبى هريرة ، والإمام أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه عن أبى سعيد) .

وقال ذو الإصبع :

- قلنا : يا رسول الله : إن ابتلينا بعدك بالبناء أين تأمرنا ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

- عليكَ ببيت المقدس ، فلعل أن ينشأ لك ذرية تغدو إلى المسجد وتروح (أخرجه أحمد) .

وقال الصادق المصدوق ﷺ :

- صلاة الرجل فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة .

وسأل الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى صاحب الخلق العظيم ﷺ :

- أى مسجد وضع فى الأرض أولا ؟

قال :

- المسجد الحرام .

قلت :

- ثم أى؟

قال:

- المسجد الأقصى .

قلت :

- كم بينهما ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

- أربعون عاما ، وحيثما أدركتك الصلاة فصل (أخرجه الشيخان) .

وفى شهر أغسطس عام ١٩٦٩ أحرق السفهاء المغضوب عليهم المسجد الأقصى ودنسوه بأرجاسهم ليبنوا على أنقاضه هيكل سليمان عليه السلام ، ويعيدوا من ورائه ملك داود عليه السلام .

اعترافات يهودى:

وشهد شاهد من أهلها

الحق والصدق ما ينطق به الأعداء ، **أما الأصحاب كما يقولون من يشهد للعروس غير أمها ؟ فها هو رجل يهودى هو الدكتور ملير** ، وسواء كان طبيبا أو أستاذا فى الجامعة فهو يهودى كندى الأصل أحب الرياضيات بشكل كبير ، فأحب المنطق أو التسلسل للأمور .

يقول د / ملير :

إنه فى أحد الأيام - قبل أن يدخل فى الإسلام - أراد أن يقرأ القرآن بقصد أن يجد فيه بعض الأخطاء التى تعزز موقفه ضد المسلمين ، وكان يتوقع أن يجد القرآن كتابا قديما مكتوبا منذ أربعة عشر قرنا يتكلم عن الصحراء وما إلى ذلك ، لكنه اكتشف أن هذا الكتاب يحتوى على أشياء لا توجد فى أى كتاب آخر فى هذا العالم .

كان يتوقع أن يجد بعض الأحداث العصيبة التى مرت على النبى ﷺ - مثل وفاة زوجته خديجة رضى الله عنها أو وفاة بناته وأولاده - لكنه لم يجد شيئا من ذلك ، بل الذى جعله فى حيرة من أمره أنه وجد أن هناك سورة كاملة - ٩٨ آية - فى القرآن **تسمى سورة مريم وفيها تشريف لمريم عليها السلام .**

ولم يجد سورة باسم عائشة أو فاطمة رضى الله عنهما ، ووجد أن عيسى عليه السلام ذكر فى القرآن ٢٥ خمس وعشرين مرة فى حين أن النبى محمد ﷺ لم يذكر إلا خمس مرات فقط .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٤٤] .

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ٤٠] .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [سورة محمد الآية : ٢].

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الفتح الآية : ٢٩].

﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [سورة الصف الآية : ٦].

فزادت حيرته وأخذ يقرأ القرآن بتمعن أكثر لعله يجد مأخذاً عليه ولكنه صعق بآية عظيمة ألا وهى ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء الآية : ٨٢].

يقول الدكتور ملير عن هذه الآية :

من المبادئ العلمية المعروفة فى الوقت الحاضر هو مبدأ إيجاد الأخطاء أو تقصى الأخطاء فى النظريات إلى أن تثبت صحتها **falsification test** .

والعجيب أن القرآن الكريم يدعو المسلمين وغير المسلمين إلى إيجاد الأخطاء فيه ولن يجدوا .

آيات وقف عندها الدكتور / ملير :

ومن الآيات التى وقف عندها الدكتور ملير طويلا ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنبياء الآية : ٣٠].

يقول د / ملير:

إن هذه الآية هى بالضبط موضوع البحث العلمى الذى حصل على جائزة نوبل فى عام ١٩٧٣ م وكان عن نظرية الانفجار الكبير وهى تنص على أن الكون الموجود هو نتيجة انفجار ضخم حدث منه الكون بما فيه من سماوات وكواكب ، فالرتق هو الشئ المتماسك فى حين أن الفتق هو الشئ المتفكك فسبحان الله .

الشىء المذهل فى أمر النبى ﷺ :

يقول د / ملير:

الشئ المذهل فى أمر النبى ﷺ والادعاء بأن الشياطين هى التى تعينه والله تعالى يقول ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [سورة الشعراء الآية : ٢١٠- ٢١٢].

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [سورة النحل الآية : ٩٨].

أرأيتم هل هذه طريقة الشيطان فى كتابة أى كاتب يؤلف كتابا ثم يقول قبل أن تقرأ هذا الكتاب يجب عليك أن تتعوذ منى ؟

إن هذه الآيات من الأمور الإعجازية فى هذا الكتاب المعجز ، وفيها رد منطقى لكل من قال بهذه الشبهة .

قصص أبهرت الدكتور ملير :

ومن القصص التى أبهرت د/ ملير ويعتبرها من المعجزات هى قصة النبى ﷺ مع أبى لهب .

يقول د/ ملير .

هذا الرجل كان يكره الإسلام كرها شديدًا لدرجة أنه كان يتبع محمدا ﷺ أينما ذهب ليقلل من قيمة ما يقول الرسول ﷺ ، فإذا رأى النبى ﷺ يكلم الناس انتظر حتى ينتهى من كلامه ثم يذهب إليهم ويسألهم :

- ماذا قال محمد ؟ لو قال لكم أبيض فهو أسود ، وإن قال لكم ليل فهو نهار .

المقصد أنه يخالف أى شئ يقوله الرسول الكريم ﷺ ويشكك الناس فيه

وقبل سنوات من وفاة أبى لهب نزلت سورة المسد ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [سورة المسد الآية : ١- ٥].

فهذه السورة تقرر أن أبا لهب سوف يذهب إلى النار ولن يدخل فى الإسلام .

ما كان على أبى لهب خلال عشر سنوات أن يفعله هو أن يأتى أمام أهل مكة ويقول :

- محمد يقول : أنى لن أسلم وسوف أدخل النار ، ولكنى أعلن الآن أنى أريد أن أدخل فى الإسلام وأصبح مسلما ، ما رأيكم ؟ هل محمد صادق فيما يقول أم لا ؟ هل الوحى الذى يأتيه وحى إلهى ؟

لكن أبا لهب لم يفعل ذلك رغم أن كل أفعاله كانت مخالفة الرسول ﷺ لكنه لم يخالفه فى هذا الأمر .

يعنى أن القصة كانت تقول لأبى لهب : أنت تكرهنى وتريد أن تنهانى ، حسنا لديك الفرصة أن تنقض كلامى .

لكنه لم يفعل خلال عشر سنوات ، لم يسلم ، ولم يتظاهر حتى بالإسلام .

فكيف لمحمد ﷺ أن يعلم أن أبا لهب سوف يثبت على ما فى سورة المسد إن لم يكن هذا وحيا من عند الله ﷻ ؟ .

من المعجزات الغيبية القرآنية :

يقول الدكتور ملير:

من المعجزات القرآنية الغيبية هو التحدى للمستقبل بأشياء لا يمكن أن يتنبأ بها الإنسان وهى خاضعة لنفس الاختبار السابق ألا وهو falsifcation test أو مبدأ إيجاد الأخطاء مع اليهود والنصارى ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ لسورة المائدة الآية : ٨٢ .

فاليهود أشد الناس عداوة للمسلمين وهذا مستمر إلى وقتنا الحاضر .

ويقول د/ ملير:

إن هذا يعتبر تحديا عظيما ذلك أن اليهود لديهم الفرصة لهدم الإسلام ، بأمر بسيط ألا وهو أن يعاملوا المسلمين معاملة طيبة ولو لبضع سنين ويقولون عندها :

- نحن نعاملكم معاملة طيبة والقرآن يقول : إننا أشد الناس عداوة لكم ، إذن فالقرآن قد أخطأ .

ولكن هذا لم يحدث ، ولن يحدث لأن هذا كلام الله ﷻ الذى يعلم الغيب .

ويقول دكتور ملير :

وتعالوا نقرأ معا الآية مرة أخرى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ ﴾ .

ويكمل د/ ملير حديثه قائلا :

إنه بدون أدنى شك يوجد فى القرآن العظيم توجه فريد ومذهل لا يوجد فى أى مكان آخر وذلك أن القرآن يعطيك معلومات معينة لم تكن تعلمها من قبل مثل ما جاء فى سورة آل عمران ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٤٣] .

وفى سورة هود ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة هود الآية : ٤٩] .

وسورة يوسف ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [سورة يوسف الآية : ١٠٢] .

ماذا نقول لدكتور ملير ؟

نقول له : جزاك الله خيرا على هذا التعبير الصادق الجميل لكتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، **لقد قلت كلمة حق فى زمن قل فيه التدبر وقول الحق** .

(جريدة أخبار اليوم الصفحة الثامنة يوم ٢٠٠٣/١/١٧ العدد ١٥٨٢٨) .

ولقد وصف القرآن اليهود بالتضليل والتدليس والدس والشر الشديد للمسلمين مهما كان لديهم من نعم ، وعدم الاندماج الصادق مع أحد ، إلى آخر هذه الصفات الدنيئة التى إن دلت على شىء فإنما تدل على **أن اليهود حثالة البشر** .

****

اليهود والسنة

مثل المسلمين واليهود والنصارى :

قال الصادق المصدوق ﷺ :

مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا إلى الليل فعملوا إلى نصف النهار فقالوا :

- لا حاجة لنا إلى أجرك الذى شرطت لنا ، وما عملنا فلك .

فقال لهم :

- لا تفعلوا ، أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا .

فأبوا وتركوا

فاستأجر آخرين بعدهم فقال :

- اعملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت لكم من الأجر .

فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا :

- لك ما عملنا ولك الأجر الذى جعلت لنا فيه .

فقال :

- أكملوا بقية عملكم فإنما بقى من النهار شئ يسير .

فأبوا

فاستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم .

فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما .

فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور (أخرجه البخارى كتاب الإجارة باب الإجارة من العصر إلى الليل عن أبى موسى) .

حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج :

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

بلغوا عنى ولو آية : وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، **من كذب على معتمدا فليتبوأ مقعده من النار** (أخرجه الترمذى كتاب العلم باب ما جاء فى الحديث عن بنى إسرائيل ، البخارى ، والإمام أحمد ، وأبو داود ، والحاكم عن ابن عباس) .

وقال السراج المنير ﷺ :

- **حدثوا عن بنى أسرائيل ولا حرج** (رواه أبو داود عن أبى هريرة) .

وقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

تحدثوا عنى ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، تحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج فإنكم لا تحدثون عنهم بشئ إلا وقد كان فيهم أعجب منه (رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة) .

إتيان اليهود النبى ﷺ حين قدم المدينة :

قال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ :

- **لو آمن بى عشرة من اليهود لآمن بى اليهود** (رواه ابن حجر فى فتح البارى) .

ولما دخل النبى الخاتم ﷺ يثرب إذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء ويصومونه فسئلوا عن ذلك فقالوا :

- **هذا اليوم الذى أظفر فيه موسى وبنى إسرائيل على فرعون ونحن نصومه تعظما له .**

فقال رسول الله ﷺ :

- **نحن أولى بموسى منكم .**

فأمر بصومه (رواه ابن حجر فى فتح البارى عن ابن عباس) .

وكان صاحب الشفاعة ﷺ يسدل شعره ، وكان المشركون يفرقون رءوسهم وكان أهل الكتاب يسدلون رءوسهم ، وكان النبى ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ .

ثم فرق النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى المكى ﷺ رأسه وكان أول من أتاه من

اليهود أبو ياسر بن أخطب وحيى بن أخطب فسمع منه .

ولما رجع أبو ياسر قال لقومه :

- أطيعونى فإن هذا النبى الذى كنا ننتظر .

فعصاه أخوه حيى بن أخطب وكان مطاعا فيهم ، فاستحوز عليه الشيطان فأطاعوه على ما قال

وجاء ميمون بن يامين وكان رأس اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال :

- يا رسول الله ، ابعث إليهم فاجعلنى حكما فإنهم يرجعون إلى .

فأدخله دخلا ، ثم أرسل إليهم فأتوه فخاطبوه فقال :

- اختاروا رجلا يكون حكما بينى وبينكم .

قالوا :

- قد رضينا ميمون بن يامين .

فقال :

- اخرج إليهم .

فخرج ميمون بن يامين وقال:

- أشهد أنه رسول الله .

فأبوا أن يصدقوه .

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى ، فنهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم فى مجالسهم ، وآكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم - بهمزة ساكنة وبكسر الطاء : أى تردوهم - على الحق أطرًا (رواه الإمام أحمد والترمذى عن عبد الله بن مسعود) .

وقال السراج المنير ﷺ :

- مروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلن يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروا فلن يغفر لكم ، إن الأمر والنهى عن المنكر لا يفوت أجلا ، وإن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله ﷻ على لسان أنبيائهم ثم عمهم البلاء (رواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر) .

وقال إمام الخير ﷺ :

- إن من كان قبلكم من بنى إسرائيل إذا عمل العامل منهم الخطيئة فنهاه الناهى تعذيرا ، فإذا كان الغد جالسه وآكله وشاربه ، كأنه لم يره على خطيئة ، فلما رأى الله تعالى ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، والذى نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدى المسئ ولتأطرنه - تردنه - على الحق أطرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم (رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن أبى موسى) .

- وقال طبيب القلوب والنفوس والعقول ﷺ :

- إن بنى إسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل يرى أخاه يقع على الذنب فينهاه عنه ، فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكليه وشريبه وخليطه ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٧٨] ، حتى تأخذوا على يدى الظالم فتأطرونه على الحق (رواه ابن ماجه ، والترمذى ، وأبو داود عن عبد الله بن مسعود) .

ونهى حبيب الرحمن ﷺ عن الجدل والمراء فقال :

- مهلا يا أمة محمد : إنما أهلك من كان قبلكم هذا ، ذروا المراء لقلة خيره ، ذروا المراء فإن المؤمن لا يمارى ، ذروا المراء فإن الممارى قد تمت خسارته ، ذروا المراء فكفاك إثما لا تزال مماريا ، ذروا المراء فإن الممارى لا أشفع له يوم القيامة ، ذروا المراء فإنى زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة : فى رياضها ، ووسطها ، وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ، ذروا المراء فإن أول ما نهانى ربى بعد عبادة الأوثان المراء ، فإنى بنى إسرائيل

افترقوا على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، كلهم على الضلالة إلا السواد الأعظم .

قالوا :

- يا رسول الله ، من السواد الأعظم ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

- من كان على ما أنا عليه وأصحابى ، ولم يمار فى الله ، ومن لم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب غفر له ، إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء .

- قالوا :

- يا رسول الله ، ومن الغرباء ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

- الذين يصلحون إذا فسد الناس ولا يمارون فى دين الله ، ولا يكفرون أحدا من أهل التوحيد بذنب (رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن أبى الدرداء وأبى أمامة) .

المراء: الجدال والمراجعة .

وحذر سيد الأولين والآخرين ﷺ من مفارقة الجماعة فقال :

- افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة ، وتزيد أمتى عليها فرقة ليس فيها فرقة أضر على أمتى من قوم يقيمون الدين برأيهم ، فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله (رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ، وابن عدى فى الكامل ، وأبو نعيم فى الحلية ، وابن عساكر عن عوف بن مالك وضعف) .

وقال خاتم النبيين ﷺ :

إن بنى إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة ، فهلك سبعون فرقة ، وخلصت فرقة واحدة ، وإن أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة تهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة .

قيل :

يا رسول الله : من تلك الفرقة ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

الجماعة الجماعة (رواه الإمام أحمد عن أنس) .

وقال الصادق المصدوق ﷺ :

افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين ملة ، ولن تذهب الليالى والأيام حتى تفترق أمتى على مثلها ، وكل فرقة منها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة (رواه عبد بن حميد عن سعد بن أبى وقاص) .

وقال الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ :

- سيأتى على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل مثلا بمثل حذو النعل بالنعل ، حتى فيهم من نكح أمه علانية كان فى أمتى مثله ، إن بنى إسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين شعبة - ملة - وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلها فى النار غير واحدة .

قيل :

- وما تلك الواحدة ؟

فقال ﷺ :

- ما أنا عليه اليوم وأصحابى (رواه الحاكم فى المستدرك وابن عساكر عن عبد الله ابن عمرو) .

وأخبرنا المبعوث رحمة للعالمين ﷺ **أن بنى إسرائيل حرفوا التوراة وتركوها وراء ظهورهم فقال :**

- إن بنى إسرائيل كتبوا كتابا فاتبعوه وتركوا التوراة (رواه الطبرانى في الكبير عن أبى موسى الأشعرى) .

وقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- ما خلا يهودى قط بمسلم إلا حدث نفسه بقتله (رواه الخطيب عن أبى هريرة) .

وقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثكم بشئ .

ثم تلا ﴿ وَإِذَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ ﴾ (رواه الحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة) .

وقال طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ :

لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم - الخناز : اليهود الذين ادخروا اللحم حتى خنز أى نتن وتغيرت ريحه - ولم يخبث الطعام ، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها (رواه الإمام أحمد فى المسند ، والحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة) .

وقال عليه الصلاة والسلام :

- ليس على المسلمين عشورا إنما العشور - النقصان - على اليهود والنصارى (رواه الإمام أحمد فى المسند عن أبى أمية رجل من تغلب) .

وقال البشير النذير ﷺ :

لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (رواه الإمام أحمد فى المسند عن عثمان) .

* * * * * * * * *

إسرائيليات وموضوعات

لقد امتدت أصابع اليهود القذرة وبثوا إسرائيليات وأباطيل وخرافات وأكاذيب كادت أن تطغى على التفسير الصحيح فى كتاب الله ، وتخفى الكثير من جلال وجمال وهداية وعقائد حبل الله المتين ﴿ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [سورة فصلت الآية : ٤١] .

فجنت تلك الإسرائيليات على الإسلام والمسلمين ، وجرت عليهم كثيرا من الطعون والهجمات الشرسة من أعداء الإسلام ، وأفسدت عقول كثير من الناس ولاسيما العامة فصاروا يتناقلونها على أن لها أصلا فى الرواية الإسلامية وما هى منها فى شيء .

ولم تقتصر الإسرائيليات على تفسير القرآن بل امتدت إلى السيرة النبوية

ما معنى الإسرائيليات ؟

جمع إسرائيلية ، نسبة إلى بنى إسرائيل ، وإسرائيل هو - يعقوب عليه السلام - أى عبد الله

وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب ، ومن تناسلوا منهم فيما بعد إلى عهد موسى عليه السلام ومن جاء بعده من الأنبياء حتى عهد نبينا محمد ﷺ .

وقد عرفوا باليهود أو يهود من قديم الزمان ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ٢٥٦] .

أى تبنا ورجعنا إليك .

أما من آمنوا بعيسى عليه السلام فقد أصبحوا يطلق عليهم اسم النصارى .

وأما من آمن بخاتم النبيين ﷺ فقد أصبح فى عداد المسلمين ويعرفون بمسلمى أهل الكتاب - وقد دخلت الإسرائيليات عن طريق هؤلاء اليهود -

وقد أكثر الله ﷻ من خطابهم ببنى إسرائيل فى القرآن الكريم تذكيرا لهم بأبوة هذا النبى الصالح حتى يتأسوا به ويتخلقوا بأخلاقه ويتركوا ما كانوا عليه من نكران نعم الله عليهم وعلى آبائهم وما كانوا يصنعون ويتصفون به من الغدر والجحود واللؤم والخيانة .

وأشهر كتب اليهود التوراة التى نزلت من عند الله قبل التحريف والتبديل ، ومن كتبهم أيضا الزبور وهو كتاب داود عليه السلام ، وأسفار الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام وتسمى التوراة وما اشتملت عليه من الأسفار الموسوية بالعهد القديم .

وكان لليهود بجانب التوراة المكتوبة : التلمود وهى التوراة الشفوية ، وهى مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية وشروح وتفاسير وتعاليم وروايات كانت تتناقل وتدرس شفهيا من حين لآخر .

وقد اتسع نطاق الدرس والتعليم فيه إلى درجة عظيمة جدا حتى صار من الصعب حفظه فى الذاكرة ، ولأجل دوام المطالعة والمداولة وحفظا للأقوال ، والنصوص والآراء الأصلية المتعددة والترتيبات والعادات الحديثة ، وخوفا من نسيانها وفقدانها مع مرور الزمن وخصوصا وقت الاضطهادات والاضطرابات قد دونها الحاخامون بالكتابة سياجا للتوراة ، وقبلت كسنة من موسى عليه السلام - من التلمود ص ٧ ، ٨ .

ومن التوراة وشروحها ، وما اشتملت عليه الأسفار والتلمود وشروحه ، والأساطير والخرافات والأباطيل التى افتروها أو تناقلوها عن غيرهم : كانت معارف اليهود وثقافتهم .

وهذه كلها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات التى زخرت بها كتب التفسير والتاريخ والقصص والمواعظ ، وهذه المنابع إن كان فيها صدق وحق ففيها كذب وباطل كثير ، وإن كان فيها سمين ففيها غث كثير فكان آثار سيئة إذ أن معظم الإسرائيليات فى الأخلاق والمواعظ وتهذيب النفوس وترقيق القلوب .

الموضوعات :

هى جمع موضوع وهو الحديث المختلق - الاختلاق : ابتدع كلاماً لم يسبق إليه ، أو أخذ كلام الغير نسبة إلى النبى ﷺ فيكون الاختلاق فى نسبته إليه - المصنوع ، المكذوب على الصادق المصدوق ﷺ أو على من بعده من الصحابة والتابعين .

ولكنه إذا أطلق ينصرف إلى الموضوع على النبى ﷺ :

أما الموضوع على غيره فيقيد فيقال مثلا :

موضوع على ابن عباس ، أو على مجاهد مثلا .

والمناسبة بين المعنى اللغوى والاصطلاحى ظاهرة .

أما عن المعنى اللغوى الأول فلأنه منحط ساقط عن الاعتبار .

وأما عن الثانى : فلما فيه من معنى التوليد ، والتسبب فى الوجود من حيث مادته ونصه نوعان :

١- أن يضع الواضع كلاما من عند نفسه ثم ينسبه إلى النبى ﷺ أو إلى الصحابى أو التابعى .

٢- أن يأخذ الواضع كلاما لبعض الصحابة أو التابعين أو الحكماء والصوفية أو ما يروى فى الإسرائيليات فينسبه إلى رسول الله ﷺ ليروج وينال القبول ، مثال ذلك

من قول الصحابة : ما يروى من حديث :

أحبب حبيبك هونا ما ، عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما .

فالصحيح أنه من قول على بن أبى طالب

ومثال ما هو من قول التابعين حديث :

كأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل .

فهو من كلام الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز .

ومثال ما هو من كلام الحكماء :

المعدة بين الداء والحمية رأس كل دواء .

فمن قول الحارث بن كلدة طبيب العرب

ومثال ما هو كلام المتصوفة ما يروى :

كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق ، فعرفتم بى فعرفونى .

ومثال ما هو من الإسرائيليات :

ما وسعنى سمائى ولا أرضى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن .

قال الإمام ابن تيمية :

هو من الإسرائيليات ، وليس له أصل معروف عن النبى ﷺ

ومثل ذلك ما روى عن عبد الله بن عباس :

من أن عمر الدنيا آلاف سنة .

فهو من الإسرائيليات .

وقد نسب إلى النبى ﷺ وإلى الصحابة والتابعين كثير من الإسرائيليات فى بدء الخلق والمعاد وأخبار الأمم الماضية ، والكونيات ، وقصص الأنبياء .

حكم الكذب على رسول الله ﷺ :

إن الكذب على خاتم الأنبياء ﷺ **من الكبائر**

قال الصادق المصدوق ﷺ :

- من كذب على معتمدا أو رد شيئا به فليتبوأ بيتا فى جهنم (رواه أبو يعلى عن أبى بكر) .

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ [سورة النحل الآية : ١٠٥] .

قد نفت الآية الإيمان عمن يفترى الكذب على الله ، **والكذب على الرسول ﷺ كذب على الله** ، قال تعالى : **﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾** [سورة النجم الآية : ٣ ، ٤] .

وقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- إن كذبا على ليس ككذب على أحد ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (رواه البخارى) .

هل تقبل رواية من كذب فى الحديث وإن تاب ؟ :

الكذب على الرحمة المهداة ﷺ **إفساد فى الشريعة ، وإبطال فى الدين .**

وذهب جمهور المحدثين إلى أن من كذب فى حديث واحد فسق وردت روايته ، وبطل الاحتجاج بها ، وإن تاب وحسنت توبته .

ومن هؤلاء الأئمة : أحمد بن حنبل ، وأبو بكر الحميدى ، والصيرفى ، والسمعانى .

قال أبو بكر الصيرفى :

كل من أسقطنا من أهل النقل بكذب وجدناه عليه لم نعد لقبول توبة تظهر

وقال أبو المظفر السمعانى :

من كذب فى خبر واحد وجب إسقاط ما تقدم من حديثه

حكم رواية الموضوعات والإسرائيليات الباطلة :

قال العلماء سلفا وخلفا :

لا يحل رواية الحديث الموضوع فى أى باب من الأبواب إلا مقترنا ببيان أنه موضوع مكذوب ، سواء فى ذلك ما يتعلق بالحلال والحرام ، أو الفضائل ، أو الترغيب والترهيب والتواريخ ، ومن رواه من غير بيان وضعه قد باء بالإثم العظيم ، وحشر نفسه فى عداد الكذابين .

قال الصادق المصدوق ﷺ :

من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين (رواه مسلم فى صحيحه) .

وفى حكم الموضوعات : الإسرئيليات التى ألصقت بالنبى ﷺ زورا وكذبا عليه .

متى نشأ الوضع فى الحديث ؟ :

كان من أثر الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الإسلام ، دخول كثير من أبناء الأمم المغلوبة فيه فمنهم فارسى ، ومنهم رومى ، ومنهم مصرى ، ومنهم المخلص للإسلام ، ومنهم المنافق الذى يكن فى نفسه الحقد على الإسلام ، ويتظاهر بحبه ، ومنهم الزنديق الذى يسعى بشتى الوسائل لإفساد وتشكيك الناس ، ومنهم اليهودى الذى لا يزال مشدودًا إلى يهوديته ، ومنهم النصرانى الذى لا يزال يحن إلى نصرانيته .

وقد انتهز أعداء الإسلام من المنافقين والزنادقة واليهود سماحة ذى النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان ودماثة خلقه **فبذروا الفتنة الأولى** فكان **عبد الله بن سبأ اليهودى** السفيه الخبيث يطوف فى الأقاليم ويؤلب عليه الناس ، وقد أخفى هذه السموم التى كان ينفثها **تحت ستار التشيع وحب على بن أبى طالب وآل البيت الكرام** ، فصار ابن سبأ **يزعم أن أبا الحسن هو وصى النبى ﷺ والأحق بالخلافة حتى من أبى بكر وعمر** ، ووضع حديثا :

لكل نبى وصى ووصى على .

ولم يقف الأمر عند حد هذه الدعوة ، **بل ادعى ألوهيته** ، **وقد طارده ذو النورين فهرب** ، **فلما كان عهد أمير المؤمنين على طارد عبد الله بن سبأ وأحل دمه** ، **فما كان أبو الحسن ليرضى بهذه الدعوات الخبيثة التى يشنها هذا الحاقد الحاسد المغيظ المحنق على الإسلام والمسلمين .**

ومما يؤسف له أن دعوة عبد الله بن سبأ وجدت آذانا صاغية من بعض الأمم وبخاصة أهل مصر .

وقد نجح اليهودى الماكر فى إثارة الفتنة التى أطاحت برأس الخليفة الثالث ، فلما ولى أبو الحسن الخلافة وجدها مثقلة بالخلافات فقد ناصبه **أصحاب وأنصار عثمان بن عفان العداوة منذ أول يوم** ، **واستفحلت الفتنة ووقعت حروب طاحنة بين أمير المؤمنين على ومعاوية** بن أبى سفيان **فنى فيها كثير من خيرة المسلمين** ، **وظهرت طائفة الخوارج الذين لم يرتضوا التحكيم بين على ومعاوية وكانت النهاية أن أطاحت الفتنة ركنا آخر** من أركان الإسلام وهو أمير المؤمنين علىبن أبى طالب - قتله عبد الرحمن بن ملجم - وأضحت الأمة الإسلامية فى فرقة واختلاف ، ودب إليها داء الأمم قبلها ، وتمخضت الفتنة عن شيعة ينتصرون لأبى الحسن - هم أنصار على بن أبى طالب ، وهم طوائف وفرق كثيرة وأخبث هذه الطوائف وأبعدهم عن الإسلام **الرافضة** الذين رفضوا إمامة الشيخين: أبى بكر وعمر ، بل وكفروهما ، وأعدل طوائف الشيعة وأقربهم إلى الإسلام **الزيدية** وهم يفضلون على بن أبى طالب ، ولكنهم يجوزون إمامة المفضول مع وجود الأفضل - وعثمانية ينتصرون لذى النورين وخوارج - هم الذين خرجوا على أبى الحسن بعد قبوله التحكيم بينه وبين معاوية - وقالوا :

- لا حكم إلا لله .

وقالوا :

بصحة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان فى سنيه الأولى قبل أن يغير ويبدل ، وصحة خلافة على بن أبى طالب قبل الرضا بالتحكيم ، وهم من أصلب الطوائف فى عقيدتهم وأكثرهم عبادة ، يعادون الشيعة وغيرهم ، ومروانية ينتصرون لمعاوية وبنى أمية .

وقد استباح بعض هؤلاء لأنفسهم أن يؤيدوا أهواءهم ومذاهبهم بما يقويها ، وليس ذلك إلا فى الحديث بأنواعه من أحكام ، وتفسير وسير وغيرهما .

وكان ذلك حوالى سنة أربعين للهجرة ، ومازالت حركة الوضع تسير وتتضخم حتى دخل بسببها على الحديث بلاء غير قليل ، وهذا العصر هو ما يعرف بعصر صغار الصحابة وكبار التابعين .

ففى عصر التابعين ضعفت الخاصية التى كانت فى العصر الأول - عصر الصحابة- وهى :

التثبت والتحرى فى الحديث ، فكثرت الرواية وانتشر الحديث ، وفشا الكذب على رسول الله ﷺ وبعض صحابته .

وبعد أن كان الخلفاء الراشدون المهديون يدعون إلى التحوط ، والتثبت فى المرويات أضحى الأمراء والخلفاء فى شغل عن ذلك بالملك والسياسة .

وجاءت الدولة العباسية فاشتدت الخصومة بين الأحزاب السياسة وتقرب ضعفاء الإيمان بالاختلاق فى فضائلها ، والحط من شأن أعدائها ، بل بلغ من بعضهم أنه كان يضع الأحاديث أو يتزيد فيها إرضاء لما يهوى بعض الخلفاء .

دخل أبو البخترى وهو قاض على هارون الرشيد وهو يطير الحمام فقال له :

- هل تحفظ فى هذا شيئا ؟

فروى أبو البخترى الكذاب حديثا :

إن النبى كان يطير الحمام .

وقد أدرك أمير المؤمنين هارون الرشيد كذبه فزجره وقال :

- لولا أنك من قريش لعزلتك .

ودخل غياث بن إبراهيم على المهدى وهو يلعب بالحمام

فروى له حديث :

لا سبق إلا نصل أو حافر أو جناح .

فزاد : أو جناح إرضاء للمهدى .

وقيل :

إن المهدى قال لغياث بن إبراهيم وهو خارج :

- أشهد أن قفاك قفا كذاب .

وأمر المهدى بذبح الحمام .

والكذب هو : أو جناح .

أى اللفظ الأخير فحسب .

أما أصل الحديث فثابت فقد رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة - ابن ماجه ، والترمذى ، أبو داود ، والنسائى .

كذلك كان لنشأة الفرق الكلامية وغيرها من أهل السنة ومعتزلة ومرجئة وجبرية وجهمية وكرامية . . . أثر كبير فى إذكاء حركة الوضع .

وقد حاول ضعفاء الإيمان وأرقاء الدين منهم أن يؤيد ولبعض مذاهبهم وآرائهم بالأحاديث ، وقد وضعت أحاديث فى نصرة بعض هذه المذاهب أو فى الرد على بعضها الآخر ، بحيث لا يشك الناظر فيها أنها مختلقة موضوعة وذلك مثل :

ما روى: الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص .

ومثل :

الإيمان قول ، والعمل شرائعه لا يزيد ولا ينقص .

ومثل ما روى :

أن رسول الله ﷺ سئل عن الإيمان :

- هل يزيد وينقص ؟

فقال عليه الصلاة والسلام :

- لا ، زيادته ونقصانه شرك .

وإن إصبع الإرجاء لتظهر فى مثل ما روى :

كما لا ينفع مع الشرك شىء ، كذلك لا يضر مع الإيمان شىء .

إلى غير ذلك من الأحاديث التى يظهر عليها أثر الصنعة والاختلاق .

كذلك كان للخلافات الفقهية أثر فى إذكاء حركة الوضع ، فوضعت أحاديث فى فضائل الأئمة ، كما وضعت أحاديث أخرى فى ذم بعضهم ، وكذلك وضعت أحاديث فى الاستشهاد لبعض الفروع الفقهية ليس شىء من نور النبوة ، وإنما أقرب إلى قواعد الأصوليين والفقهاء ، وكتب التخاريج لبعض كتب الفقه فيها من ذلك شئ غير قليل .

ومهما يكن من استمرار سوق الوضع قرونا فقد ناهضها العلماء ولاسيما أئمة الحديث وجهابذه الذين ألفوا الكتب ، ودونوا الدواوين وميزوا فيها الصحيح والحسن ، والضعيف والموضوع ، وكذلك وضعوا التنصيص على الأحاديث الموضوعة كتبا لا يحصيها أحد ، وكشفوا عن عوارها ، وحذروا الناس من الاغترار بها .

فجازاهم الله أعظم ما جازى علماء أمة .

التفسير :

معنى التفسير :

هو البيان .

وهو علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ، ومدنيها وبيان محكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها ، وحلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها ،

وامرها ونهيها ، وعبرها وأمثالها ونحو ذلك ثم أخذ فى شرح تعريفه .

وقيل :

هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك .

ثم أخذ فى شرح تعريف .

وهذا التعريف غير جلى ولا واضح ، وكذلك لم يصرح بالغرضين الأهمين اللذين نزل لهما القرآن وهما كونه كتاب الهداية البينة التى هى أوضح الهدايات وأقومها ، والكتاب السماوى المعجز - فهو المعجزة العظمى - والآية الكبرى الباقية على وجه الدهر لنبينا محمد ﷺ .

وقال الزركشى فى البرهان :

التفسير : علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو ، والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ .

وهذا التعريف أوضح وأيسر من التعريفين السابقين وأدل على الغرضين الأهمين اللذين ذكرناهما آنفا .

ومن العلماء من أوجز فى التعريف فقال :

هو علم يبحث فيه أحوال القرآن الكريم ، من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية .

وأزيد فى التعريف فأقول :

ومن حيث كونه المعجزة العظمى لنبينا محمد ﷺ

والمراد بأحوال القرآن الكريم من حيث كونه كتاب الهداية الأقوم ، وكتاب العربية الأكبر ، والمعجزة الخالدة لخاتم النبيين ﷺ .

ويدخل فى ذلك كل ما يتوقف عليه معرفة ذلك من العلم بأسباب النزول

ومناسبات الآيات والمكى والمدنى ، والمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ وغيرها .

التأويل :

التأويل لغة : أصله من الأول ، وهو الرجوع فكأن المؤول للآية رجع بها إلى ما تحتمله من المعانى .

وقيل :

مأخوذ من الإيالة وهى السياسة كأن المؤول للكلام ساسه ، وتناوله بالمحاورة والمداورة حتى وصل إلى المراد منه .

أما معناه فى الاصطلاح : فيعرف بما عرف به التفسير .

والتفسير أعم من التأويل وأكثر استعمالاته فى الألفاظ ومفرداتها ، ويستعمل فى الكتب الآلهية وفى غيرها . وأكثر استعمال التأويل فى المعانى والجمل ، وأكثر ما يستعمل فى الكتب الآلهية .

والتفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا .

والتأويل : توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها ، بما ظهر من الأدلة .

وقال أبو طالب التغلبى :

التفسير : بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجاز ، كتفسير الصراط بالطريق ، والصيب بالمطر .

والتأويل : تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر .

فالتأويل : إخبار عن حقيقة المراد .

والتفسير : إخبار عن دليل المراد .

وقال بعض العلماء :

التفسير : يتعلق بالرواية ، أى التفسير بالمأثور .

والتأويل : يتعلق بالدراية أى التفسير بالرأى والاجتهاد .

الحاجة إلى علم التفسير :

علم التفسير من العلوم المهمة التى يجب على الأمة تعلمها ، وقد أوجب الله ﷻ على المسلمين حفظ القرآن وكذلك أوجب عليهم فهمه وتدبر معانيه فقال ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء الآية : ٨٢] .

وقال ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة ص الآية : ٢٩] .

وقال ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [سورة محمد الآية : ٢٩] .

فالقرآن أنزل للتدبر .

وتدبر القرآن بدون فهم معانيه غير ممكن ، وفهم معانيه إنما يكون بمعرفة تفسيره .

فتفسير القرآن على الأمة ، ولكنه فرض كفائى .

بمعنى : إذا قام به أهل العلم المتأهلون له من الأمة الإسلامية سقط عن الباقين .

والله سبحانه وتعالى إنما يخاطب كل قوم بما يفهمونه .

ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه ، وأنزل كتابه بلغتهم وقد نزل القرآن بلسان عربى مبين فى وقت بلغ فيه العرب الغاية فى الفصاحة والبلاغة ، وكانوا يعرفون ظواهره وأحكامه .

وأما دقائق معانيه وحقائق تأويله ، فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر والتأمل .

وما كان يخفى عليهم منه أو يشكل كانوا يسألون عنه السراج المنير ﷺ ، وذلك كسؤالهم له لما نزل قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأنعام الآية : ٨٢] .

فقالوا :

- وأينا لم يظلم

وفزعوا إلى طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ ، فبين لهم أن المراد بالظلم الشرك ،

واستدل عليه بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة لقمان الآية : ١٣] .

وكبيانه ﷺ لأم المؤمنين عائشة أن المراد بالحساب اليسير فى قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [سورة الانشقاق الآية : ٨] .

العرض ، أى استعراض الأعمال من غير مناقشة .

وقصة عدى بن حاتم الطائى فى الخيط الأبيض والخيط الأسود ، وظنه أن المراد الحقيقة حتى بين له الهادى البشير ﷺ أن المراد بالخيط الأبيض بياض النهار والخيط الأسود سواد الليل .

التفسير من أشرف العلوم :

العلم بالتفسير من أشرف العلوم الشرعية وأجلها ، فالشئ إنما يشرف إما بشرف موضوعه وإما من جهة غايته والغرض منه ، وإما من جهة الحاجة إليه .

وموضوع علم التفسير هو كلام الله ، أشرف الكلام وأصدقه وهو أصل الدين ، ومنبع الصراط المستقيم ، وينبوع الحكمة ، ومعدن كل فضل .

وغايته هى : الاعتصام بالعروة الوثقى ، والوصول إلى السعادتين: الدنيوية والأخروية ، وأما شدة الحاجة إليه ، فلأن كل كمال دينى أو دنيوى عاجل أو آجل مفتقر إلى العلوم الشرعية ، والمعارف الدينية وهى متوقفة على العلم بكتاب الله تبارك وتعالى .

ما يجوز الخوض فى تفسيره ومالا يجوز :

من التفسير ما هو ظاهر واضح يعلمه العالم باللسان العربى .

ومنه مالا يعذر أحد بجهالته .

ومنه مالا يجوز التكلم فيه إلا العلماء الراسخين فى العلم .

ومنه مالا يجوز الاشتغال به لأنه مما استأثر العليم الخبير بعلمه فلا يخرج منه الباحث بطائل .

قال ترجمان القرآن عبد الله بن عباس :

التفسير أربعة أوجه :

وجه تعرفه العرب من كلامها .

وتفسير لا يعذر أحد بجهالته .

وتفسير يعرفه العلماء .

وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى .

قال ابن النقيب :

اعلم أن علوم القرآن ثلاثة أقسام :

الأول: علم لم يطلع الله عليه أحدًا من خلقه ، وهو ما استأثر به علوم أسرار كتابه من معرفته كُنه ذاته ، وغيوبه التى لا يعلمها إلا هو ، وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجه من الوجوه إجماعا .

الثانى: ما أطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب ، واختصه به وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له ﷺ أو لمن أذن له ، وأوائل السور من هذا القسم ، وقيل من القسم الأول .

الثالث: علوم علمها الله نبيه ، مما أودع فى كتابه من المعانى الجلية والخفية ، وأمر بتعليمها .

وهذا ينقسم إلى قسمين :

١- منه مالا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع وهو أسباب النزول ، والناسخ ، والمنسوخ والقراءات واللغات وقصص الأمم الماضية وأخبار ما هو كائن من الحوادث ، وأمور الحشر والمعاد .

٢- ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستخراج من الألفاظ .

وهو قسمان :

أ- قسم اختلفوا فى جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهة فى الصفات - مثل ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [سورة طه الآية : ٥] ، ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [سورة الفجر الآية : ٢٢] .

﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [سورة الرحمن الآية : ٢٧] ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الفتح الآية : ١٠] ، والعلماء فى هذا على فريقين : السلف وهؤلاء يؤمنون بالآيات المتشابهة كما وردت من غير تأويل ولا تشبيه ولا تكييف مع اعتقاد تنزيه الله عن ظواهرها المعروفة لنا والخلف : هؤلاء أولوا هذه الآيات على حسب المعروف من اللغة وقواعد الشرع والعقل ، والأول هو الذى كان عليه الصادق المصدوق ﷺ والصحابة والتابعون والسلف .

وقد قالوا :

إن مذهب السلف أحكم

ومذهب الخلف أسلم .

فلنكن على ما كان عليه السلف - رضوان الله عليهم -

ب- وقسم اتفقوا عليه وهو : استنباط الأحكام الأصيلة والفرعية والإعرابية - أى استنباط وأخذ القواعد النحوية ، فإن القرآن الكريم هو أوثق المصادر التى يعتمد عليها فى إثبات اللغة وقواعد النحو - لأن مبناها على الأقيسة ، وكذلك فنون البلاغة ، وضروب المواعظ والحكم والإشارات لا يمتنع استنباطها واستخراجها لمن له أهلية .

قال الإمام الشافعى :

لا يحل تفسير المتشابه إلا بسنة عن رسول الله ﷺ أو خبر عن أحد الصحابة أو إجماع العلماء .

ومن هذه النصوص الجيدة التى تدل على العمق فى البحث والأصالة فى الرأى والدقة فى التفكير نعلم أن من القرآن مالا يجوز الخوض فيه قط وأن منه ما الأولى عدم الخوض فيه لأنه لا يؤدى إلى أمر تركن إليه النفس ويطمئن إليه القلب .

أقسام التفسير :

١- التفسير بالمأثور .

٢- التفسير بالرأى السديد والاجتهاد الصحيح المبنى على العلوم والمعارف .

التفسير بالمأثور أى التفسير بالمنقول سواء أكان متواترا أم غير متواتر

وعلى هذا يشمل المنقول عن الله ﷻ فى القرآن الكريم ، والمنقول عن النبى ﷺ ، والمنقول عن الصحابة رضوان الله عليهم ، والمنقول عن التابعين وعلى هذه الأنواع الأربعة يدور التفسير المأثور .

تفسير القرآن بالقرآن .

هو تفسير بعض آيات القرآن بما ورد فى القرآن نفسه ، فإن القرآن يفسر بعضه بعضا ، فما أجمل فى مكان فسر وبين فى مكان آخر ، وما أوجز فى موضع قد بسط وبين فى مكان آخر .

ولذلك أمثلة

أمثلة من تفسير القرآن بالقرآن :

قوله تعالى فى سورة الفاتحة : ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الفاتحة : ٦- ٧] .

فقد فسر المنعم عليهم بقوله سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء الآية : ٦٩] .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة الآية ٣٧] .

فقد فسرت الكلمات فى آية أخرى ، قال تبارك وتعالى : ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ٢٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ﴾ [سورة الواقعة الآية : ٦] .

فقد فسر بما بعده ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [سورة المعارج الآية : ١٩- ٢٠] .

تفسير القرآن بالسنة :

فإن لم يوجد تفسير للقرآن فى القرآن ، فليبحث عما ثبت وصح فى السنة

والأحاديث ، فإنها شارحة للقرآن ، ومبينة له قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل الآية : ٤٤] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [سورة الجمعة الآية : ٢] .

عن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال :

ألا إننى أوتيت الكتاب ومثله معه - السنن والأحاديث - ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته - المراد هنا أنه من أهل الترفه والدعة والذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من مظانه - **يقول عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا يحل لكم الحمار الأهلى ولا ذى ناب من السباع ، ولا لقطة معاهد ، إلا أن يستغنى عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يُقْروه ، فإن لم يقروه فعليه أن يعقبهم** - يأخذ من أموالهم بقدر الضرورة وهو يدل على منزلة التكافل الاجتماعى فى الإسلام - **بمثل قراه** (رواه أبو داود فى سننه) .

وقوله عليه الصلاة والسلام: **أوتيت الكتاب ومثله معه .**

قال الإمام الخطابى :

إنه أوتى من الوحى الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الظاهر المتلو

وأنه أوتى الكتاب وحيا يتلى ، وأوتى من البيان مثله ، أى أذن له أن يبين ما فى الكتاب فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرح ما فى الكتاب ، فيكون فى وجوب العمل به ، ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن .

وقوله عليه الصلاة والسلام : **يوشك رجل .**

يحذر ﷺ بهذا القول من مخالفة السنن التى سنها مما ليس له فى القرآن ذكر ، على ما ذهب إليه الخوارج والروافض ، فإنهم تمثلوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التى قد ضمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا .

وفى حديث معاذ بن جبل حين بعثه الرحمة المهداة ﷺ إلى اليمن فسأله :

- بم تحكم ؟

قال معاذ :

- بكتاب الله .

قال ﷺ :

- فإن لم تجد ؟

قال أبو عبد الرحمن :

- بسنة رسول الله ﷺ .

قال عليه الصلاة والسلام .

- فإن لم تجد ؟

- قال معاذ :

- أجتهد رأيى ولا ألو - لا أقصر - .

فضرب أبو القاسم ﷺ فى صدر معاذ وقال :

- الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله

قال الإمام أحمد :

إن السنة تفسر الكتاب وتبينه .

وقال مكحول :

القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن .

أمثله لتفسير القرآن بالسنة :

من ذلك تفسير ﴿ الْمَغضُوبِ عَلَيهِمْ ﴾ [سورة الفاتحة الآية : ٧] .

باليهود

و ﴿ الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الفاتحة الآية : ٧] .

بالنصارى

قال رسول الله ﷺ :

إن المغضوب عليهم هم اليهود ، وإن الضالين هم النصارى (رواه الترمذى عن عدى بن حاتم) .

ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٦٠] .

فإن المراد بهم اليهود .

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٧٧] .

وقد جعل السراج المنير ﷺ اليهود عنوانا على كل من فسدت إرادتهم ، فعلموا الحق وعدلوا عنه .

وجعل النصارى عنوانا على الذين فقدوا العلم والوصول إلى الحق ، فهم هائمون فى الضلالة لا يهتدون إلى الحق .

ولما نزل قول الحق جل وعلا: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأنعام الآية : ٨٢] .

شق ذلك على الصحابة فقالوا :

- يا رسول الله : وأينا لا يظلم نفسه ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

- إنه ليس الذى تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح - لقمان الحكيم - ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة لقمان الآية : ١٣] ، **إنما هو الشرك** (رواه أحمد والبخارى ومسلم عن عبد الله مسعود) .

ومن ذلك تفسير القوة بالرمى فى قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنفال الآية : ٥٠] .

قال الصحابى الجليل عقبة بن عامر رضي الله عنه :

سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر :

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ . . . ﴾ ، ألا وإن القوة الرمى ، ألا وإن القوة الرمى ، ألا وإن القوة الرمى .

وقد جاءت الكلمة القرآنية معجزة ، **فإن المراد بالقوة أسبابها** ، **وهى كل ما يكون** به القوة ولما كانت أسباب القوة وهى أسلحة الحرب وآلات القتال تختلف باختلاف العصور ، **جاءت الكلمة على هذه المرونة الفائقة التى جعلتها صالحة لكل زمان ومكان** فالرمى كلمة مرنة صالحة لتطور الأسلحة بتقدم الزمان .

فإن كلمة الرمى يدخل فيها الرمى بالقوس والنبال والرمى بالحراب .

والرمى بالمنجنيق .

ويدخل فيها أيضا كل ما استحدث فيما بعد كالرمى بالمدفع والقنابل ، **والصواريخ** ومن ذلك **أيضا تفسير الكوثر فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ .**

قال رسول الله ﷺ :

الكوثر : نهر أعطانيه ربى فى الجنة (رواه مسلم وأحمد عن أنس) .

وقال خادم نور الظلمة ﷺ :

لما عرج بالنبى ﷺ إلى السماء قال: **أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا .**

قلت :

- ما هذا يا جبريل ؟

قال :

- هذا الكوثر (رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك) .

تفسير الصحابة :

إن لم نجد فى القرآن ولا فى السنة والأحاديث عن إمام الخير ﷺ رجعنا فى ذلك إلى ما صح وثبت عن الصحابة فإنهم أدرى منا بتفسير القرآن الكريم ، فقد بين لهم سيد

الأولين والآخرين ﷺ معانى القرآن وشرح لهم مجمله .

أمثلة من تفسير القرآن

من ذلك :

ما روى الصحابى الجليل سلمة بن الأكوع فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٨٤] .

قال :

لما نزلت هذه الآية كان من أراد أن يفطر - فى شهر رمضان - ويفتدى .

حتى نزل قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٨٥] .

فنسخت هذه الآية ما قبلها .

ومن ذلك :

ما روى عبد الله بن عباس فى قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنبياء الآية : ٣٠] .

قال ترجمان القرآن :

كانت السماوات رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، ففتق الله هذه بالمطر ، وهذه بالنبات .

فرجع السائل إلى عبد الله بن عمر فأخبره بما قاله ابن عباس فقال ابن عمر :

- كنت أقول : ما تعجبنى جراءة ابن عباس على تفسير القرآن ، فالآن قد علمت أنه أوتى علما .

ومن ذلك قول أم المؤمنين عائشة :

لما سألها ابن أختها عروة بن الزبير عن قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ﴾ [سورة النساء الآية : ٣] .

فقالت :

- يا ابن أختى : هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها ، تشركه فى ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد أن يتزوجها أن يقسط فى صداقها ، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنهوا عن ذلك ، إلا أن يقسطوا لهن ، ويبلغوا لهن أعلى سنتهن ، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن .

وقول ابن عباس فى قوله : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [سورة النصر الآية : ١] .

كان عمر يدخلنى مع شيوخ بدر ، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال :

- لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟

فقال عمر :

- إنه من حيث علمتم - يعنى قرابته من رسول الله ﷺ وذكائه وفطنته - فدعاهم ذات يوم فأدخلنى معهم ، فما رؤيت أنه أدخلنى معهم يومئذ إلا ليريهم .

قال :

- ما تقولون فى قوله الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ؟

فقال بعضهم :

- أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا ، وفتح علينا .

وسكت بعضهم .

فلم يقل شيئا ثم قال لى:

- أكذلك تقول يا ابن عباس ؟

فقلت :

- لا .

فقال :

- ما تقول ؟

فقلت :

- أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

فقال عمر :

ما أعلم منها إلا ما تقول (رواه البخارى كتاب التفسير سورة النصر) .

وقول ابن عباس فى الكوثر :

- هو الخير الذى أعطاه الله إياه .

قال أبو بشر :

قلت لسعيد بن جبير .

- إن الناس يزعمون أنه نهر فى الجنة - الكوثر - .

قال سعيد بن جبير :

- النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله إياه .

ولا منافاة بين هذا التفسير عن النبى ﷺ **من أنه الكوثر لأن الكوثر من هذا الخير الكثير ، ويدخل فى هذا الخير الكثير النبوة والرسالة والقرآن .**

لماذا لم ينقل الصحابة عن النبى الخاتم ﷺ كل التفسير ؟ :

لاشك أن معلم البشرية ﷺ بين القرآن كله لأصحابه ، ولاسيما ما أشكل عليهم أو خفى عليهم المراد منه ، ولكن لم ينقل إلينا عن إمام الخير ﷺ كل ما يتعلق بآيات القرآن ، ولعل السبب فى هذا :

أنهم كانوا لفهمهم الكثير من آياته بمقتضى فطرتهم اللغوية ، وعلمهم بالشريعة رأوا ألا حاجة لنقل كل ما يتعلق بتفسير القرآن ، **وظنا أن ما يأتى بعدهم فهو مثلهم ، أو يدانيهم فاشتغلوا بالجهاد فى سبيل الله والفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام لم يدع لهم وقتا للتفرغ للعلم والرواية .**

السبب فى أن ما نقل عن النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى المكى ﷺ فى التفسير كان أقل مما نقل فى الأحكام :

كان من حكمة العزيز الحكيم أن ما نقل عن الذى أوتى جوامع الكلم ﷺ فى تفسير القرآن ولاسيما فيما يتعلق بنشأة الكون وأسرار الوجود والآيات الكونية والنفسية أقل مما نقل فى الأحكام وذلك :

لأن الأحكام الشرعية دائمة لا تتغير بتغيير الأزمان والعصور .

أما الآيات الكونية والآفاقية والنفسية **فهى مجال للنظر والتفكير والتدبر ويختلف** تناولها والاستفادة منها بتغيير العقول والفهوم ، **وتتطور بتطور الأزمان والأجيال ، وهى عرضة للتقدم العلمى** ، فمن ثم كان موقف القرآن منها موقف الداعى إلى التفكر والتدبر والملاحظة والتجربة والاستفادة بما أودعه الله ﷻ فيها من أسرار وخصائص وسنن .

وبذلك فتح القرآن للعقول أبواب التقدم العلمى على مصراعيها حتى بلغ التقدم إلى ما نرى ، وقد صيغت هذه الآيات الكونية والنفسية صياغة فى غاية المرونة ، فمن ثم صلحت لكل زمان ومكان ، وكان ذلك سرا من أسرار إعجاز القرآن الكريم .

وكذلك كان موقف طبيب القلوب والعقول ﷺ من هذه الآيات الكونية الحث على البحث فيها والتفكير والتدبر والتنبيه إلى فوائدها دون الإخبار عن حقائقها وأسبابها .

ولم يصح عن الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فى التفصيل فى الآيات الكونية كالسماوات وجوهرها ومم خلقت ومقدار ما بين كل سماء وأخرى إلا شئ قليل جدا ، وأغلب ما ورد فى ذلك لم يصح ولم يثبت عنه .

ولما سئل النبى ﷺ عن الهلال لم يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا أى يصير بدرا ثم يعود دقيقا كما كان .

نزل القرآن منها إلى الفائدة دون الإجابة عن الحقيقة العلمية مع أنها محط السؤال .

قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ [سورة البقرة الآية ١٨٩] .

ولاشك أن خالق الكون علويه وسفليه ومدبره والعليم بكل أسراره كان يعلم الحقيقة العلمية ، وكان من الممكن اليسير أن يعلمها لحبيبه ﷺ أو لعله أعلمه بها .

ولكن جاء القرآن على هذا الأسلوب الحكيم بالتنبيه إلى الفائدة والغاية من هذا رحمة بالناس ورفقا بعقولهم ، فليست كل العقول كانت متهيئة فى هذا الزمن البعيد لتقبل الحقيقة العلمية ، وقد يكون لبعضهم فتنة ، فمن ثم ترك ذلك إلى العقول لتصل إلى الحقيقة بعلمها وجدها وبحثها .

وقد كان صاحب الخلق العظيم ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم واستعداداتهم ، وله فى ذلك السياسة الحكيمة والتوجيهات الرشيدة .

وفى الأثر عن ابن مسعود قال :

ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة (رواه مسلم) .

وقال علي عن النبى ﷺ :

حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله (رواه البخارى) .

الإسرائيليات فى قصة هاروت وماروت :

روى السيوطى فى الدر المنثور فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٠٢] .

روايات كثيرة وقصصا عجيبة رويت عن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، على ، وعبد الله بن عباس ، ومجاهد ، وكعب الأحبار ، والربيع ، والسدى ، رواها ابن جرير الطبرى فى تفسيره ، وابن مردويه ، والحاكم وابن المنذر ، وابن أبى الدنيا ، والبيهقى ، والخطيب فى تفاسيرهم وكتبهم .

وخلاصتها :

أنه لما وقع الناس من بنى آدم فيما وقعوا فيه من المعاصى والكفر بالله ، قالت الملائكة فى السماء :

- أى رب ، هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك ، وقد ركبوا الكفر ، وقتل

النفس الحرام ، وأكل المال الحرام ، والسرقة والزنا ، وشرب الخمر .

وجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم ، فقيل لهم :

- إنهم فى غيب .

فلم يعذرونهم .

وفى بعض الروايات :

أن الله قال لهم :

- لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم .

قالوا :

- سبحانك ما كان ينبغى لنا .

وفى رواية أخرى :

قالوا :

- لا .

فقيل لهم :

- اختاروا منكم ملكين آمرهما بأمرى ، وأنهاهما عن معصيتى .

فاختاروا هاروت وماروت .

فأهبطا إلى الأرض ، وركبت فيهما الشهوة ، وأُمر أن يعبدا الله ، ولا يشركا به شيئا ، ونهيا عن قتل النفس الحرام ، وأكل المال الحرام والسرقة والزنا وشرب الخمر .

فلبثا على ذلك فى الأرض زمانا يحكمان بين الناس بالحق ، وفى ذلك الزمان امرأة حسنها فى سائر الناس كحسن الزهرة فى سائر الكواكب ، وأنهما أراداها - راوداها - عن نفسها ، فأبت إلا أن يكونا على أمرها ودينها ، وأنهما سألاها عن دينها فأخرجت لهما صنما فقالا :

- لا حاجة لنا فى عبادة هذا .

فذهبا فصبرا ما شاء الله .

ثم أتيا عليها فخضعا لها بالقول وراوداها عن نفسها ، فأبت إلا أن يكون على دينها ، وأن يعبدا الصنم الذى تعبده ، فأبيا .

فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبدا الصنم قالت لهما :

- إختارا إحدى الخلال الثلاث : إما أن تعبدا هذا الصنم ، أو تقتلا النفس ، أو تشربا هذه الخمر .

فقالا :

- هذا لا ينبغى ، وأهون الثلاثة شرب الخمر .

وسقتهما الخمر ، حتى أخذت الخمر فيهما وقعا بها - فعلا بها الفاحشة - فمر بهما إنسان وهما فى ذلك فخشيا أن يفشى عليهما ، فقتلاه .

فلما ذهب عنهما السكر ، عرفا ما قد وقعا فيه من الخطيئة ، وأرادا أن يصعدا إلى السماء فلم يستطعا ، وكشف الغطاء فيما بينهما وبين أهل السماء ، فنظرت الملائكة إلى ما قد وقعا فيه من الذنوب ، وعرفوا أنه من كان فى غيب فهو أقل خشية .

فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن فى الأرض ، فلما وقعا فيما وقعا فيه من الخطيئة قيل لهما :

- اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة .

فقالا :

- أما عذاب الدنيا فينقطع ويذهب ، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له .

فاختارا عذاب الدنيا .

فجعلا ببابل ، فهما يعذبان معلقين بأرجلهما .

وفى بعض الروايات :

أنهما علماها الكلمة التى يصعدان بها إلى السماء ، فصعدت ، فمسخها الله ، فهى هذا الكوكب المعروف بالزهرة - نجم فى السماء - .

ويذكر السيوطى أيضا فى كتابه ، ما رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، والحاكم والبيهقى فى سننه عن عائشة :

أنها قدمت عليها امرأة من دومة الجندل ، وأنها أخبرتها أنها جىء لها بكلبين أسودين ، فركبت كلبا ، وركبت امرأة أخرى الكلب الآخر ، ولم يمض غير قليل حتى وقفتا ببابل ، فإذا هما برجلين معلقين بأرجلهما وهما هاروت وماروت .

واسترسلت المرأة التى قدمت على عائشة فى ذكر قصة عجيبة غريبة .

ويذكر أيضا أن ابن المنذر أخرج عن طريق الأوزاعى عن هارون بن رباب قال :

دخلت على عبد الملك بن مروان وعنده رجل قد ثنيت له وسادة وهو متكئ عليها .

فقالوا :

- هذا قد لقى هاروت وماروت .

فقالوا له :

- حدثنا رحمك الله .

فأنشأ الرجل يحدث بقصة عجيبة غريبة .

وكل هذا من خرافات بنى إسرائيل ، وأكاذيبهم التى لا يشهد لها عقل ولا نقل ولا شرع ، ولم يقف بعض رواة هذا القصص الخرافى الباطل عند روايته عن بعض الصحابة والتابعين ، ولكنهم أوغلوا باب الإثم والتجنى الفاضح ، فألصقوا هذا الزور إلى الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ ورفعوه إليه .

فقد قال السيوطى :

أخرج سعيد ، وابن جرير ، والخطيب فى تاريخه عن رافع قال :

سافرت مع ابن عمر فلما كان آخر الليل قال :

- يا نافع : انظر هل طلعت الحمراء ؟

قلت :

- لا ، مرتين أو ثلاثا .

ثم قلت :

- قد طلعت .

قال ابن عمر :

- لا مرحبا بها ولا أهلا .

قلت :

- سبحان الله ، نجم مسخر سامع مطيع !!

قال عبد الله بن عمر :

- ما قلت لك إلا ما قد سمعت من رسول الله ﷺ .

قال :

وإن الملائكة قالت :

- يا رب : كيف صبرك على بنى آدم فى الخطايا والذنوب ؟

قال :

- إنى ابتليتهم وعافيتهم .

قالوا :

- لوكنا مكانهم ما عصيناك .

قال الله ﷻ :

- فاختاروا ملكين منكم .

فلم يألوا جهدا أن يختاروا ، فاختاروا هاروت وماروت .

فنزلا ، فألقى الله عليهم الشبق - الشهوة - .

قلت :

- وما الشبق ؟

قال ابن عمر :

- الشهوة .

فجاءت امرأة يقال لها الزهرة فوقعت فى قلبيهما ، فجعل كل واحد منهما يخفى عن صاحبه ما فى نفسه ، ثم قال أحدهما للآخر :

- هل وقع فى نفسك ما وقع فى قلبى ؟

قال :

- نعم

فطلباها لأنفسهما

فقالت :

- لا أمكنكما حتى تعلمانى الاسم الذى تعرجان به إلى السماء وتهبطان .

فأبيا .

ثم سألاها أيضا .

فأبت .

ففعلا .

فلما استطيرت طمسها الله كوكبا وقطع أجنحتها .

ثم سألا التوبة من ربهما فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة .

فأوحى الله إليهما :

أن ائتيا بابل - بلد من بلاد العراق - .

فانطلقا إلى بابل ، فخسف بهما .

فهما منكوسان بين السماء والأرض ، معذبان إلى يوم القيامة .

ثم ذكر أيضا رواية أخرى مرفوعة عن النبى ﷺ - لا تخرج فى معناها عما ذكرنا :

ولا ينبغى أن يشك مسلم عاقل - فضلا عن طالب حديث فى أن هذا موضوع عن النبى ﷺ مهما بلغت أسانيده من الثبوت ، فما بالك إذا كانت - **أسانيدها واهية ساقطة ولا تخلو من وضاع أو ضعيف أو مجهول ؟ ونص على وضعه أئمة الحديث .**

وقد حكم بوضع هذه القصة الإمام أبو الفرج بن الجوزى ، ونص الشهاب العراقى على أن من اعتقد فى هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما : فهو كافر بالله العظيم .

وقال الإمام القاضى عياش فى الشفا :

وما ذكره أهل الأخبار ، ونقله المفسرون **فى قصة هاروت وماروت ، لم يرد فيه شىء لا سقيم - ضعيف - ولا صحيح عن رسول الله ﷺ** ، **وليس هو شيئا يؤخذ** بالقياس وكذلك حكم بوضع المرفوع من هذه القصة الحافظ عماد الدين بن كثير ، **وأما ما ليس مرفوعا** فبين أن منشأه **روايات إسرائيلية** أخذت عن **كعب الأحبار وغيره ،** ألصقها زنادقة أهل الكتاب بالإسلام .

قال ابن كثير فى تفسيره بعد أن تكلم عن الأحاديث الواردة فى هاروت وماروت :

وأن روايات الرفع غريبة جدا : وأقرب ما يكون فى ذلك أنه من رواية عبد الله بن عمر عن **كعب الأحبار** ، كما قال عبد الرزاق فى تفسيره عن الثورى عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله عن كعب الأحبار ، **ورفع مثل هذه الإسرائيليات إلى النبى ﷺ كذب واختلاق ألصقه زنادقة أهل الكتاب زورا وبهتانا .**

وذكر مثل ذلك فى البداية والنهاية (ج ١ صفحة ٣٧) .

وأقول :

وهذا الذى قاله العلامة ابن كثير **هو الحق الذى لا ينبغى أن يقال غيره .**

فالملائكة معصومون عن مثل هذه الكبائر التى لا تصدر إلا من عربيد ، وقد أخبر العليم الخبير أنهم: ﴿ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة التحريم الآية : ٦] .

فكيف تقبل عقول هذا ؟

إن الله ﷻ قال لهما :

- لو ابتليتكما بما ابتليت بنى آدم لعصيتمانى .

فقالا :

- لو فعلت بنا يارب ما عصيناك .

ورد كلام الله كفر ، تنزه عنه من له علم بالله تبارك وتعالى وصفته ، فضلا عن ملائكته ثم كيف ترفع الفاجرة إلى السماء وتصبح نجما مضيئا ؟

وما النجم الذى يزعم السفهاء أنه الزهرة وزعموا أنه كان امرأة فمسخت إلا فى مكانه منذ أن خلق الله السماوات والأرض .

وهذه الخرافات التى لا يشهد لها نقل صحيح ولا عقل سليم هى كذلك مخالفة لما صار عند العلماء المحدثين أمرًا يقينا .

التفسير الصحيح لقول الحق جل وعلا ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ :

ليس من شأنى فى هذا الكتاب مجرد الهدم وتكذيب هذه الإسرائيليات والخرافات فحسب ، ولكن أريد أن أفسر بعض الآيات التى حرفت عن مواضعها تفسيرا علميا صحيحا يشهد لها النقل الصحيح والعقل السليم ، والسابق واللاحق من الآيات حتى يزداد القارئ يقينا أنها دخيلة على القرآن العظيم .

وهذا هو التفسير الصحيح للآية .

إن الشياطين فى ذلك الزمن السحيق كانوا يسترقون السمع من السماء ، ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها إلى كهنة اليهود وأحبارهم ، وقد دونها هؤلاء فى كتب يقرأونها ويعلمونها الناس ففشا - انتشر - ذلك فى زمن سليمان بن داود عليهما السلام حتى قالوا :

- هذا علم سليمان ، وما تم لسيلمان ملكه إلا بهذا العلم ، وبه يسخر الجن والإنس والريح التى تجرى بأمره .

وهذا من افتراءات اليهود على الأنبياء ، فأكذبهم الله ﷻ بقوله: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٠٢].

ثم عطف عليه ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ .

فالمراد بما أنزل هو : علم السحر الذى نزلا ليعلماه الناس حتى يحذروا منه .

فالسبب فى نزولهما هو : **تعليم الناس أبوابا من السحر** حتى يعلم الناس الفرق **بين السحر والنبوة** ، وأن سليمان عليه السلام **لم يكن** ساحرا ، وإنما كان نبيا مرسلا **من ربه** .

وقد احتاط الملكان عليهما السلام غاية **الاحتياط** فما كانا يعلمان أحدا شيئا من السحر حتى يحذراه ويقولان له :

- إنما نحن فتنة - أى بلاء واختبار - **فلا تكفر** بتعلمه والعمل به .

وأما من تعلمه للحذر منه ، **وليعلم الفرق بين السحر** وبين النبوة والمعجزة **فهذا لا شئ فيه ، بل هو أمر** مطلوب مرغوب **فيه إذا دعت الضرورة إليه** .

ولكن الناس ما كانوا يأخذون بالنصيحة ، بل كانوا يفرقون به بين المرء وزوجه وذلك بإذن الله ومشيئته .

وقد دلت الآية على أن **تعلم السحر لتحذير الناس من الوقوع فى السحر والعمل به مباح ولا إثم فيه** .

وأيضا تعلمه لإزالة الاشتباه بينه وبين المعجزة والنبوة مباح ولا إثم فيه .

وإنما الحرام والإثم تعلمه أو تعليمه للعمل به .

فهو مثل ما قال :

عرفت الشر لا للشر ::: لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من ::: الناس يقع فيه

واليهود السفهاء لما جاءهم خاتم النبيين ﷺ وكانوا يعلمون أنه النبى الذى بشرت به التوراة حتى أنهم كانوا يستفتحون على المشركين قبل ميلاده وبعثه ﷺ ، فلما جاءهم ما **عرفوا كفروا به** ، ونبذوا **كتابهم التوراة وكتاب الله القرآن وراء ظهورهم** ، **وبدلا من أن يتبعوا** الحق المبين اتبعوا السحر **الذى توارثوه** عن آبائهم والذى علمتهم إياه **الشياطين** .

وكان الواجب عليهم أن ينبذوا السحر ويحذوا الناس من شره ، وذلك كما فعل الملكان هاروت وماروت من تحذير الناس من شروره والعمل به .

وهذا هو التفسير الصحيح للآية .

لا ما زعمه السفهاء المبطلون الخرفون فلا أدرى ما الصلة بين ما رووه من إسرائيليات وبين قوله : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٠٢] .

فالتفسير الصحيح للآية الذى يجعل التناسق بين الآيات وتكون الآية متآخية متعانقة .

وعلى القارئ أن يحذر من هذه الإسرائيليات سواء وجدها فى كتب التفسير أو الحديث أو التاريخ أو المواعظ أو الأدب أو . . أو . .

إسرائيليات فى الممسوخ من المخلوقات :

يوغل بعض زنادقة أهل الكتاب فيضعون على النبى الخاتم ﷺ خرافات فى خلق بعض أنواع الحيوانات التى زعموا أنها مسخت ولو أن هذه الخرافات نسبت إلى كعب الأحبار - كان يهودياً وأسلم فى عهد عمر بن الخطاب - وأمثاله أو بعض الصحابة والتابعين لهان الأمر ، ولكن عظم الإثم أن ينسب ذلك إلى الصادق المصدوق ﷺ وهذا اللون من الوضع والدس من أخبث وأقذر أنواع الكيد للإسلام ونبى الإسلام ﷺ .

أخرج الزبير بن بكار فى الموفقيات ، وابن مردويه والديلمى عن على :

أن النبى ﷺ سئل عن المسوخ - جمع مسخ أى الممسوخ إلى حالة أخرى - فقال :

هم ثلاثة عشر : الفيل والدب ، والخنزير والقرد ، والجريث - كسكيت سمك - والضب والوطواط والعقرب ، والدعموص والعنكبوت ، والأرنب وسهيل ، والزهرة .

فقيل :

- يا رسول الله ، ما سبب مسخهن ؟

وإليك التخريف والكذب الذى نبرئ ساحة الصادق المصدوق ﷺ منهما -

فقال :

أما الفيل : فكان رجلا جباراً لوطيا لا يدع رطبا ولا يابسا .

وأما الدب : فكان مؤنثا يدعو الناس إلى نفسه .

وأما الخنزير : فكان من النصارى الذين سألوا المائدة ، فلما نزلت كفروا .

وأما القردة : فيهود اعتدوا فى السبت .

واما الجريث : فكان ديوثا - الذى لا يغار على زوجته وأهل بيته - يدعو الرجال إلى حليلته .

وأما الضب : فكان أعرابيا يسرق الحاج بمحجنه .

وأما الوطواط : فكان رجلا يسرق الثمار من رءوس النخل .

وأما العقرب : فكان رجلا لا يسلم أحد من لسانه .

وأما الدعموص - بضم الدال دويبة أو دودة سوداء تكون فى الغدران إذا أخذ ماؤها فى النضوب - : فكان نماما يفرق بين الأحبة .

وأما العنكبوت : امرأة سحرها زوجها .

وأما الأرنب : فامرأة كانت لا تطهر من حيضها .

وأما سُهيل : فكان عشارا - يأخذ العشر على ما كان يأخذه أهل الجاهلية مقيما على دينه ، وفى الحديث : إن لقيتم عاشرا فاقتلوه - باليمن .

وأما الزهرة : فكانت بنتا لبعض ملوك بنى إسرائيل افتتن بها هاروت وماروت .

ألا قبَّح الله من وضع هذا الزور والباطل ونسبه إلى الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ .

ومن الإسرائيليات :

عن عمر بن الخطاب : جاء جبريل إلى النبى ﷺ فى غير حينه ثم ذكر قصة طويلة فى وصف النار ، وأن عليه الصلاة والسلام بكي وجبريل يبكي حتى نوديا :

- لا تخاف إن الله أمنكما أن تعصياه (الدر المنثور ج١ ، صفحة ١٠٢ ، ١٠٣)

وأغلب الظن أنه من الإسرائيليات التى دست فى الراوية الإسلامية

الإسرائيليات في بناء الكعبة :

أكثر السيوطي فى تفسيره الدر المنثور عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٢٧] من النقل عن الأرزقي وأمثاله من المؤرخين والمفسرين الذين هم كحاطبي ليل ولا يميزون بين الغث والسمين والمقبول والمردود فى بناء البيت الحرام ، ومن بناه قبل إبراهيم: أهم الملائكة أم آدم عليه السلام؟ والحجر الأسود: ومن جاء به ومن أين جاء ما ورد فى فضلهما .

وقد استغرق فى هذا النقل الذى معظمه من الإسرائيليات التى أخذت عن أهل الكتاب ولو أنه اقتصر على الرواية الصحيحة التى رواها البخاري فى صحيحه - كتاب أحاديث الأنبياء باب - واتخذ الله إبراهيم خليلا - ورواها غيره من العلماء الأثبات لأراحنا وأراح نفسه ولما أفسد العقول وسمم النفوس بكل هذه الإسرائيليات التى نحن فى غني عنها .

أما ابن جرير فكان مقتصدا فى الإكثار من ذكر الإسرائيليات فى هذا الموضوع ، وإن كان لم يسلم منها ، وذكر بعضها .

وذلك مثل ما رواه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:

لما أهبط آدم من الجنة قال:

إني مهبط معك بيتا يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ، ويصلي عنده ، كما يصلى عند عرشي فلما كان زمن الطرفان رفع فكانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه - كيف يحجون ولا يعلمون مكانه؟- حتى بوأه الله إبراهيم عليه السلام وأعلمه مكانه ، فبناه من خمسة أجبل: من حمراء وثبير ولبنان وجبل الطور وجبل الخمر .

وأعجب من ذلك ما رواه بسنده عن عطاء بن أبى رباح قال:

لما أهبط آدم من الجنة: كان رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء - كيف ذلك؟- يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم ، يأنس إليهم فهابته الملائكة حتى شكت إلى الله فى

دعائها وفي صلاتها ، فوجه إلى مكة ، فكان موضع قدمه قرية ، وخطوه مفازة حتى انتهى إلى مكة ، وأنزل الله ياقوته من ياقوت الجنة ، فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطوف به ، حتى أنزل الله الطوفان فرفعت تلك الياقوتة ، حتى بعث الله إبراهيم فبناه ، فذ لك قولك قول الله تعالى ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ [سورة الحج الآية ٢٦] .

إلى غير ذلك مما مرجعه إلى أخبار بنى إسرائيل وخرافاتهم .

ولم يصح فى ذلك خبر عن الصادق المصدوق المعصوم ﷺ .

وقد بين لنا الإمام الحافظ ابن كثير منشأ معظم هذه الروايات التى هى من وضع بنى إسرائيل ودس زنادقتهم ، فقد قال فيما رواه البيهقى فى الدلائل من طرق عن عبدالله ابن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ .

بعث الله جبريل إلى آدم فأمره ببناء البيت ، فبناه آدم ، ثم أمره بالطواف به

وقال له :

أنت أول الناس ، وهنا أول بيت وضع للناس

قال ابن كثير:

إنه من مفردات ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، والأشبه - والله أعلم - أن يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص ، يكون من الزاملتين - الزاملة : البعير الذى يحمل عليه المتاع - اللتين أصابهما يوم اليوموك من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث بما فيهما

وقال فى بدايته :

ولم يجئ فى خبر صحيح عن المعصوم ﷺ :

أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام ، ومن تمسك فى هذا بقوله : مكان البيت .

فليس بناهض ولا ظاهر ، لأن مراده : مكانه المقدر فى علم الله تعالى ، المقرر فى قدرته المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم .

الإسرائيليات في قصة التابوت:

ومن الإسرائيليات التى التبس فيها الحق بالباطل ما ذكره أكثر المفسرين فى تفاسيرهم فى قصة طالوت ، وتنصيبه ملكا على بنى إسرائيل واعتراض بنى إسرائيل عليه ، وإخبار نبيهم لهم بالآية الدالة على مكة وهو التابوت ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة البقرة الأية ٢٤٨].

فقد ذكر ابن جرير ، والثعلبي ، والبغوى ، والقرطبي ، وابن كثير ، والسيوطى فى الدر المنثور ، وغيرهم فى تفاسيرهم كثيرا من الأخبار عن الصحابة والتابعين وعن وهب بن منبه ، وغيره من مسلمة أهل الكتاب فى وصف التابوت ، وكيف جاء ، وعلام يشتمل؟ وعن السكنية وكيف صفتها؟

فقد ذكروا فى شأن التابوت:

أنه من خشب الشمشاد ، نحوا من ثلاثة أذرع فى ذراعين ، وكان عند آدم إلى أن مات ، ثم عند شيث ثم توارثه أولاده إلى إبراهيم ، ثم كان عند إسماعيل ، ثم يعقوب ، ثم كان فى بنى إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام ، فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه ، فكان عنده إلى أن مات ، ثم تداوله أنبياء بنى إسرائيل إلى وقت شمويل ، وكان عندهم حتى عصوا ، فغلبوا عليه - غلبهم عليه العمالقة-

وهذا الكلام وإن كان محتملا للصدق والكذب ، لكننا فى غني عنه ولا يتوقف تفسير الآية عليه وقال بعضهم:

إن التابوت إنما كان فى بنى إسرائيل ، ولم يكن من عهد آدم عليه السلام ، وأنه صندوق كان يحفظ فيه موسى عليه السلام التوراة - ولعل هذا أقرب إلى الحق والصواب:

وكذلك أكثروا من النقل فى السكنية

فروى عن على بن أبى طالب:

هى ريح فجوج - شديدة المرور فى غير استواء - لها رأسان ووجه كوجه الانسان

- كيف يكون للريح رأسان ووجه كوجه الإنسان؟

وقال مجاهد :

حيوان كالهر لها جناحان وذنب ، ولعينيه شعاع إذا نظر إلى الجيش انهزم .

وقال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه :

السكينة : رأس هرة ميتة ، إذا صرخت فى التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر .

وهذا من خرافات بنى إسرائيل وأباطيلهم

وعن وهب بن منبه أيضا قال :

السكينة : روح من الله تتكلم ، إذا اختلفوا فى شىء تتكلم فتخبرهم ببيان ما يريدون وعن ابن عباس قال :

السكينة : طست من ذهب ، كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء ، وأعطاه الله موسى عليه السلام .

والحق أنه ليس فى القرآن الكريم ما يدل على شىء من ذلك ، ولا فيما صح عن الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ .

وإنما هذه من أخبار بنى إسرائيل التى نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين ومرجعها إلى وهب بن منبة ، وكعب الأحبار وأمثالهما

التفسير الصحيح السكينة :

المراد بالسكينة : الطمأنينة ، والسكون الذى يحل بالقلب ، عند تقديم التابوت أمام الجيش ، فهي من أسباب السكون ، والطمأنينة ، وبذلك تقوى نفوسهم ، وتشتد معنوياتهم فيكون ذلك من أسباب النصر فهو مثل قوله تعالى: ﴿ **فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ** ﴾ [سورة التوبة الآية ٤٠] .

أى طمأنينة ، وما ثبت به قلبه .

ومثل قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ** ﴾ [سورة الفتح الآية : ٤] .

فالمراد السكينة طمأنينة القلوب وثبات النفوس

ومن أحسن ما قيل ما ذكره ابن عطية حيث قال:

والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم ، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك ، وتأنس به ، وتقوي (تفسير القرطبي ج٣ ص ٢٤٩) .

مجيء التابوت:

ذكر المفسرون فى مجيء التابوت أقوالا متضاربة ، يرد بعضها بعضا ، مما يدل على أن مرجعه إلى أكاذيب وأخبار بنى إسرائيل وابتداعهم ، وأنه ليس نقل يعتمد به .

قال ابن عباس:

جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي = أمام - طالوت ، والناس ينظرون .

وقال السدى:

أصبح التابوت فى دار طالوت فآمنوا بنبوة شمعون وأطاعوا طالوت .

وقال الحسن:

كان التابوت مع الملائكة فى السماء - هذا مع أن بنى إسرائيل رووا كما سلف أنهم لما عصوا وأفسدوا غلبهم عليه العمالقة - فلما ولى طالوت الملك حملته الملائكة ، ووضعوه بينهم .

وقال قتادة:

بل كان التابون فى التيه ، خلفه موسى عند يوشع بن نون ، فبقي هناك حتى حملته الملائكة ، ووضعته فى دار طالوت ، فأقروا بملكه .

البقية مما ترك آل موسى وآل هارون:

كذلك اختلفوا فى البقية مما ترك آل موسى وآل هارون وكانت محفوظة فى التابوت .

قال عبد الله بن عباس:

عصاه - أي موسى - ورضاض - فتات الألواح وما تهشم منها - الألواح ، لأنها انكسرت لما ألقاها موسى عليه السلام حين عاد ووجدهم يعبدون العجل .

وقاله قتاده ، والسدى ، والربيع بن أنس ، وعكرمة .

وقال أبو صالح :

عصا موسى ، وعصا هارون ، ولوحين من التوراة وقفيز من المن الذى كان ينزل على بنى إسرائيل فى التيه .

وقيل :

عصا موسى ، ونعلاه ، وعصا هارون ، وعمامته ، وثياب موسى ، وثياب هارون ، ورضاض الألواح إلى غير ذلك .

الإسرائيليات في قصة قتل داود جالوت :

ومن الإسرائيليات ما ذكره المفسرون أن داود كان جنديا صغيرا فى جيش طالوت فقتل جالوت الملك الجبار ﴿ **فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٥٠] .

ذكر الثعلبي والبغوى والخازن وصاحب الدر المنثور و غيرهم فى تفاسيرهم ما خلاصته :

أنه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت - ملك بنى إسرائيل - إيشا : أبو داود فى ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم ، وكان يرمي بالقذافة - شىء يقذف به كالمقلاع فلا يخطئ هدفه - فلا يخطئ ، وأنه ذكر لأبيه أمر قاذفته تلك ، وأنه دخل بين الجبال فوجد أسدا فأخذ بأذنيه فلم يهجه ، وأنه مشى بين الجبال فسبح ، فما بقى جبل حتى سبح معه .

فقال له أبوه :

- أبشر فإن هذا خبر أعطاك الله تعالى إياه .

فأرسل جالوت إلى طالوت :

أن أبرز لى ، أو أبرز إلى من يقاتلني ، فإن قتلني فلكم ملكي ، وإن قتلته فلي ملككم .

فشق ذلك على طالوت فنادى فى عسكره :

- من قتل جالوت زوجته ابنتي ، وناصفته ملكى .

فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد .

فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله تعالى ، فدعا الله فى ذلك .

فأتي بقرن فيه دهن القدس ، وتنور من حديد فقيل :

إن صاحبكم الذى يقتل جالوت هو الذى يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه ، بل يكون على رأسه كالإكليل - ما يلبسه الملوك على رؤوسهم - ويدخل هذا التنور فيملؤه ، ولا يتقلقل فيه .

فدعا طالوت بنى إسرائيل فجربهم ، فلم يوافقه منهم أحد ، فأوحي الله إلى نبيهم :

- إن فى ولد إيشا من يقتل الله به جالوت .

فدعنا طالوت إيشا وقال له :

- أعرض هذا على بنيك .

فأخرج له اثنى عشر رجلا أمثال السواري - جمع سارية وهي العمود ، أى أنهم كالعمد الطويلة - .

فجعل يعرضهم على القرن ، فلا يرى شيئا

فقال لإيشا .

- هل بقى لك ولد غيرهم ؟

قال إيشا :

- لا .

فقال نبى هذا الزمان :

- يارب : إنه زعم أن ولداً له غيره

فقال الله عز وجل :

- كذب .

فقال هذا النبى لإيشا :

- إن الله كذبك .

فقال إيشا :

- صدق الله ، يا نبي الله ، إن لى ابنا صغيرا يقال له داود ، واستحييت أن يراه الناس لقصر قامته ، مسقاما - السقم: المرض - مصفارًا أزرق أمعر - قليل الشعر أو نحيف الجسم .

وهذا من أكاذيب بنى إسرائيل ورميهم الأنبياء بأبشع الصفات فقاتلهم الله أني يؤفكون ، وماكان لأبيه أن ينتقصه ويصفه بهذه الصفات والأوصاف .

فدعاه طالوت .

ويقال :

بل خرج إليه ، فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزريبة التى كان يريح إليها ، فوجده ، يحمل شاتين يجيز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء .

فلما رآه قال :

- هذا هو لا شك فيه ، هذا يرحم البهائم ، فهو بالناس أرحم .

فدعاه ، ووضع القرن على رأسه ، ففاض - يعني من غير أن يسيل على وجهه - فقال طالوت :

- وهل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي ، وأجري خاتمك فى ملكي؟

قال داود :

- نعم .

قال طالوت :

- وهل أنست من نفسك شيئا تتقوى به على قتله؟

قال داود :

- نعم .

وذكر بعض ذلك .

فأخذ طالوت داود ، ورده إلى عسكره ، وفي الطريق مر داود بحجر فناداه :

- يا داود : احملني فإنى حجر هارون الذى قتل به ملك كذا .

فحمله فى مخلاته .

ثم مر بآخر فناداه قائلا :

إني حجر موسى الذى قتل به ملك كذا .

فأخذه فى مخلاته .

ثم مر بحجر ثالث فناداه قائلا له :

- احملني ، فإنى حجرك الذى تقتل بى جالوت .

فوضعه فى مخلاته .

فلما تصافا للقتال ، وبرز جالوت وسأل المبارزة ، انتدب له داود ، فأعطاه طالوت فرسا ودرعا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس ، وسار قريبا ، ثم لم يلبث أن نزع ذلك وقال لطالوت :

- إن لم ينصرني الله لم يغن عنى هذا السلاح شيئا ، فدعني أقاتل جالوت كما أريد .

قال طالوت :

- فافعل ما شئت .

قال داود :

- نعم .

فأخذ داود مخلاته فتقلدها ، ومضي نحو جالوت ، وكان جالوت من أشد الرجال ، وأقواهم ، وكان يهزم جيشا وحده ، وكان له بيضة فيها ثلاثمائة رطل حديد - البيضة : ما يلبسه المحارب على رأسه ، وهذا من أكاذيب بنى إسرائيل وتخريفهم **فكيف يحارب جالوت وعلي رأسه جبل من حديد ، ولا شك أن هذه خرافة** - ، فلما نظر إلى داود ألقي الله فى قلبه الرعب ، وبعد مقاولة بينهما وتوعد كل منهما الآخر ، أخرج داود حجرا من مخلاته ووضعه فى مقلاعه ، ثم أخرج الثالث وقال :

- باسم إله يعقوب .

ووضعه فى مقلاعه ، فصارت كلها حجرا واحدا .

ودور داود المقلاع ورمي به ، فسخر الله له الريح حتى أصاب أنف البيضة فخلص إلى دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا - **هل هذا يُصدقه عقل؟** .

وهزم الله تعالى الجيش ، وخر جالوت قتيلا ، فأخذ داود يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت .

ففرح جيش طالوت فرحـا شديدا ، وانصرفـوا إلى مدينتهـم سالميـن ، والنـاس يذكرون بالخير داود .

فجاء داود طالوت وقال له :

- أنجزلي ما وعدتنى .

فتساءل طالوت :

- وأين الصداق؟

قال داود :

- ما شرطت على صداقا غير قتل جالوت .

ثم اقترح عليه طالوت أن يقتل مائتي رجل من أعدائهم ويأتيه بغلفهم - الغلفة :

الصفحة غير

موجودة من

الأصل

الصفحة غير

موجودة من

الأصل

الصفحة غير
موجودة من
الأصل

الصفحة غير

موجودة من

الأصل

البقرة الآية : ٣٧] .

فقال :

إن الله أهبط آدم بالهند وحواء بجدة وإبليس والحية بإصبهان وكان للحية قوائم كقوائم البعير ، ومكث آدم بالهند مائة سنة باكياً على خطيئته حتى بعث الله إليه جبريل وقال :

يا آدم : ألم أخلقك بيدي ؟ ألم أنفخ فيك من روحي؟ ألم أسجد لك ملائكتي؟

ألم أزوجك حواء أمتي؟

قال آدم عليه السلام :

- بلى

قال :

- فما هذا البكاء؟

قال آدم عليه السلام :

- وما يمنعني من البكاء وقد أخرجت من جوار الرحمن؟

قال :

- فعليك بهذه الكلمات ، فإن الله قابل توبتك وغافر ذنبك ، قل :

اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد ، سبحانك لا إله إلا أنت ، عملت سوءًا وظلمت نفسى ، فتب على ، إنك أنت التواب الرحيم

فهؤلاء الكلمات التى تلقي آدم .

ولا أدري ما دام سنده واهيا لم ذكره ؟؟؟

ومثل هذا عليه أمارات الوضع والإختلاق

ويسترسل السيوطي فى الدر المنثور فيذكر عن ابن عباس أنه سأل النبى ﷺ عن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه .

قال :

سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت على

ومثل هذا لا يشك طالب حديث فى اختلاقه وأنه من وضع الشيعة واختلاقهم

ثم يسترسل فى الرواية فيذكر :

إن آدم عليه السلام لما أهبط كان مسودا جسمه ثم ابيض جسده ، بصيامه ثلاثة أيام ولذلك سميت بالأيام البيض .

وأنه عليه السلام كان يشرب من السحاب .

بل روى عن كعب الأحبار :

أنه أول من ضرب الدينار والدرهم .

إلى غير ذلك مما لا يخرج عن كونه من الإسرائيليات .

التفسير الصحيح للكلمات التي تلقاها من ربه :

والصحيح فى الكلمات هى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

ما نسب إلي آدم عليه السلام من قول الشعر :

ومن الإسرائيليات ما رواه ابن جرير فى تفسيره ، وما ذكره السيوطي فى الدر المنثور:

من أن آدم عليه السلام لما قتل ابنه قابيل أخاه هابيل مكث مائة عام لا يضحك حزنا عليه ، فأتي على رأس المائة فقيل له :

- حياك الله وبياك .

وبشر بغلام ، فعند ذلك ضحك .

وكذلك ما ذكره من أن آدم عليه السلام رثي ابنه - هابيل - بشعر .

روى ابن جرير عن على بن طالب قال:

- لما قتل ابن آدم أخاه بكي آدم فقال :

تغـــيرت الـــبلاد ومـــن علـــيها : فوجـــه الارض مغـــبر قبـــيح
تغيـــر كـــل ذي لـــون وطعم ::: وقـــل بشاشـــة الوجه المليـــح

قال السيوطى :

وأخرج الخطيب وابن عساكر عن ابن عباس قال :

لما قتل ابن آدم أخاه قال آدم عليه السلام :

تغـــيرت الـــبلاد ومـــن علـــيها ::: فوجـــه الأرض مغـــبر قبـــيح
تغيـــر كـــل ذي لـــون وطعم ::: وقـــل بشاشـــة الوجه المليـــح

فأجابه إبليس عليه اللعنة :

تـــنح عـــن الـــبلاد وســـاكنيها ::: فـــبى فى الخلـــد ضـــاق بـــك الفســـيح
وكنـــت بهـــا وزوجـــك فى رخـــاء ::: وقلـــبك مـــن أذي الدنـــيا مـــريح
فما انفكـــت مكايدتـــي ومكـــري ::: إلى أن فاتـــك الثمـــن الربيـــح

وقد طعن فى نسبة هذه الأشعار إلى آدم عليه السلام فهو شعر منحول مختلق

وقال الزمخشرى :

روى أن آدم مكث بعد قتل ابنه مائة سنه لا يضحك ، وأنه رثاه بشعر ، وهو كذب بحت ، وما الشعر إلامنحول ملحون .

وقد صدق الزمخشري ، وقد صح أن الانبياء معصومون من الشعر ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة يس الآية : ٦٩] .

وقال الإمام الألوسي فى تفسيره وروي عن ميمون بن مهران عن ابن عباس أنه قال :

- من قال : آدم عليه السلام قد قال الشعر فقد كذب ، إن محمداً ﷺ والأنبياء كلهم فى النهى عن الشعر سواء .

الإسرائيليات في عظم خلق الجبارين :

من الإسرائيليات التى اشتملت عليها كتب التفسير ما ذكره بعض المفسرين عنا

تفسير قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا ﴾ [سورة المائدة الآية: ٢٢].

وقد ذكر السيوطي فى الدر المنثور كثيرا من الروايات فى صفة هؤلاء القوم وعظم أجسادهم مما لا يتفق مع سنة الله فى خلقه ويخالف ما ثبت فى الأحاديث الصحيحة وذلك مثل ما أخرجه ابن عبد الحكم عن أبى ضرة قال:

استظل سبعون رجلا من قوم موسى فى خف رجل من العماليق

ومثل ما أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان عن يزيد بن أسلم قال:

بلغني أنه رؤيت ضبع وأولادها رابضة فى فجاج عين رجل من العماليق.

ومثل ما رواه ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال:

أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين، فسار بمن معه، حتى نزل قريبا من مدينة أريحا، فبعث إليهم اثنى عشر نقيبا، ومن كل سبط منهم عين، ليأتوه بخبر القوم، فدخلوا المدينة فرأوا أمرًا عظيما من هيبتهم وجسمهم وعظمهم، فدخلوا حائطا - بستانا - لبعضهم، فجاء صاحب البستان ليجني الثمار فنظر إلى آثارهم فتبعهم فكلما أصاب واحدا منهم أخذه فجعله فى كمه مع الفاكهة وذهب إلى ملكهم فنثرهم بين يديه فقال الملك:

- قد رأيتم شأننا وأمرنا اذهبوا فأخبروا صاحبكم.

فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوه من أمرهم.

فقال:

- اكتموا عنا.

فجعل الرجل يخبر أخاه وصديقه ويقول:

- اكتم عنى.

فأشيع فى عسكرهم، ولم يكتم منهم إلا رجلان: يوشع بن نون، وكالب بن قنا - يوحنا - وهما اللذان أنزل الله فيهما: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ

عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية: ٢٣].

ويروي ابن جرير بسنده عن مجاهد :

أن عنقود عنبهم لا يحمله إلاخمسة أنفس بينهم فى خشبة ، ويدخل فى شطر الرمانة إذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة .

إلى غير ذلك من الإسرائيليات الباطلة

خرافة عوج بن عوق :

ومن الإسرائيليات الظاهرة الباطلة التى ولع بذكرها بعض المفسرين والإخباريين عند ذكر الجبارين قصة عوج بن عوق ، **أنه كان طوله ثلاثة آلف ذراع وأنه كان يمسك الحوت فيشويه فى عين الشمس ، وأن طوفان نوح عليه السلام لم يصل إلى ركبتيه ،** وأنه امتنع عن ركوب السفينة مع نوح عليه السلام ، وأن موسى كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع ووثب فى الهواء عشرة أذرع فأصاب كعب عوج بن عوق فقتله فكان جسرًا لأهل النيل سنة إلى نحو ذلك من الخرافات والأباطيل التى تصادم العقل والنقل ، وتخالف سنن الله فى الخليقة .

ولا أدري كيف يتفق هذا الباطل هو وقول الله تعالى ﴿ **وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ** ﴾ [سورة هود الآية ٤٢ - ٤٣].

اللهم إلا كان عوج بن عوق أطول من جبال الأرض ؟؟؟

ومن تلك الروايات المخترعة ما رواه ابن جرير بسنده عن أسباط عن السدى فى قصة ذكرها من أمر موسى وبني إسرائيل وبعث موسى النقباء الاثني عشر وفيها :

فلقيهم رجل من الجبارين يقال : عوج بن عوق ، فأخذ الاثني عشر فجعلهم فى حجزته - الحجزة: موضع التكة من السروال - وعلي رأسه حملة حطب وانطلق بهم إلى امرأته فقال :

- أنظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا .

فطرحهم بين يديها وقال :

- ألا أطحنهم برجلي؟

فقالت امرأته :

- بل خل عنهم ، حتى يخبروا قومهم بما رأوا

وذكروا أن هذا الرجل كان كافرا ، وأنه كان ولد زنية ، وأنه امتنع عن ركوب سفينة نوح وأن الطوفات لم يصل إلى ركبتيه .

وهذا افتراء ، فإذا كان ابن نوح - كنعان - قد غرق فكيف يبقى عوج بن عوق؟

الإسرائيليات في قصة التيه :

من هذه الأخبار العجيبة التى رويت فى قصة التيه ما رواه ابن جرير بسنده عن الربيع بن أنس قال :

لما قال لهم القوم ما قالوا ، ودعاموسي عليهم ، أوحي الله إلى موسى :

﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٢٦] .

وهم يومئذ ستمائة ألف مقاتل ، فجعلهم فاسقين بما عصوا ، فلبثوا أربعين سنة فى فراسخ ستة ، أو دون ذلك يسيرون كل يوم جادين لكي يخرجوا منها حتى يمسوا ، وينزلوا فإذا هم فى الدار التى ارتحلوا منها ، وأنهم اشتكوا إلى موسى ما فعل بهم .

فأنزل عليهم المن والسلوى - المن شيء كالعسل كان ينزل على الشجر من السماء فيأخذه بنو إسرائيل ويأكلونه والسلوى: طير كالسمان - وأعطوا الكسوة ما هى قائمة لهم ، ينشأ الناشئ فتكون معه على هيئته

وسأل موسى ربه أن يسقيهم ، فأتي بحجر الطور ، وهو حجر أبيض إذا ما أنزل القوم ضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين ، قد علم كل أناس مشربهم

وكذلك روى أن ثيابهم ما كانت تبلي ولا تتسخ .

وكذلك نقل بعض المفسرين كالزمخشري وغيره :

بأنهم كانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا .

وكذلك ذكروا أن الحجر كان من الجنة ولم يكن حجرا أرضيا .

ومنهم من قال :

كان على هيئة رأس شاة .

وقيل :

كان طوله عشرة أذرع وله شعبتان تتقدان فى الظلام .

إلى غير ذلك من تزيدات بنى إسرئيل .

وليس فى القرآن ما يدل على هذا الذى ذكروه فى وصف الحجر .

الإسرائيليات في المائدة التي طلبها الحواريون :

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة المائدة الآية ١١٢- ١١٥] .

وقد اختلف العلماء فى المائدة

أنزلت أم لا ؟ وجمهور العلماء سلفا وخلفا اتفق على نزولها وهذا ظاهر القرآن فقد وعد الله ووعده محقق لا محالة .

وذهب الحسن البصري ، ومجاهد إلى أنها لم تنزل لأن الله عز وجل لما توعدهم على كفرهم بعد نزولها بالعذاب البالغ غاية الحد خافوا أن يكفر بعضهم فاستغفروا وقالوا :

- لا نريدها تنزل

ولا أدري ما الحامل لهم على هذا؟

وقد أحيطت المائدة بأخبار كثيرة أغلب الظن أنها من الإسرائيليات رويت عن وهب بن منبه ، كعب الآحبار ، وسلمان الفارسي ، وابن عباس ، ومقاتل والكلبي وعطاء بن أبي رباح وغيرهم بل رووا فى ذلك حديثا عن عمار بن ياسر عن النبى ﷺ أنه قال :

- أنها نزلت خبزا ولحما وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد

وفي رواية : بزيادة ولا يخبئوا فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير .

ورفع مثل هذا إلى إمام الخير ﷺ غلط ووهم من أحد الرواة - على ما أرجح أنه ابن جرير رواه في تفسير مرفوعا وموقوفا ، ولا نعرف للحديث المرفوع أصلا - .

وقد اختلفت المرويات فى هذا .

فقد روى العوفي عن ابن عباس : أنها خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاءوا .

وقال عكرمة عن ابن عباس : كانت المائدة سمكة وأريغفة - التصغير للتقليل هنا - .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : أنزل على المائدة كل شئ إلا الخبز واللحم

وقال وهب بن منبه : أنزلها من السماء على بنى إسرائيل فكان ينزل عليهم فى كل يوم تلك المائدة من ثمار الجنة فأكلوا ما شاءوا من ضروب شتى ، وكان يقعد عليها أربعة آلاف ، وإذا أكلوا أنزل الله مكان ذلك لمثلهم فلبثوا على ذلك ما شاء الله .

وقال وهب بن منبه أيضا : نزل عليهم أقرصة من شعير وأحوات - جميع حوت ، الحوت : السمك - وحشا الله بين أضعافهن البركة ، فكان كل قوم يأكلون ثم يخرجون ثم يجئ آخرون فيأكلون ثم يخرجون ، حتى أكل جميعهم ، وأفضلوا .

وهكذا لم يتفق الرواة على شىء مما يدل على أنها إسرائيليات مبتدعة ، وليس مرجعها إلى الصادق المصدوق المعصوم ﷺ .

والحق أبلج ، والباطل لجلج لا يتفق عليه غالبا .

التفسير الصحيح:

ولأجل أن تكون على بينة من أن تفسير الآيات والانتفاع بها والاهتداء بهديها ليس متوقفا على ما رووا من أخبار وقصص تفسر الآيات :

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ إذ: ظرف لما مضي من الزمان ، وهو مفعول لفعل محذوف .

والتقرير: اذكر يا محمد ما حدث فى هذا الزمن البعيد ليكون دليلا على صدق نبوتك ، فما كنت معهم ، ولا صاحبت أهل الكتاب ، ولم تكن قارئا ولا كاتبا .

الحواريون: جمع حواري وهم: المخلصون الأصفياء من أتباع عيسى عليه السلام ، ويطلق أيضا على الأصحاب المخلصين من أتباع الأنبياء .

وفي الحديث الصحيح :

- **إن لكل نبى حواريا وحواري: الزبير.**

المائدة: الخوان الذى عليه الطعام ، فإن لم يكن عليها طعام فهو خوان .

السماء: إما المعروفة أو المراد بها جهة العلو فإنها قد تطلق ويراد بها كل ما علا وليس المراد بهل - الاستفهام - هل أصل الاستطاعة ، أنهم كانوا يعلمون هذا ، لأن السائلين كانوا مؤمنين عارفين عالمين بالله عزوجل وصفاته ، بل فى أعلي درجات هذه الصفات وإنما المراد بالسؤال: الإنزال بالفعل ، من قبيل إطلاق السبب وإرادة المسبب

والمعني: هل يجيبنا ربك - يا نبينا عيسى - إلى ذلك أم لا؟

وقال بعض العلماء:

ليس ذلك بشك فى الاستطاعة وإنما هو تطلف فى السؤال وأدب مع الله تعالى بهذه الصيغة المهذبة كقول الرجل للآخر:

- هل تستطيع أن تعتبني على كذا .

وهو يعلم أنه يستطيع .

وأما زعم من قال:

إنه من قول من كان مع الحواريين ، فهو بعيد لخروجه عن ظاهر الآية ولاسيما أن تفسير الآية مستقيم غاية الاستقامة

وهذا السؤال إما لفقرهم وحاجتهم ، وإما لتعرف فضل نبيهم عيسى عليه السلام وفضلهم وكرامتهم عند ربهم .

﴿ قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

ليس هذا شكا فى إيمانهم وإنما هو أسلوب معهود حملا على التقوى ، كما قال تعالى فى حق المؤمنين الصادقين من هذه الأمة المرحومة المحمدية ﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأنفال الآية: ١] .

والمعني: اتقوا الله ولا تسألوه ، فعسى أن تكون فتنة لكم

﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾ بدأوا بالغذاء المادي ، ثم ثنوا بالغذاء الروحي فقالوا:

﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ وهو مثل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٦] .

﴿ وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ أى نزداد علما ويقينا بصدقك وحقيقة رسالتك .

﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ أى المقرين المعترفين لله بالوحدانية ولك بالنبوة والرسالة .

أو من الشاهدين عليها لمن يراها ويعاينها .

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ العيد : يوم الفرح والسرور .

﴿ لِّأَوَّلِنَا ﴾ لأول أمتنا .

﴿ وَآخِرِنَا ﴾ لآخر أمتنا .

أولنا ولمن بعدنا .

﴿ آيَةً مِّنكَ ﴾ أى دليل وحجة على قدرتك على كل شئ ، وعلى إجابتك لدعوتي فيصدقوني فيما أبلغه عنك .

﴿ وَارْزُقْنَا ﴾ أى من عندك رزقا هينا لا كلفة فيه ولا تعب .

﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ أى خير من أعطي ورزق لأنك الغني الحميد .

﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .

أى : فمن يكفر أى : يكذب بها من أمتك يا عيسى وعاندها فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدًا من عالمي زمانكم .

وهذا على سبيل الوعيد لهم والتهديد .

وليس فى الآية ما يدل على أنهم كفروا ولا على غيرهم قد كفر بها ، ولا أنهم استعفوا من نزول المائدة .

وإنما الذى دعا بعض المفسرين إلى هذه الأقوال :

ما سمعت من الروايات الإسرائيلية التى شوهت جمال القرآن وجلاله .

الإسرائيليات في سؤال موسى عليه السلام ربه الرؤية :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٤٣] .

ذكر الثعلبي والبغوي وغيرهما عن وهب بن منبه وابن إسحاق قالا :

لما سأل موسى ربه الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق وأحاطت بالجبل الذى عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب ، وأمر الله ملائكة السماوات أن يعترضوا على موسى ، فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران - جمع ثور هذا من سوء أدب بنى إسرائيل مع الملائكة الذين هم عباد مكرمون - البقر ينبع أفواههم

بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد .

ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية : أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه ، فهبطوا عليه أمثال الأسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف : ابن عمران مما رأي وسمع واقشعرت كل شعرة فى رأسه وجسده ثم قال :

- لقد ندمت على مسألتي فهل ينجيني من مكاني الذى أنا فيه ؟

فقال له خير الملائكة ورأسهم - جبريل عليه السلام - :

- يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير .

ثم أمر ملائكة السماء الثالثة : أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه ، فهبطوا أمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد ، وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة :

- مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه .

ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة : أن اهبطوا ، فاعترضوا على موسى بن عمران ، فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتقديس والتسبيح لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به من قبلهم ، فاصطكت ركبتاه وارتعد قلبه واشتد بكاؤه

فقال له خير الملائكة ورأسهم :

- يا ابن عمران ، اصبر لما سألت ، فقليل من كثير ما رأيت و . . .

وهذه المرويات وأمثالها مما لاشك أنها من إسرائيليات بنى إسرائيل وكذبهم على الله وعلي الأنبياء وعلي الملائكة .

وليس تفسير الآية فى حاجة إلى هذه الأكاذيب ، وليس فيها ما يدل على امتناع رؤية الله ﷻ فى الآخرة وغاية ما تدل عليه : امتناع الرؤية البصرية فى الدنيا .

لأن العين الفانية لا تقدر أن ترى الذات الباقية .

الإسرائيليات في ألواح التوراة:

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٤٥].

ومن الإسرائيليات ما ذكره الثعلبي والبغوي والزمخشري والقرطبى والآلوسى وغيرهم عند تفسير هذه الآية:

فقد ذكر فى الألواح: مم هى؟ وما عددها؟

أقوالا كثيرة عن بعض الصحابة والتابعين عن كعب الأحبار ووهب بن منبه، من أهل الكتاب الذين أسلموا **مما يشير إلى منبع هذه الروايات وأنها من الإسرائيليات وفيها من المرويات ما يخالف المعقول والمنقول.**

وهذا ما ذكره البغوى:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ ﴾ يعني موسى.

﴿ فِي الأَلْوَاحِ ﴾.

قال ابن عباس:

يريد ألواح التوراة.

وفي الحديث: خلق الله آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبي بيده.

وقال الحسن:

كانت الألواح من خشب.

وقال الكلبى:

كانت من زبرجدة خضراء.

وقال سعيد بن حبير:

كانت من ياقوت أحمر.

وقال الربيع بن أنس:

كانت الألواح من برد - الظاهر أنها بضم الباء وسكون الراء: الثوب المختلط ، وإلا فلو كانت من برد بفتح الباء والراء: حبات الثلج فكيف يكتب عليها؟

وقال ابن جريج:

كانت من زمرد أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن وكتبها بالقلم الذى كتب الذكر واستمد من نهر النور .

وقال وهب بن منبه :

وأمر الله بقطع الألواح من صخرة صماء ، لينها الله له فقطعها بيده ، ثم شقها بيده ، وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشر ، وكان ذلك فى أول يوم من ذي القعدة

وكانت الألواح عشرة أذرع على طول موسى .

وقال الربيع بن أنس:

نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ، يوشع ، وعزير ، وعيسى .

كيف يقبل عقل أنها حمل سبعين بعيرا ولا يقرأها إلا أربعة؟ لماذا أنزلها الله ﷻ إذن؟

فكل هذه الروايات المتضامنة التى يرد بعضها بعضا مما نحيل أن يكون مرجعها المعصوم ﷺ وإنما هى إسرائيليات بنى إسرائيل حملها عنهم بعض الصحابة والتابعين بحسن نية .

﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ :

جعلوا التوراة مشتملة على كل ما كان وكل ما يكون وهذا مما لا يعقل ولا يصدق

ومن ذلك ما ذكر الإمام الألوسى فى تفسيره قال:

اصطحب قيس بن خرشة وكعب الأحبار حتى إذا بلغا صفين وقف كعب ثم نظر ساعة ثم قال:

- ليهراقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يراق ببقعة من الأرض مثله .

فقال قيس بن خرشة لكعب الأحبار :

- ما يدريك ؟ فإن هذا من الغيب الذى استأثر الله تعالى به .

فقال كعب الأحبار :

- ما من الأرض شبر إلا مكتوب فى التوراة التى أنزل الله تعالى على موسى ، ما يكون منه ، وما يخرج منه إلى يوم القيامة .

والمراد بـ ﴿ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ أى فيها تفصيلا لكل شئ مما يحتاجون إليه من الحلال والحرام والمحاسن والقبائح مما يلائم شريعة موسى وعصره وإلا فقد جاء القرآن العظيم بأحكام وآداب وأخلاق لا توجد فى التوراة قط .

الإسرائيليات مكذوبة في سبب غضب موسى لما ألقى الألواح :

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٥٠] .

ومن الإسرائيليات ما رواه ابن جرير فى تفسيره والبغوى فى تفسيره وغيرهما فى سبب غضب موسى عليه السلام حتى ألقى الأواح من يديه فقد روى عن قتادة أنه قال :

نظر موسى فى التوراة فقال :

- رب إني لأجد فى الألواح أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اجعلهم أمتى .

قال :

- تلك أمة أحمد

قال موسى :

- رب إني أجد فى الألواح هم الآخرون - آخرون فى الخلق - سابقون فى دخول الجنة رب اجعلهم أمتى .

قال :

- تلك أمة أحمد .

قال موسى :

- رب إني أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرأونها وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظرا حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئا ، ولم يعرفوه وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئا لم يعطه أحدًا من الأمم رب اجعلهم أمتى .

- قال الله ﷻ :

- تلك أمة أحمد :

قال موسى :

- رب إني أجد فى الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاتلون فصول الضلالة حتى ليقاتلون الأعور الكذاب - المسيخ الدجال - فاجعلهم أمتى .

قال :

- تلك أمة أحمد .

قال موسى :

- رب إني أجد فى الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها فى بطونهم ويؤجرون عليها وكان من قبلهم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله نارا فأكلتها ، وإن ردت عليها تركت فتأكلها السباع والطير وإن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم ، رب فاجعلهم أمتى .

قال :

- تلك أمة أحمد .

قال موسى :

- رب إني أجد فى الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له

حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرة أمثالها إلى سبعمائة ، رب اجعلهم أمتى .

قال :

- تلك أمة أحمد .

قال موسى :

- رب إني أجد فى الألواح أمة هم المشفعون ، والمشفوع لهم فاجعلهم أمتى .

قال الله ﷻ :

- تلك أمة أحمد .

قال قتادة :

فذكر لنا نبى الله موسى نبذ الألواح وقال :

- اللهم اجعلني من أمة أحمد - محمد -

أقول :

إن آثار الوضع والاختلاق بادية عليه والسند مطعون فيه وهي أمور مأخوذة من القرآن والأحاديث ، ثم صيغت هذه الصياغة الدقيقة وجعلت على لسان موسى عليه السلام ، والظاهر المتعين أن إلقاء موسى عليه السلام بالألواح إنما غضبا وحمية لدين الله وغيرة لانتهاك حرمة توحيد الله تبارك وتعالى .

وأما ما ذكره قتادة فغير مُسلَّم .

أما قول ابن كثير فى تفسير ذلك فيقول :

ثم ظاهر السياق أنه - أى سيدنا موسى - ألقي الألواح غضبا على قومه .

وهذا قول جمهور العلماء سلفا وخلفا .

وكأن قتادة تلقاه عن بعض أهل الكتاب وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة .

وصدق ابن كثير فيما قال :

وأرجح أن يكون من وضع زنادقتهم كي يظهروا الأنبياء بمظهر المتحاسدين ، لا بمظهر الإخوان المتحابين .

وقال الإمام القرطبي عنده تفسيره : ﴿ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ ﴾ أى مما اعتراه من الغضب والأسف حين أشرف على قومه - بنى إسرائيل - **وهم عاكفون على عبادة العجل** ، وعلى أخيه - هارون - **في إهمال أمرهم** .

إسرائيليات في سفينة نوح عليه السلام :

ومن الاسرائيليات التى اشتملت عليها بعض كتب التفسير كتفسير ابن جرير ، والدر المنثور وغيرهما ، ماروي فى سفينة نوح عليه السلام فقد أحاطوها بهالة من العجائب والغرائب ، من أى خشب صنعت؟ ما طولها ؟ وما عرضها؟ وما ارتفاعها؟ وكيف كانت طبقاتها؟

وذكروا خرافات فى خلقة بعض الحيوانات

وقد بلغ ببعض الرواة أنهم نسبوا بعض هذا إلى النبى الخاتم ﷺ قال صاحب الدر المنثور :

وأخرج ابن الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال :

- كانت سفينة نوح عليه السلام لها أجنحة وتحت الأجنحة إيوان

أقول قبح الله من نسب مثل هذا إلى الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ

وأخرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ :

سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم .

وذكر طول السفينة كان ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا ، وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا وبابها فى عرضها .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس :

قال الحواريون لعيسى ابن مريم : لو بعثت رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها .

فانطلق بهم حتى انتهي إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب وقال :

- أتدرون ما هذا؟

قالوا:

- الله ورسوله أعلم .

قال:

- هذا كعب بن حام بن نوح .

فضرب الكثيب بعصاه وقال:

- قم بإذن الله .

فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه ، قد شاب .

قال عيسى ابن مريم عليه السلام:

- هكذا هلكت؟

- قال كعب بن حام:

- لا مت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها الساعة قامت ، فمن ثم شبت .

- قال كلمة الله وروحه:

- حدثنا عن سفينة نوح .

قال كعب بن حام:

كان طولها ألف ذراع ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع كانت ثلاث طبقات ، فطبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الإنس وطبقة فيها الطير .

فلما كثر أرواث الدواب: أوحي الله إلى نوح:

- أن اغمز ذنب الفيل .

فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث .

فلما وقع الفار يخرب السفينة بقرضه ، أوحي الله إلى نوح :

- أن اضرب بين عيني الأسد .

فخرج من منخره سنوران - قط وقطة - فأقبلا على الفأر فأكلاه .

وفي رواية أخرى :

إن الأسد عطس فخرج من منخره خنزيران ذكر وأنثى فأكلا أذي السفينة

وزعموا أن سفينة نوح عليه السلام طافت بالبيت أسبوعا

وأنه لما رست السفينة على الجودى - جبل بالعراق - وكان يوم عاشوراء صام نوح عليه السلام وأمر جميع من معه من الوحش والدواب فصاموا شكرا لله .

إلى غير ذلك من التخريفات والأباطيل التى لا نزال نسمعها

الإسرائيليات في قصة يوسف عليه السلام :

ومن الإسرائيليات المكذوبة التى لا توافق عقلا ولا نقلا ما ذكره ابن جرير فى تفسيره وصاحب الدر المنثور وغيرهما من المفسرين فى قول تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ [سورة يوسف الآية : ٢٤] .

فقد ذكروا فى همَّ يوسف عليه السلام ما ينافي عصمة الأنبياء وما يخجل القلم من تسطيره فقد رووا عن ابن عباس سئل عن **همَّ يوسف** عليه السلام ما بلغ؟

قال :

- حل الهميان - السروال - وجلس منها مجلس الخائن .

فصيح به :

- يا يوسف ، لا تكن كالطير له ريش فإذا زنى قعد ليس له ريش .

ورووا مثل ذلك عن على بن أبى طالب وعن مجاهد وعن سعيد بن جبير .

ورووا أيضا فى البرهان الذى رآه يوسف ولولاه لوقع فى الفاحشة بأنه نودي :

أنت مكتوب فى الأنبياء وتعمل عمل السفهاء .

وقيل :

رأي صورة أبيه يعقوب فى الحائط .

وقيل :

في سقف الحجرة وأنه رآه عاضا على إبهامه وأنه لم يتعظ بالنداء حتى رأي أباه على هذا الحال .

بل أسرفوا وأضعوا هذه الإسرائيليات الباطلة فزعموا :

أنه لم يرعو من رؤية صورة أبيه عاضا على أصابعه ضربه أبوه يعقوب فخرجت شهوته ولأجل أن يؤيد هؤلاء الذين افتروا على الله ونبيه يوسف عليه السلام هذا الافتراء يزعمون أيضا أن كل أبناء يعقوب قد ولد له اثنا عشر ولدا ما عدا يوسف فإنه نقص بتلك الشهوة التى خرجت من أنامله ولدا فلم يولد له غير أحد عشر ولدا .

بل زعموا أيضا فى تفسير البرهان فيما روى عن ابن عباس :

أنه رأي ثلاث آيات من كتاب الله قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [سورة الانفطار الآية: ١٠ ، ١١] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [سورة يونس الآية : ٦١] ، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [سورة الرعد الآية : ٣٣] ، وقوله: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾ [سورة الاسراء الآية: ٣٢] .

ومن البديهي أن هذه الآيات بهذا اللفظ العربي لم تنزل على أحد من الأنبياء قبل خاتم النبيين ﷺ .

وإن كان الذين افتروا هذا لا يعدمون جوابا بأن يقولوا :

رأي ما يدل على معاني هذه الآيات بلغتهم التى يعرفونها .

بل قيل فى البرهان :

إنه رأي تمثال الملك وهو العزيز .

وقيل :

رأي خياله (تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٠٨ - ١١٤) .

وكل ذلك مرجعه إلى أخبار بنى إسرائيل وأكاذيبهم التى افتجروها على الله وعلى رسله وحمله بعض الصحابة والتابعين كعب الأحبار ووهب بن منبه وأمثالهما .

ثم كيف يتفق ما حيك حول نبى الله يوسف عليه السلام وقول الحق تبارك وتعالى عقب ذكر الهم : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة يوسف الآية : ٥١] **فهل يستحق هذا الثناء من حل التكة وخلع السروال وجلس بين شعبيها ؟؟**

ولا ندري أنصدق الله ﷻ أم نصدق كذب بنى إسرائيل وخرافاتهم ؟؟؟

﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ [سورة يوسف الآية : ٥٢] .

أخرج الديلمي وابن مردويه عن أنس أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ قال :

لما قال يوسف ذلك قال له جبريل عليه السلام :

ولا يوم هممت بما هممت به ؟

فقال :

﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [سورة يوسف الآية : ٥٤] .

وأخرج ابن جرير عن عكرمة مثله .

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى حاتم عن حكيم بن جابر فى قوله : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ .

قال جبريل :

ولا حين حللت السراويل ؟

إلى غير ذلك من المرويات المكذوبة والإسرائيليات الباطلة .

القرآن يرد على هذه الأكاذيب :

قد فات الدساسين الكذابين أن قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ليس من مقالة يوسف عليه السلام **وإنما هو من مقالة امرأة العزيز** - زليخا أو راعيل -

وهو ما يتفق وسياق الآية .

ذلك أن العزيز لما أرسل رسوله إلى يوسف لإحضاره من السجن قال له :

ارجع إلى ربك - صاحبك أو الملك - فاسأله ﴿ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [سورة يوسف الآية : ٥٠] .

فأحضر النسوة وسألهن فشهدن ببراءة يوسف .

فلم تجد امرأة العزيز من الاعتراف بدا فقالت :

﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [سورة يوسف الآية: ٥١ - ٥٢] فكان ذلك من قول امرأة العزيز ولم يكن يوسف عليه السلام حاضرا فقد كان فى السجن فكيف يعقل أن يصدر منه ذلك فى مجلس التحقيق الذى عقده العزيز ؟

وقد انتصر لهذا الرأي الذى يوائم السياق والسباق الإمام ابن تيمية وقد ألف فى ذلك تصنيفا على حدة .

قال الإمام الحافظ ابن كثير فى تفسيره : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ .

تقول : إنما اعترفت بهذا على نفسى ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب فى نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾ [سورة يوسف الآية ٥١ ، ٥٢] .

تقول المرأة : ولست أبرئ نفسى فإن النفس تتحدث وتتمني ولهذا راودته لأن ﴿ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ ﴾ [سورة يوسف الآية : ٥٢] .

أى : إلا من عصمه الله تعالى ﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام .

وقد حكاه الماوردي فى تفسيره وانتدب لنصره الإمام أبو العباس ابن تيمية فأفرده بتصنيف على حدة .

التفسير الصحيح لقوله تعالي ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ :

ليس من شك فى أن همها كان بقصد الفاحشة ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ [سورة يوسف الآية : ٢٤].

الكلام من قبيل التقديم والتأخير .

والتقدير : ولولا أن رأي برهان ربه لهم بها .

فقوله تعالى: ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ جواب لولا مقدم عليها ومعروف فى العربية : أن لولا حرف امتناع لوجود .

أى : امتناع الجواب لوجود الشرط فيكون الهم ممتنعا لوجود البرهان الذى ركزه الله ﷻ فى فطرته والمقدم إما الجواب أو دليله على الخلاف فى هذا بين النحويين ، والمراد بالبرهان : **هو حجة الله الباهرة الدالة على قبح الزنا وهو شئ مركوز فى فطر الأنبياء ومعرفة ذلك عندهم وصل إلى عين اليقين وهو ما نعبر عنه بالعصمة وهي التى تحول بين الأنبياء والمرسلين وبين وقوعهم فى المعصية .**

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق :

البرهان : النبوة التى أودعها الله فى صدر يوسف عليه السلام حالت بينه وبين ما يسخط الله ﷻ .

وهذا هو القول الجزل الذى يوافق ما دل عليه العقل من عصمة الأنبياء .

الإسرائيليات في سبب لبث يوسف عليه السلام في السجن :

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [سورة يوسف الآية : ٤٢] .

قال وهب بن منبه :

أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف فى السجن سبع سنين وعذب بختنصر فحول فى السباع سبع سنين - لا أدري ما المناسبة بين نبى الله يوسف وبختنصر الذى أذل وشرد اليهود وسباهم - ؟

وقال الحسن البصري :

دخل جبريل عليه السلام على يوسف عليه السلام فى السجن ، فلما رآه يوسف عرفه فقال له

- يا أخا المنذرين ، إني أراك بين الخاطئين ؟

فقال له جبريل :

- يا طاهر ، يا ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك :

أما استحيت مني أن استشفعت بالآدميين ؟ فوعزتي وجلالى لألبثنك فى السجن بضع سنين .

فقال يوسف :

- وهو فى ذلك عنى راض ؟

قال جبريل :

- نعم .

قال يوسف :

- إذا لا أبالى .

وقد روى ابن جرير ههنا حديثا مرفوعا فقال :

حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال :

قال النبى ﷺ : لو لم يقل - يعني يوسف - الكلمة التى قالها ما لبث فى السجن ما لبث ، حيث ينبغي الفرج من عند غير الله .

ولو أن هذا الحديث كان صحيحا أو حسنا: لكان للمتمسكين بمثل هذه الاسرائيليات التى أظهرت سيدنا يوسف بمظهر الرجل المذنب المدان وجهة ولكن الحديث شديد الضعف لا يجوز الاحتجاج به أبدا .

قال الإمام الحافظ الناقد ، ابن كثير :

وهذا الحديث ضعيف جدا - الضعيف جدا لا يحتج به فى الأحكام ولا فى الفضائل فما بالك فى مثل هذا ؟ لأن سفيان بن وكيع الراوي عنه ابن جرير ضعيف وإبراهيم بن يزيد أضعف منه أيضا .

والبضع : من الثلاث إلى التسع أو إلى العشر من غير تحديد للمدة .

فجائزا أن تكون سبعا وجائزا أن تكون تسعا وجائزا أن تكون خمسا ما دام ليس هناك نقل صحيح من المعصوم ﷺ .

ثم كيف يتفق هذا الحديث الضعيف هو وما روى عن النبى الخاتم ﷺ فى الصحيحين عن أبى هريرة قال :

قال ﷺ : ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي .

وفي لفظ للإمام أحمد :

لو كنت أنا لأسرعت الإجابة وما ابتغيت العذر .

الإسرائيليات في شجرة طوبي :

ومن الاسرائيليات ما ذكره المفسرون عند تفسير قوله تعالى ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** ﴾ [سورة الرعد الآية : ٢٩] .

روى ابن جرير بسنده عن وهب بن منبه قال :

إن فى الجنة شجرة يقال لها : طوبي يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها زهرتها رياط وورقها برود وقضبانها عنبر وبطحاؤها ياقوت وترابها كافور ورحلها مسك يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل وهي مجلس لأهل الجنة .

فبينما هم فى مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم يقودون نُجبًا إبلا كراما مزمومة بسلال من ذهب وجوهها كالمصابيح حسنا ووبرها كخزالمرعزي من لينه عليها رحال - الرحال : ما يوضع على العير ليركب عليه - ألواحها من ياقوت ودفوفها من ذهب وثيابها من سندس واستبرق يفتحونها يقولون :

إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه .

فيركبونها فهي أسرع من الطائر وأوطأ من الفراش ، نجبا من غير مهنة ، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه لا تصيب أذن راحلة منها أذن الأخرى ولا برك - البرك : الصدر - راحلة برك الأخري ، حتى أن الشجرة لتنحني عن طريقهم لئلا تفرق بين الرجل وأخيه . فيأتون إلى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه ، فإذا رأوه قالوا : اللهم أنت السلام ومنك السلام وحق لك الجلال والإكرام .

فيقول تعالى عند ذلك :

أنا السلام ومني السلام وعليكم السلام حقت رحمتي ومحبتي مرحبا بعبادى الذين خشوني بغيب وأطاعوا أمري .

فيقولون :

ربنا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك فأذن لنا فى السجود قدامك

فيقول الله :

إنها ليست بدار نصب - تعب - ولا عبادة ولكنها دار ملك ونعيم وإني رفعت عنكم نصب العبادة فسلوني ما شئتم فإن لكل رجل منكم أمنية .

فيسألونه حتى أن أقصرهم أمنية ليقول :

رب تنافس أهل الدنيا فى دنياهم فتضايقوا فيها رب فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا .

فيقول الله تعالى :

لقد قصرت بك أمنيتك ولقد سلت دون منزلتك هذا لك مني لأنه ليس فى عطائي نكد ولا قصر يد .

ثم يقول :

اعرضوا على عبادي ما لم يبلغ أمانيهم ولم يخطر لهم على بال .

ويسترسل ابن منبه فى وصف سرر وفرش الجنة والحور العين .

وقد وصف ابن كثير في تفسيره هذا الأثر بأنه غريب عجيب .

التفسير الصحيح لقوله : ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ .

والمأثور عن السلف في تفسير طوبي فقال ابن عباس :

طوبي لهم : فرح لهم وقرة عين .

وقال عكرمة :

نعم ما لهم .

وقال قتادة :

حسني لهم .

وقال إبراهيم النخعي :

خير لهم وكرمة .

قال أبو سعيد الخدري مرفوعا :

طوبي شجرة في الجنة ظلها مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها .

بل قيل :

إنها الشجرة التى ذكرها النبى ﷺ فى قوله : إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها (رواه أحمد والبخاري ومسلم) .

وفي روايات أحمد والبخاري : اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [سورة الواقعة الآية : ٣٠] .

الإسرائيليات في قصة أهل الكهف :

ومن قصص الماضين التى أكثر فيها المفسرون من ذكر الاسرائيليات قصة أصحاب الكهف فقد ذكر ابن جرير وابن مردوبه وغيرهما الكثير من أخبارهم التى لا يدل عليها كتاب الله تعالى ولا يتوف فهم القرآن وتدبره عليها .

من ذلك ما ذكره ابن جرير فى تفسيره وكذلك ذكره السيوطي فى الدر المنثور عن

أصحاب الكهف : عن هويتهم ومن كانوا ؟ وفي أي زمان ومكان وجدوا ؟ وأسمائهم واسم كلبهم ؟ وعن لونه أهو أصفر أم أحمر ؟

بل روى ابن أبي حاتم من طريق سفيان قال :

رجل بالكوفة يقال له عبيد - وكان لا يتهم بالكذب - قال :

رأيت كلب أصحاب الكهف أحمر كأنه كساء أنبجاني - نسبة إلى أنبج بلد تعرف بصنع الأكسية ولا أدري كيف كان لا يتهم بالكذب وما زعم كذب لا شك فيه ، فهل بقي كلب أصحاب الكهف حتى جاء الإسلام ؟

وكذلك ذكروا أخبارا غرائب في الرقيم .

فمن قائل :

إنه قرية - رواه كعب الأحبار - .

ومن قائل :

إنه واد بفلسطين بقرية أيلة .

وقيل :

اسم جبل أصحاب الكهف .

إلى غير لك

مع أن الظاهر أنه كما قال كثير من السلف أنه :

الكتاب أو الحجر الذى دون فيه قصة أهل الكهف وأخبارهم فهو مرقوم وفي كتاب الله ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ [سورة المطففين الآية : ١٩ ، ٢٠]﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ [سورة المطففين الآية : ٨ ، ٩] .

وفي هذه الأخبار الحق والباطل والصدق والكذب .

وفيها ما هو محتمل للصدق والكذب ولكن فيما عندنا غنية عنه ولا فائدة من الاشتغال بمعرفته وتفسير القرآن به .

الإسرائيليات في قصة ذي القرنين :

ومن الإسرائيليات التى طفحت بها كتب التفسير ما يذكرونه فى تفاسيرهم عند تفسير قول الحق جل وعلا : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا . . . ﴾ [سورة الكهف الآية : ٨٣ - ٩٨] .

وقد ذكر ابن جرير بالأحاديث الأولي أنه كان يقول :

ذو القرنين رجل من الروم ، ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الإسكندر وإنما سمي ذا القرنين لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس فلما بلغ وكان عبدا صالحا قال الله ﷻ :

يا ذا القرنين ، إني باعثك إلى أمم الأرض وهي أمم مختلفة ألسنتهم وهم جميع أهل الأرض ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله وأمم فى وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج .

ثم استرسل فى ذكر أوصافه وما وهبه الله من العلم والحكمة وأوصاف الأقوام الذين لقيهم وما قال لهم وما قالوا له .

وفي أثناء ذلك يذكر ما لا يشهد له عقل ولا نقل وقد سود بهذه الأخبار نحو أربع صحائف من كتابه ، وكذلك ذكر روايات أخرى فى سبب تسميته بذي القرنين بما لا يخلو من تخليط وتخبط وقال السيوطي فى الدر المنثور :

كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر وإنما سمي ذا القرنين : أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس .

وأنا لا أشك فى أن ذلك مما تلقاه وهب بن منبه عن كتبهم وفيها من الباطل ما فيها والكذب ما فيها ثم حملها عنه بعض التابعين .

ولو أن هذه الإسرائيليات وقف بها عند منابعها أو من حملها عنهم من الصحابة والتابعين لكان الأمر محتملا ولكن الإثم وكبر الكذب أن تنسب هذه الأخبار إلى سيد الأولين والآخرين ﷺ .

فقد روى ابن جرير وغيره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي

الْقَرْنَيْنِ . . ﴾ حديثا مرفوعا قال :

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا زيد بن حباب عن أبى لهيعة قال : حدثني عبد الرحمن بن زيد بن أنعم عن شيخين من تجيب أنهما انطلقا إلى عقبة بن عامر فقالا له :

- جئنا لتحدثنا .

فقال عقبة بن عامر الجهني :

كنت أخدم النبى ﷺ فخرجت من عنده فلقني قوم من أهل الكتاب فقالوا :

نريد أن نسأل رسول الله ﷺ ، فاستأذن لنا عليه .

فدخلت عليه فأخبرته بذلك فقال :

مالي ومالهم ، مالي على إلا ما علمني الله .

ثم قال عليه الصلاة والسلام :

اسكب لى ماء .

فتوضأ ثم صلي فما فرغ حتى عرفت السرور على وجهه ثم قال :

أدخلهم على ومن رأيت من أصحابى .

فدخلوا فقاموا بين يديه فقال :

إن شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه فى كتابكم مكتوبا وإن شئتم أخبرتكم .

قالوا :

بلى أخبرنا .

قال عليه الصلاة والسلام :

جئتم تسألون عن ذي القرنين وما تجدونه فى كتابكم كان شاباً من الروم فجاء فبنى مدينة الاسكندرية فلما فرغ جاءه ملك فعلا به فى السماء فقال له :

- ما ترى ؟

فقال :

- أرى مدينتى ومدائن .

ثم علا به فقال :

- ما ترى ؟

فقال :

- أرى مدينتى .

ثم علا به فقال :

- ما ترى ؟

قال :

- أرى الأرض .

قال :

- فهذا اليم محيطٌ الدنيا ، إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل وتثبت العالم .

فأتي به السد وهو جبلان لبنان يزلق عنهما كل شيء .

ثم مضي به حتى جاوز يأجوج ومأجوج .

ثم مضي به إلى أمة أخرى وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم مضي به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب ثم مضي حتى قطع به هؤلاء إلى أمة قد سماهم .

ثم عقب ذلك بسرد المرويات فى سبب تسميته بذي القرنين .

وذكر السيوطي فى الدر المنثور مثل ذلك :

وكل هذا من الاسرائيليات التى دست على النبى ﷺ .

وابن لهيعة ضعيف فى الحديث .

وقد كشف لنا الإمام الحافظ ابن كثير عن حقيقة هذه الرواية فى تفسيره وأنحي باللائمة على من رواها وقال :

وقد أورد ابن جرير ههنا والأموي في مغازيه حديثا أسنده وهو ضعيف عن عقبه بن عامر :

أن نفرا من اليهود جاءوا يسألون النبي ﷺ عن ذي القرنين فأخبرهم بما جاءا له ابتداء فكان فيما أخبرهم به :

أنه كان شابا من الروم وأنه بنى الإسكندرية وأنه علا به ملك في السماء وذهب به إلى السد ورأي أقواما وجوههم وجوه الكلاب .

وفيه طول ونكارة ورفعه لا يصح وأكثر ما فيه : **أنه من أخبار بنى إسرائيل .**

من هو ذو القرنين ؟

الذى نقطع له : **أنه ليس الاسكندر المقدوني لأن ما ذكره المؤرخون فى تاريخه لا يتفق وما حكاه القرآن الكريم عن ذي القرنين - كان بينهما مئات السنين - والذي نقطع به أيضا أنه كان رجلا مؤمنا صالحا ملكه شرق الأرض وغربها .**

وما كان من أمره ما قصه العليم الخبير فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا ما ينبغي أن نؤمن به ونصدقه وأما معرفة هويته وما اسمه ؟ وأين وفي أى زمان كان ؟

فليس فى القرآن ولا فى السنة الصحيحة ما يدل عليه ، على أن الاعتبار بقصته والانتفاع بها لا يتوقف على شىء من هذا .

وتلك سمة من سمات القصص القرآني وخصيصة من خصائصه أنه لا يعني بالأشخاص والزمان والمكان مثل ما يعني بانتزاع العبرة منها والاستفادة منها فيما سبقت له .

الإسرائيليات في قصة ياجوج وماجوج :

من الاسرائيليات التى اتسمت بالغرابة والخروج عن سنة الله فى الفطرة وخلق بنى آدم ما ذكره بعض المفسرين فى تفاسيرهم: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [سورة الكهف الآية : ٩٤] .

فقد ذكروا عن يأجوج ومأجوج الشئ الكثير من العجائب والغرائب

قال السيوطي فى الدر المنثور (ج٥ ص٠ ٢٥ ، ٢٥١) :

أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه وابن عدي وابن عساكر وابن النجار عن حذيفة قال :

سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج فقال :

يأجوج ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة ألف أمة لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كل حمل السلاح .

قلت :

يا رسول الله : صفهم لنا .

قال :

هم ثلاثة أصناف : صنف من أمثال الأرز .

قلت :

وما الأرز ؟

قال :

شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع فى السماء .

قال رسول الله ﷺ :

هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد .

وصنف منهم : يفترش إحدي أذنيه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية .

وقد ذكر ابن جرير فى تفسيره هذه الرواية وغيرها من الروايات الموقوفة .

وكذلك صنع القرطبي فى تفسيره .

وإذا كان بعض الزنادقة استباحوا لأنفسهم نسبة هذا إلى الصادق المصدوق ﷺ فكيف استباح هؤلاء الأئمة ذكر هذه الخرافات والمرويات المكتوبة على حبيب الرحمن ﷺ ؟؟؟

وهذا الحديث المرفوع نص الإمام أبو الفرج بن الجوزي فى موضوعاته وغيره على أنه موضوع ووافقه السيوطي فى الآلي فكيف يذكره فى تفسيره ولا يعقب عليه ؟؟؟

ومن الإسرائيليات المستنكرة ما روى :

أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاختلط بالتراب وزعموا :

أن آدم كان نائما فاحتلم فمن ثم اختلط منيه بالتراب ومعروف أن الأنبياء لا يحتلمون لأن الأحلام من الشيطان .

وقال ابن كثير :

وهذا قول غريب جدا لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ولا يجوز الاعتماد ههنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة .

والخلاصة :

إن أصحاب الكهف وذا القرنين ويأجوج ومأجوج حقائق ثابته وكيف لا ؟ وقد أخبرنا بها الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولكن الذى ننكره أشد الإنكار هذه الخرافات والأساطير التى حكيت حولهم وتدسست إلى المرويات الإسلامية والله ورسوله بريئان منها وإنما هى من أخبار بنى إسرائيل وأكاذيب السفهاء وتحريفاتهم .

الإسرائيليات في قصة بلقيس ملكة سبأ :

ومن الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عن تفسيره قوله تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة النمل الآية : ٤٤].

لما أراد سليمان عليه السلام أن يتزوج بلقيس قيل له: **أن رجليها كحافرا الحمار**

وهى شعراء الساقين .

فنظر سليمان فإذا هى أحسن الناس قدما وساقا إلا أنها كانت شعراء الساقين فكره ذلك فسأل الإنس ما يذهب هذا - الشعر - ؟

قالوا :

- الموسى .

فقالت بلقيس لم تمسني حديدة - المراد الموسي التى تزيل الشعر - قط

وكره سليمان عليه السلام ذلك خشية أن تقطع ساقيها .

فسأل الجن فقالوا :

- لا ندرى .

ثم سأل الشياطين فقالوا :

- إنا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء .

فاتخذوا لها النورة مادة يزال بها الشعر والحمام

فكانت النورة والحمام من يومئذ - كذب ظاهر كأن النورة والحمام لم يكونا إلا لبلقيس بنت الهدهاد وكأن سليمان عليه السلام لم يكن لهم هم وشغل إلا إزالة شعر امرأة وهو تجن صارخ على الأنبياء عليهم السلام وإظهارهم بمظهر المتهافت المتهالك على النساء ومحاسنهن فقبح الله السفهاء من بنى إسرائيل- .

وأن الشياطين خافوا لو تزوج سليمان بن داود عليهما السلام بلقيس بنت الهدهاد وجاءت بولد أن يبقوا فى العبودية والعذاب المهيمن فصنوا له هذا الصرح الممرد - هو القصر المشيد المحكم البناء المرتفع إلى السماء ، الممرد : الناعم الأملس ، القوارير : الزجاج الشديد الصفاء - فظنته ماء فكشفت عن ساقيها لتعبره فإذا هى شعراء الساقين فاستشارهم سليمان عليه السلام فجعلت له الشياطين النورة .

قال ابن كثير فى تفسيره :

والأقرب فى مثل هذه السياقات: أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد فى

صحفهم ، كرواية كعب الأحبار ووهب بن منبه سامحهما الله فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بنى إسرائيل من الاوابد - جمع آبدة وهي الأمور المشكلة البعيدة المعاني وأصل الآبدة : النافرة من الوحش التى يستعصى استئناسها وأخذها ثم شبه بها الكلام المشكل العويص المعاني - :

التفسير الصحيح لبناء الصرح .

أراد سليمان بن داود عليهما السلام ببنائه الصرح أن يري بلقيس ملكة سبأ عظمة ملكه وسلطانه وأن الله ﷻ أعطاه من الملك ومن أسباب العمران والحضارة ما لم يعطها فضلا عن النبوة التى هى فوق الملك والتي دونها أية نعمة .

ولولا أن بلقيس بنت الهدهاد رأت من سليمان عليه السلام ما كان عليه من الدين المتين والخلق الرفيع الكريم لما أذعنت إليه لما دعاها إلى الله الواحد الأحد ولما ندمت على ما فرط منها من عبادة الكواكب والشمس وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين .

الإسرائيليات في هدية ملكة سبأ لسليمان عليه السلام :

ومن الاسرائيليات ما ذكره كثير من المفسرين كابن جرير والثعلبي والبغوى والسيوطي صاحب الدر المنثور فى الهدية التى أرسلتها بلقيس بنت الهدهاد لنبى الله سليمان بن داود عليهما السلام .

يقول البغوي فى تفسيره : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [سورة النمل الآية : ٣٥] .

قال البغوي :

فأهدت إليه وصفاء ووصائف .

قال ابن عباس :

ألبستهم لباسا واحدا كي لا يعرف الذكر من الأنثى .

وقال مجاهد :

ألبست الغلمان لباس الجوارى وألبست الجوارى لباس الغلمان .

واختلفوا فى عددهم .

فقال ابن عباس :

مائة وصيف أى خادم وخادمة .

وقال مجاهد ومقاتل :

مائتا غلام ومائتا جارية .

وقال سعيد بن جبير وقتادة وغيرهما :

أرسلت بلبنة من ذهب فى حرير وديباج .

وقال وهب بن منبه وغيره :

عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت فى سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقا من ذهب وفي آذانهم أقراطا وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وألبست الجوارى لباس الغلمان : الأقبية والمناطق وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة - أنثي البغال - والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس لجام من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت .

وأرسلت إليه المسك والعنبر والعود وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب وأرسلت مع الهدية رجالا من عقلاء قومها وكتبت معهم كتابا إلى سيمان بالهدية وقالت :

إن كنت نبيا فميز لى بين الوصائف والوصفاء وأخبرنى بما فى الحقة قبل أن تفتحها واثقب الدر ثقبا مستويا وأدخل خيطافي الخرزة المثقوبة من غير علاج إنس ولا جن

ورووا أيضا :

أن سليمان عليه السلام أمر الجن أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ثم أمرهم أن يفرشوا الطريق الذى هو فيه إلى تسعة فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وأن يعدوا فى الميدان أعجب دواب البحر والبر .

فأعدوها

ثم قعد على سريره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ

وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ

وأمر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ

فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم تر أعينهم مثلها ترث على لبن الذهب والفضة تقاصرت أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا .

واستعان سليمان عليه السلام بجبريل عليه السلام والشياطين والأرضة فى الإجابة عما سألته بلقيس ملكة سبأ عنه .

ومعظم ذلك ولا شك أنه من الإسرائيليات المكتوبة فأي ملك فى الدنيا يتسع لفرش تسع فراسخ بلبنات الذهب والفضة ؟؟؟

وقد روى وهب بن منبه هذه الرواية عن مسلمة أهل الكتاب والخرافات التى تدسست إلى الرواية الإسلامية فأساءت إليها .

الإسرائيليات في قصة الذبيح وأنه إسحاق :

من الإسرائيليات ما ذكره كثير من المفسرين عن تفسير قوله تعالى: **﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾** [سورة الصافات الآية : ١٠٢ ، ١١٢].

فقد روى كثير من المفسرين منهم ابن جرير والبغوي والسيوطي روايات كثيرة عن بعض الصحابة والتابعين وكعب الأحبار أن **الذبيح هو إسحاق .**

لم يقف الأمر عن الوقوف على الصحابة والتابعين بل رفعوا ذلك زورا إلى المبعوث رحمة للعالمين ﷺ فروي ابن جرير عن أبى كريب عن زيد بن حباب عن الحسن بن دينار

عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النبى ﷺ أنه قال :

الذبيح إسحاق .

وهو حديث ضعيف ساقط لا يصح الاحتجاج به فالحسن بن دينار متروك وشيخه على بن زيد بن جدعان منكر الحديث (تفسير ابن كثير والبغوي ج ٧ ص ١٥٤)

وأخرج الديلمي فى مسند الفردوس بسنده عن أبى سعيد الخدري قال :

قال رسول الله ﷺ :

إن داود سأل ربه مسألة فقال :

اجعلني مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب .

فأوحي الله إليه :

إني ابتليت إبراهيم بالنار فصبر وابتليت إسحاق بالذبح فصبر وابتليت يعقوب فصبر

وبما أخرجه الدار قطني والديلمي فى مسند الفردوس بسندهما عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : الذبيح إسحاق .

وهي أحاديث لا تصح ولا تثبت وأحاديث الديلمي فى مسند الفردوس شأنها معروف والدار قطني ربما يخرج فى سننه ما هو موضوع (أعلام المحدثين للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة) .

والحق أن هذه المرويات فى أن الذبيح إسحاق هى من الإسرائيليات وقد نقلها من أسلم منهم ككعب الأحبار وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين **تحسينا بالظن بهم** فذهبوا إليه وجاء بعدهم العلماء واغتروا بها وذهبوا إلى أن الذبيح إسحاق

وحقيقة هذه المرويات أنها من وضع أهل الكتاب السفهاء لعدواتهم المتأصلة من قديم الزمان للنبي الأمي العربي القرشي الهاشمي المكي ﷺ فقد أرادوا أن لا يكون لإسماعيل الجد الأعلي للنبي الخاتم ﷺ والعرب فضل أنه الذبيح .

تحريفهم التوراة .

ولأجل أن يكون هذا الفضل لبني إسرائيل ولجدهم إسحاق عليه السلام **لا لأخيه الأكبر البكر إسماعيل حرفوا التوراة في هذا .**

ولكن أبى العليم الخبير **إلا أن يغفلوا عما يدل على هذه الجريمة النكراء والجاني** دائما يترك من الآثار ما يدل على جريمته والحق يبقي له شعاع **ولو خافت يدل عليه مهما** حاول المبطلون إخفاء نوره وطمس معالمه .

فقد حذفوا من التوراة لفظ إسماعيل ووضعوا بدلا منها إسحاق .

ولكنهم غفلوا عن كلمة كشفت هذا التزوير وذلك الدس المشين

نص التوراة .

ففي التوراة الإصحاح الثانى والعشرين فقرة ٢ : قال الرب :

خذ ابنك وحيدك الذى تحبه : إسحاق واذهب إلى أرض **المريا واصعده هناك محرقة** على أحد الجبال الذى أقول لك . .

وليس أدل على كذب هذا من كلمة : **وحيدك .**

وإسحاق عليه السلام لم يكن وحيدا قط لأنه ولد بعد **إسماعيل عليه السلام بنحو** أربع عشرة سنة كما هو صريح فى توراتهم .

وأن كتابهم نص على أن الله **أمر** أبرام - إبراهيم - **أن يذبح ابنه بكره .**

وفي لفظ وحيده .

وهل هناك شك أن إسماعيل عليه السلام هو بكر **إبراهيم عليهما السلام ؟؟؟**

وقد كشف وفضح القرآن العظيم كذب بنى إسرائيل **فقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ ﴾** [سورة **إبراهيم الآية : ٣٩**] .

أى رزق الله إبراهيم **إسماعيل ثم إسحاق** عليهم السلام .

قال عبد الله بن عباس :

ولد إسماعيل وهو - إبراهيم - ابن تسع وتسعين سنة **وإسحاق بعد عشر ومائة**

الذبيح هو إسماعيل عليه السلام .

تدل الآيات القرآنية والآثار عن الصحابة والتابعين ومنها ما صحت روايته عن الصادق المصدوق ﷺ بتقرير النبى الخاتم ﷺ له .

يقول عبد الله بن سعيد الصاحبي :

حضرنا مجلس معاوية بن أبى سفيان فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق عليهما السلام أيهما الذبيح ؟ فقال بعضهم :

- إسماعيل .

وقال البعض :

- إسحاق .

فقال معاوية :

على الخبير سقطتم ، كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابي فقال :

- يا رسول الله خلفت الكلأ يابسا والمال عابسا - المراد به الحياة أى عابسا من شدة الجوع والعطش - هلك العيال وضاع المال فعد على مما أفاء الله تعالى عليك يا ابن الذبيحين

فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه .

فقال القوم :

- من الذبيحين يا أمير المؤمنين ؟

قال معاوية بن أبى سفيان :

- إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل أمرها أن ينحر بعض بنيه فلما فرغ أسهم بينهم فكانوا عشرة فخرج السهم على عبد الله فأراد نحره فمنعه أخواله : بنو مخزوم وقالوا :

أرض ربك وافد ابنك .

ففداه بمائة ناقة .

قال معاوية :

هـذا واحـد والآخر إسماعيل (هـذا الحديـث فى حكـم المرفـوع لتقرير النبى ﷺ للأعرابي على مقالته وقد اختلف فيه فمن مصحح له ومن مضعف) .

وشهد شاهد من أهلها .

روى ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي :

أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة فقال له عمر :

- إن هذا الشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما قلت

ثم أرسل إلى رجل كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه وكان حبرا من أحبار يهود فسأله :

- أى ابني إبراهيم أمر بذبحه ؟

فقال :

- **إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب وهذا هو الحق الذى يجب أن يصار إليه .**

قال ابن كثير فى تفسيره :

والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه **إسماعيل أثبت وأصح وأقوي** (تفسير ابن كثير ، والبغوي ج ٧ ص ١٠٦) .

الإسرائيليات في قصة داود عليه السلام :

ومن الإسرائيليات التى تخل بمقام الأنبياء عليهم السلام وتنافي عصمتهم ما ذكره بعض المفسرين فى قصة نبى الله داود عليه السلام عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ** ﴾ [سورة ص الآية : ٢٢ - ٢٥] .

فقد ذكر ابن جرير وابن أبى حاتم والبغوي والسيوطي فى الدر المنثور من الأخبار ما تقشعر منه الأبدان ولا يوافق عقلا ولا نقلا عن ابن عباس ومجاهد ووهب بن منبه وكعب الأحبار ، والسدى غيرهم :

أن داود عليه السلام حدث نفسه إن ابتلى أن يعتصم فقيل له :

- إنك ستبتلى وستعلم اليوم الذى تبتلى فيه ، فخذ حذرك .

فأخذ داود عليه السلام كتابه - الزبور - ودخل المحراب وأغلق بابه ، وأقعد خادمه على الباب وقال له :

- لا تأذن لأحد اليوم .

فبينما داود عليه السلام هو يقرأ الزبور ، إذ جاءه طائر مذهب يدرج بين يديه ، فدنا منه ، فأمكن أن يأخذه ، فطار فوقع على كوة المحراب ، فدنا منه ليأخذه ، فطار ، فأشرف عليه لينظر أين وقع ، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض ، فلما رأت ظله نفضت شعرها فغطت جسدها به ، وكان زوجها أوريا بن حنان غازيا فى سبيل الله .

فكتب داود عليه السلام إلى رأس الغزاة :

أن اجعله فى حملة التابوت - صندوق فيه بعض مخلفات موسى وهارون عليهما السلام ، وكان بنو إسرائيل يقدمونه أمام الجيش كى ينتصروا .

وكان حملة التابوت إما أن يفتح عليهم وإما أن يقتلوا .

فقدم رأس الغزاة أوريا زوج هذه المرأة فى حملة التابوت . . فقتل .

وفي بعض الروايات الباطلة :

أنه فعل ذلك ثلاث مرات حتى قتل أوريا فى الثلاثة .

فلما انقضت عدتها خطبها داود عليه السلام فتسور عليه الملكان وكان ما كان مما حكاه القرآن العظيم ورفع ذلك إلى الذى لا ينطق عن الهوي ﷺ .

ولم يقف الأمر عند هذه الروايات الموقوفة عن بعض الصحابة والتابعين ومسلمة

أهل الكتاب بل جاء بعضها مرفوعا إلى صاحب الشفاعة ﷺ

قال ابن كثير فى تفسيره :

وقد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم ﷺ حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبى حاتم هنا حديثا **لا يصح سنده لأنه** من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد وإن كان من التابعين الصالحين **لكنه ضعيف** الحديث عند الأئمة .

ومن ثم يتبين لنا :

كذب رفع هذه الرواية المنكرة إلى إمام الخير ﷺ **ولا نكاد نصدق ورود هذا عن السراج المنير ﷺ وإنما هى اختلاقات وأكاذيب** ومن إسرائيليات **أهل الكتاب .**

وهل يشك مؤمن عاقل يقر بعصمة الأنبياء فى استحالة صدور هذا عن داود عليه السلام ؟ **ثم يكون على لسان من ؟** على لسان خاتم **الأنبياء ﷺ الحريص على تنزيه إخوانه الأنبياء عما لا يليق بعصمتهم .**

ومثل هذا التدبير السيئ والاسترسال فيه على ما رووا **لو صدر من رجل من سوقة** الناس وعامتهم لاعتبر هذا أمرا مستهجنا مستقبحا **فكيف يصدر من رسول جاء هداية** ورحمة للناس كافة ؟ زكت نفسه وطهرت سريرته **وعصمه العزيز الحكيم من الفواحش** ما ظهر منها وما بطن وهو الأسوة الحسنة لمن أرسل إليهم ؟

ولو أن هذه القصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود عليه السلام ولنفرت منه الناس ولكن لهم العذر فى عدم الإيمان به فلا يحصل المقصد الذى من أجله أرسل الرسل فكيف يكون على هذا الحال من قال الحق جل وعلا فى شأنه : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [سورة ص الآية : ٢٥] .

قال ابن كثير فى تفسيرها :

وإن له - داود عليه السلام - يوم القيامة لقربة يقربه الله ﷻ بها وحين **مرجع وهو :** الدرجات العالية فى الجنة لنبوته وعدله التام فى ملكه .

قال الصادق المصدوق ﷺ :

المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ، المقسطون على أهليهم وأولادهم وما ولوا (رواه ابن حبان عن عبد الله بن عمرو) .

وفي قصة داود عليه السلام وأوريا - زوج المرأة التى زعموا أن داود عليه السلام كان سببا فى قتله فلما انقضت عدتها تزوجها داود عليه السلام - خبر ثابت .

فقد قيل :

إن الذى صنعه داود أنه خطب على خطبة أوريا فآثره أهلها عليه وقد كانت الخطبة على الخطبة حرام فى شريعة بنى إسرائيل كما هى حرام فى شريعتنا .

وقيل :

إنه طلب من زوجها أوريا أن ينزل لها عنها وقد كان هذا فى شريعته ومستساغا عندهم .

وقيل:

إنه أوخذ لأنه حكم بمجرد سماعه كلام أحد الخصمين وكان عليه أن يسمع كلام الخصم الآخر .

وقيل :

إذا جاءك أحد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تحكم له لجواز أن يكون خصمه قد فقئت عيناه .

وهذه الأقوال الثلاثة ونحوها لست منها على ثلج ولا اطمئنان فإنها وإن كانت لا تخل بالعصمة لكنها تخدشها ثم هى لا تليق بالصفوة المختارة من الخلق وهم الأنبياء .

الإسرائيليات في قصة سليمان عليه السلام :

ومن الاسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [سورة ص الآية : ٣٤] .

ذكر ابن جرير وابن أبى حاتم والثعلبي والسيوطي فى الدر المنثور بسند قوي عن ابن عباس قال :

أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلاء - المرحاض - فأعطي لجرادة خاتمه وكانت جرادة امرأته وكانت أحب نسائه إليه فجاء الشيطان فى صورة سليمان فقال لها :

- هاتى خاتمى .

فأعطته فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين .

فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها :

- هاتى خاتمى .

فقالت :

- قد أعطيته سليمان .

قال سليمان بن داود عليهما السلام :

- أنا سليمان .

قالت :

- كذبت ، لست سليمان .

فجعل لا يأتي أحدًا يقول له :

أنا سليمان .

إلا كذبه ، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة .

فلما رأي ذلك عرف أنه من أمر الله ﷻ .

وقام الشيطان يحكم بين الناس .

فلما أراد الله تعالى أن يرد على سليمان عليه السلام سلطانه ألقي الله فى قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان فأرسلوا إلى نساء سليمان عليه السلام فقالوا لهن :

- أيكون من سليمان شيء ؟

قلن :

- نعم إنه يأتينا - يباشرنا - ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك .

فلما رأي الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع ، فكتبت الشياطين كتبا فيها سحر ومكر ودفنوها تحت كرسي سليمان عليه السلام ثم أخرجوها وقرأوها على الناس وقالوا :

- بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم .

فأكفر الناس سليمان فلم يزالوا يكفرونه .

وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه فى البحر فالتقطته سمكة فأخذته .

وكان سليمان عليه السلام يعمل على شط البحر بالأجر .

فجاء رجل واشتري تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم فدعا سليمان عليه السلام وقال له :

تحمل لى هذا السمك .

ثم انطلق إلى منزله فلما انتهي الرجل إلى باب داره أعطي سليمان عليه السلام تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم فأخذها سليمان عليه السلام فشق بطنها فإذا الخاتم فى جوفها فأخذه فلبسه فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين وعاد إلى حاله وهرب الشيطان .

ذكر القرطبي فى تفسيره أن الشيطان كان اسمه - صخر - حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان عليه السلام فى طلبه وكان شيطانا مريدا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاءوا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب فى مكان من البيت إلا دار معه الرصاص فأخذوه وأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان عليه السلام فأمر به فنقب له فى رخام ثم أدخل فى جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح فى البحر فذلك قوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ﴾ .

يعني الشيطان الذى كان تسلط عليه .

وروي السيوطي فى الدر المنثور روايات أخرى .

قال ابن عباس وقتادة :

هذا الشيطان كان يسمي صخرا

وقال مجاهد :

اسمه آصف .

وأن سليمان عليه السلام قال له :

- كيف تفتنون الناس ؟

فقال الشيطان :

- أرني خاتمك أخبرك .

فلما أعطاه سليمان عليه السلام الخاتم نبذه آصف فى البحر فساح سليمان وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه حتى كان ما كان من أمر السمكة والعثور على الخاتم ورجع ملك سليمان له .

ولا شك أن هذه الخرافات من أكاذيب وتلفيقات بنى إسرائيل وأباطيلهم وأن ابن عباس وغيره نقلوها عن مسلمة أهل الكتاب .

وقد أخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن ابن عباس قال :

أربع آيات من كتاب الله لم أدر ما هى ؟ حتى سألت عنهن كعب الأحبار

وذكر منها : وسألته عن قوله تعالى ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ .

قال الشيطان أخذ خاتم سليمان عليه السلام الذى فيه ملكه .

قال ابن كثير :

وهذه كلها من الإسرائيليات .

وقال القاضى عياض :

لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الأنبياء من مثله .

والحق أن نسج القصة مهلهل عليه أثر الصنعة والاختلاق ويصادم العقل السليم والنقل الصحيح فى هذا .

وقد تجرأ بعض الرواة أو أخطأ فرفع بعض هذه الإسرائيليات إلى رسول ﷺ فقال السيوطي فى الدر المنثور وأخرج الطبرانى فى الأوسط وابن مردويه بسند ضعيف عن أبى هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ :

ولد لسليمان ولد .

فقال للشيطان تواريه من الموت .

قالوا :

- نذهب به إلى المشرق .

فقال :

- يصل إليه الموت .

قالوا :

- فإلى المغرب .

قال :

- يصل إليه الموت .

قالوا :

- إلى البحار .

قال :

- يصل إليه الموت .

قالوا :

- نضعه بين السماء والأرض .

قال :

- نعم .

ونزل عليه ملك الموت فقال :

إني أمرت بقبض نسمة طلبتها في البحار وطلبتها في تخوم الأرض فلم أصبها فبينما أنا قاعد أصبتها وجاء جسده حتى وقع على كرسي سليمان فهو قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ﴾ وهذا الحديث موضوع على خاتم النبيين ﷺ وهذا من عمل الزنادقة أو غلط بعض الرواة

ما هو الصحيح في تفسير الفتنة ؟ :

جاء في الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله

فقال له صاحبه - قرينه من الملائكة - :

قل : إن شاء الله .

فلم يقل .

ولم تحمل واحدة منهن شيئا إلا واحدة جاءت بولد ساقط إحدي شقيه

فقال النبي ﷺ :

لو قالها - إن شاء الله - لجاهدوا في سبيل الله أجمعين

فهذا هو المتعين في الآية وخير ما يفسر به كلام الله هو ما صح عن حبيب الرحمن ﷺ

الإسرائيليات في قصة أيوب عليه السلام :

ومن القصص التي تزيد فيها المتزيدون واستغلها القصاصون وأطلقوا لخيالهم العنان :

قصة نبي الله أيوب عليه السلام فقد رووا فيها ما عصم الله أنبياءه عنه وصوروه بصورة لا يرضاها الله لرسول من رسله .

فقد ذكر بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ

وَلاَ تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص الآية : ٤١ - ٤٤].

قـال السيوطي في الدر المنثور وغيره عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ .... ﴾ .

قال :

ذهاب الأهل والمال والضر الذى أصابه فى جسده قال : ابتلي سبع سنين وأشهرا ، فألقي على كناسة بنى إسرائيل تختلف الدواب فى جسده ففرج الله عنه وأعظم له الأجر وأحسن

وأخرج أحمد فى الزهد وابن أبى حاتم وابن عساكر عن ابن عباس قال :

إن الشيطان عرج إلى السماء فقال :

- يارب ، سلطني على أيوب - عليه السلام - .

قال الله :

- قد سلطتك على ماله وولده ولم أسلطك على جسده .

فنزل فجمع جنوده فقال لهم :

- قد سلطت على أيوب - عليه السلام - فأروني سلطانكم .

فصاروا نيرانا .

ثم صاروا ماء .

فبينما هم بالمشرق إذا هم بالمغرب وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق .

فأرسل طائفة منهم إلى زرعه وطائفة إلى أهله وطائفة إلى بقره وطائفة إلى غنمه .

وقال :

- إنه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف فأتوه بالمصائب بعضها على بعض .

فجاء صاحب الزرع فقال :

- يا أيوب : ألم تر إلى ربك أرسل على زرعك عدوا فذهب بها

ثم جاء صاحب الإبل فقال :

- ألم تر إلى ربك أرسل على إبلك عدوا فذهب بها

ثم جاء صاحب البقر فقال :

- ألم تر إلى ربك أرسل على بقرك عدوا فذهب بها

وتفرد هو ببنيه ، جمعهم فى بيت أكبرهم فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم .

وجاء الشيطان إلى أيوب عليه السلام بصورة غلام فقال :

- يا أيوب : ألم تر إلى ربك جمع بنيك فى بيت أكبرهم فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم ولحومهم بطعامهم وشرابهم .

فقال أيوب عليه السلام :

- أنت الشيطان .

ثم قال له :

- أنا اليوم كيوم ولدتني أمى .

فقام فحلق رأسه وقام يصلى .

فرن إبليس رنة سمع بها أهل السماء والأرض ثم خرج إلى السماء فقال :

- أى رب إنه قد اعتصم فسلطني عليه فإنى لا أستطيعه إلا بسلطانك .

قال :

- قد سلطتك على جسده ولم أسلطك على قلبه .

فنزل ونفخ تحت قدمه نفخة قرح ما بين قدميه إلى قرنه فصارت قرحة واحدة وألقي على الرماد حتى بدا حجاب قلبه فكانت امرأته تسعي إليه حتى قالت له :

- أما ترى يا أيوب ؟ قد نزل بى والله من الجهد والفاقة ما إن بعت قروني -شعرى-

برغيف فأطعمك فادع الله أن يشفيك ويريحك .

قال :

- ويحك كنا فى النعيم سبعين عاما فاصبري حتى نكون فى الضر سبعين عاما .

فكان فى البلاء سبع سنين .

ودعا فجاء جبريل عليه السلام يوما فأخذ بيده ثم قال :

- قم .

فقام فنحاه عن مكانه وقال :

- اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب .

فركض برجله فنبعت عين فقال جبريل عليه السلام :

- اغتسل .

فاغتسل أيوب عليه السلام منها .

ثم جاء أيضا فقال :

- اركض برجلك .

فركض برجله فنبعت عين أخرى فقال له :

- اشرب منها .

وهو قوله ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾

وألبسه الله حلة من الجنة .

فتنحي أيوب عليه السلام فجلس فى ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت :

- يا عبد الله ، أين المبتلي الذى كان هنا ؟ لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب

وجعلت تكلمه ساعة فقال أيوب عليه السلام :

- ويحك أنا أيوب ، وقد رد الله على جسدى

ورد الله عليه ماله وولده عينا ومثلهم معهم (الدر المنثور ج ٥ ص ٣١٥- ٣١٦)

وذكر ابن جرير وابن أبى حاتم الكثير من هذه الروايات فى تفسيريهما منها :

ما هو موقوف وبعضها مرفوع إلى النبى ﷺ

وذكر البغوي وابن جرير وغيرهما عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء الآية : ٨٢- ٨٣] .

الكثير من الاسرائيليات التبس فيها الحق بالباطل والصدق بالكذب (تفسير البغوي على هامش تفسير ابن كثير ج٥ ص ٥٠٦ - ٥١٨) .

الحق فى هذه القصة .

دل كتاب الله الصادق على لسان حبيبه ﷺ على أن الله تبارك وتعالى ابتلي نبيه **أيوب عليه السلام فى جسده وأهله وماله وأنه صبر حتى صار مضرب الأمثال فى ذلك .**

وقد أثنى الحق جل وعلا عليه هذا النشاط المستطاب فقال: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص الآية : ٤٤] .

فالبلاء مما لا يجوز أن يشك فيه أبدا والواجب على المسلم أن يقف عند كتاب الله ولا يتزيد فى القصة كما تزيد زنادقة أهل الكتاب وألصقوا بالأنبياء ما لا يليق بهم

وليس هذا بعجيب من بنى إسرائيل الذين لم يتجرأوا على أنبياء الله ورسله فحسب **بل تجرأوا على الغني الحميد ونالوا منه وفحشوا عليه ونسبوا إليه ما قامت الأدلة العقلية** والنقلية المتواترة على استحالته عليه سبحانه وتعالى من قولهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٨١] وقولهم ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ [سورة المائدة الآية : ٦٤] .

عليهم لعائن الله .

والذي يجب أن نعتقد أنه ابتلي ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب من أنه أصيب بالجذام مرض من أخبث الأمراض وأقذرها وأن جسمه أصبح قرحة وأنه ألقي على مزبلة وكناسة بنى إسرائيل يرعي فى جسده الدود وتعبث به داوب بنى إسرائيل أو أنه أصيب بمرض الجدري .

فأيوب عليه السلام أكرم على الله من أن يلقي على مزبلة وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته ويقززهم منه وأي فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المزرية التى لا يرضاها الله ﷻ لأنبيائه ورسله ؟

والأنبياء عليهم السلام إنما يبعثون من أوساط - خيارهم وأكرمهم نسبا وعشيرة - قومهم فأين كانت عشيرة أيوب عليه السلام فتواريه وتطعمه ؟ بدلا من أن تخدم امرأته الناس بل وتبيع ضفير تيها فى سبيل إطعامه؟

وأين كان أتباع أيوب عليه السلام والمؤمنون به ؟ هل تخلوا عنه فى بلائه ؟ وكيف؟ والإيمان ينافي ذلك ؟

الحق : أن نسج القصة مهلهل لا يثبت أمام النقد ولا يؤيده عقل ولا نقل صحيح ، وأن ما أصيب به أيوب عليه السلام من المرض إنما كان من النوع غير المنفر والمقزز وأنه من الأمراض التى لا يظهر أثرها على البشرة كالروماتيزم وأمراض المفاصل والعظام ونحوها ويؤيد ذلك أن الله ﷻ أمره أن يضرب الأرض بقدمه نبعت عين حارة فاغتسل منها وضربها أخرى فنبعت عين باردة فشرب منها .

الإسرائيليات في قصة إرم ذات العماد :

ومن الإسرائيليات ما ذكره بعض المفسرين كالطبري والثعلبى والزمخشري وغيرهم في تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ [سورة الفجر الآية : ٦ - ٨] .

فقد زعموا أن إرم مدينة وذكروا فى بنيانها وزخارفها ما هو من قبيل الخيال .

ورووا فى ذلك أنه كان لعماد ابنان: شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا وسمع بذكر الجنة فقال :

- أبني مثلها .

فبني إرم فى بعض صحاري عدن فى ثلاثمائة سنة وهي مدينة عظيمة وسورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت .

ولما تم بناؤها سار إليها بأهب - جمع أهبة بضم الهمزة والأهبة : العدة - مملكته ،

فلما كان منها مسيرة يوم وليلة بعث القوي العزيز عليهم صيحة من السماء فهلكوا .

وروي وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة :

أنه خرج فى طلب إبل له فوقع عليها - يعني مدينة إرم - فحمل منها ما قدر عليه ، وبلغ خبره معاوية فاستحضره وقص عليه ، فبعث إلى كعب الأحبار فسأله عنها فقال :

- هى إرم ذات العماد ، وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانه أحمر ، أشقر ، قصير ، على حاجبه خال .

ثم التفت ، فأبصر ابن قلابة فقال :

- هذا والله ذاك الرجل .

وهذه القصة موضوعة .

وروى أن إرم : مدينة دمشق .

وقيل :

مدينة الإسكندرية .

وكل ذلك من خرافات بنى إسرائيل ومن وضع زنادقتهم ، ثم رواها مسلمة أهل الكتاب فيما رواه ، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين وألصقت بتفسير القرآن الكريم .

- الصحيح فى تفسير الآية :

إن المراد بعاد : إرم ذات العماد قبيلة عاد المشهورة التى كانت تسكن الأحقاف شمالي حضرموت وهى عاد الأولى التى ذكرها الحق جل وعلا فى سورة النجم ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى ﴾ .

ويقال لمن بعدهم : عاد الآخرة وهم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح وهم الذين بعث فيهم رسول الله هود عليه السلام فكذبوه وخالفوه ، فأنجاه الله ومن بين أظهرهم ومن آمن معه من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكها ﴿ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ

أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ٦٩] .

وقد ذكر الله ﷻ قصتهم فى القرآن فى غير موضع ليعتبر بمصرعهم المؤمنون .

ومهما يكن من تفسير ذات العماد فالمراد القبيلة وليس المراد مدينة .

وما روى فى عظم طولهم لا يصح ليس من قوتهم فى عظم خلقهم وشدة بطشهم أنهم خارجون عن المألوف فى الفطرة **فمن ثم لا نكاد نصدق ما روى فى عظم أجسامهم وخروج طولهم عن المألوف المعروف حي فذف هذه الأزمنة .**

كما لا نكاد نصدق ما روى عن المعصوم ﷺ فى هذا فقد روى ابن أبى حاتم عن المقدام بن معد يكرب عن النبى ﷺ أنه ذكر إرم ذات العماد فقال :

كان الرجل منهم يأتي إلى الصخرة فيحملها على كاهله فيلقيها على أى حي فيهلكهم (تفسير ابن كثير ج ٨) .

وروي مثله ابن مردويه (الدر المنثور ج ٦ ص ٣٤٧) .

ولعن الله من نسب مثل هذا إلى الصادق المصدوق ﷺ ولا شك أن هذا من عمل زنادقة اليهود الذين عجزوا عن مقاومة سلطان الإسلام فسلكوا فى محاربته مسلك الدس والكذب والاختلاق بنسبة أمثال هذه الخرافات إلى الذى لا ينطق عن الهوي ﷺ

الإسرائيليات والخرافات فيما يتعلق بعمر الدنيا وبدء الخلق وأسرار الوجود وتعليل بعض الظواهر الكونية .

ومن الإسرائيليات والموضوعات التى اشتملت عليها كتب التفسير وغيرها كثير مما يتعلق بعمر الدنيا وبدء الخلق وأسرار الوجود وأسباب الكائنات وتعليل بعض الظواهر الكونية تعليلا باطلا غير صحيح .

وقد جاء معظمه موقوفا على الصحابة والتابعين وجاء بعضه مرفوعاً إلى المعصوم ﷺ وهنا تكون الطامة الكبري لأن هذه الروايات متهافتة باطلة ونسبتها إلى الصادق المصدوق ﷺ من الخطورة بمكان .

وكأن الذين وضعوا هذه الاسرائيليات والخرافات وألصقوها بسيد الأولين والآخرين ﷺ زورا وبهتاناً فهم كانوا يدركون بعد نظرهم أنه سيأتي اليوم الذى تتكشف

فيه الحقائق العلمية والكونية ولن تعرف التعليلات الصحيحة لسنن الله فى الكون فنسبوا هذه الخرافات إلى المصطفي ﷺ .

ما يتعلق بعمر الدنيا :

ذكروا أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وأن محمدًا ﷺ بعث فى آخر السادسة .

فقد ورد ذلك مرفوعا إلى النبى ﷺ وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع فى كتابه الموضوعات وأحر به أن يكون مختلقاً مكذوباً على رسول ﷺ

ما يتعلق بخلق الشمس والقمر :

ذكر ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والثعلبى وغيرهم من المفسرين عن تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ [سورة الاسراء الأية : ١٢] .

فقد رووا عن ابن عباس أنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله لما أبرم خلقه فلم يبق من خلقه غير آدم عليه السلام خلق شمسا من نور عرشه فأما ما كان فى سابق علم الله أن يدعها شمسا فإنه خلقها مثل الدنيا ، ما بين مشارقها ومغاربها ، وأما ما كان فى سابق علمه يطمسها ويحولها قمرا ، ولو تركها الله كما خلقها فى بدء الأمر لـم يعـرف الليل مـن النهار ولا النهار من الليل ولا كان الأجير له وقت يستريح فيه ولكان الصائم لا يدري إلى متي يصوم ومتي يفطر؟ .

إلى أن قال :

فأرسل جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات وهو يومئذ شمس فمحا عنه الضوء وبقي فيه النور فذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾ فالسواد الذى ترونه فى القمر هو أثر ذلك المحو .

وكذلك روى هذا الباطل ابن أبى حازم وابن مردويه وسنده واه لأن فيه نوح بن أبى مريم وضاع دجال وقد حكم عليه ابن الجوزي بالوضع والاختلاق (اللآلىء

المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ج١ ص ٢٤ وما بعدها) .

وما كان طبيب القلب والعقول، والنفوس ﷺ يتعرض للكونيات بهذا التفصيل

ولما سئل الذى لا ينطق عن الهوي ﷺ عن الهلال لم يبدو صغيرا ثم يكبر حتى يصير بدرا ثم يصغر ؟

أجاب بالفائدة فقال :

﴿ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ .

لأن بالأهلة تعرف السنون والشهود وعليها تتوقف مصالح الناس الدينية والدنيوية فيها يعرفون حجهم وصومهم وإخراج زكاتهم وحول أجال ديونهم ونحوها وليس من الحكمة التعرض لمثل هذه الكونيات بالتفصيل فتركها لعقول الناس أولي

ما يتعلق بتعليل بعض الظواهر الكونية :

ذكر بعض المفسرين أن الشمس إذا غربت ابتلعها حوت ، وما يتعلق بالسماوات والأجرام السماوية ومن أى الجواهر هى: والأرض وعلام استقرت وأنها على ظهر حوت وما يذكرونه فى تعليل برودة مياه الآبار فى الصيف وسخونتها فى الشتاء ، وعن منشأ الرعد والبرق وعن منشأ السحاب إلى نحو ذلك مما لا نصدق وروده عن المعصوم ﷺ وما ورد منه موقوفا فمرجعه إلى الاسرائيليات الباطلة أو إلى الزنادقة الذين أرادوا أن يظهروا الإسلام بمظهر الدين الخرافي الذى ينافي العلم والسنن الكونية .

فقد روى عن أبى أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال :

وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم ، لولا ذلك ما أتت على شئ إلا أحرقته (رواه الطبرانى) .

وفى هذا الحديث عقير بن معدان وهو ضعيف جدًا ، ولو أن الحديث صحيح السند أو ثابت لحملنا وقلنا :

إنه من قبيل التمثيل .

أما وهو بهذا الضعف فلنلق به دبر آذاننا .

وعن ابن عمر قال :

سئل النبى ﷺ فقيل : أرأيت الأرض على ما هى ؟

قال :

- على ظهر حوت يلتقي طرفاه بالعرش .

قيل :

- الحوت ما هو ؟

قال :

على كاهل ملك قدماه فى الهواء (رواه البزار عن شيخه عبد الله بن أحمد يعني ابن شبيب وهو ضعيف) .

ما ذكره المفسرون في الرعد والبرق في كتبهم :

كتب المفسرون بالمأثور وغيره فقالوا :

إن الرعد ملك يسوق السحاب وأن الصوت المسموع صوت تسبيحه وأن البرق أثر من المخراق الذى يزجر به السحاب أو لهيب ينبعث منه ، على أن المخراق من نار وذلك عند تفسيره قوله تعالى ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ [سورة الرعد الآية : ١٣] ويكاد لم يسلم من ذلك أحد منهم إلا أن منهم من يحاول أن يوفق بين ظاهر الآية وما قاله الفلاسفة الطبيعيون فى الرعد والبرق فيؤول الآية منهم : من يبقي الآية على ظاهرها وينحى باللائمة على الفلاسفة وأضرابهم .

فقال أكثر المفسرين :

إن الرعد اسم الملك الذى يسوق السحاب والصوت السموع منه تسبيحه

ومن العلماء من قال :

إن تسبيح الرعد بلسان الحال لا بلسان المقال حيث شبه دلالة الرعد على قدرة الله وعظمته وأحكام صنعته وتنزيهه عن الشرك والعجز بالتسبيح والتحميد

أقوال الرسول ﷺ عند سماع الرعد والبرق :

روت أحاديث صحاح حسان تبين ما كان يقوله السراج المنير ﷺ عند حدوث هذه الظواهر الكونية وهي تدل على كمال المعرفة بالله ﷻ وأنه سبحانه هو المحدث لها .

أخرج أحمد والبخاري فى الأدب المفرد والترمذي والنسائي عن ابن عمر قال :

كان رسول الله ﷺ إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال :

اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك .

لأن احتمال الإهلاك والتعذيب بهذه الآيات الكونية أمر قريب ممكن .

وأخرج أبو داود فى مراسيله عن عبد الله بن أبى جعفر :

أن قوما سمعوا الرعد فكبروا فقال رسول الله ﷺ :

إذا سمعتم الرعد فسبحوا ولا تكبروا .

وذلك لما فيه من التأدب بأدب القرآن وأسلوبه فى قوله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ .

الإسرائيليات في تفسير ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾ :

ذكر كثير من المفسرين فى قوله تعالى: ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾ [سورة القلم الآية : ١] .

أنه الحوت الذى على ظهره الأرض ويسمى البهموت ، وأن الأرض على صخرة والصخرة على قرن ثور ، فإذا حرك الثور قرنه تحركت الصخرة وهذا من الإسرائيليات ووضع أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء بالرسل .

****

مناظرات الصادق المصدوق ﷺ واليهود

منذ أن علم السفهاء ببعث حفيد إسماعيل عليه السلام لدغت عقارب الحسد والحقد قلوبهم ، كانوا يريدون حفيد إسحاق عليه السلام خاتم النبيين ﷺ ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾ [سورة الزخرف الآية: ٣٢] هل يضعون النبوة حيث شاءوا؟

ولما سمعوا بالنبي الأمي العربي القرشي الهاشمي المكي ﷺ أوقدوا نار الحرب لدعوته فكيف يكون للعرب فضل عليهم؟

* لما بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ليسألا يهود يثرب عن المبعوث للناس كافة ﷺ عقدوا العزم على محاربة دعوته والتصدي له بكل الوسائل على الرغم من أنهم يعلمون علم اليقين أنه بشارة عيسى عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [سورة الصف الآية: ٦] وكانوا يقرأون صفته في التوراة ، بل كانوا يستنصرون به ﷺ قبل بعثه على مشركي العرب ويقولون لهم:

- سوف يبعث نبى آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم .

فلما بعث الله حبيبه ﷺ من العرب كفروا به وقالوا:

- لا نعرفه .

بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما:

- سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته ، وأخبراهم .

فسألا أحبار يهود عن رسول ﷺ ووصفا لهم أمره وقالا:

- إنكم أهل الكتاب الأول - التوراة - وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .

فقال لهما أحبار يهود .

- سلوه عن ثلاثة أمور ، فإن أخبركم فهو نبى مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم .

- سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديث عجب ، وسلوه عن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبأه؟

وسلوه عن الروح ما هى؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه ، فإنه نبى ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم؟

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا :

- يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد .

فبعثوا إلى أبى القاسم ﷺ فجاء فقالوا :

- يا محمد : أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب ، وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ما هى؟

فقال لهم الرحمة المهداة ﷺ .

- أخبركم بما سألتم عنه غدا .

ولم يستثن - لم يقل : إن شاء الله .

فمكث الذى يأتيه الوحي من السماء ﷺ خمسة عشر يوما لا يحدث الله إليه فى ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل عليه السلام .

حتى أوجف أهل مكة وقالوا :

- وعدنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة ليلة ، قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشئ مما سألناه عنه .

وحتي أحزن رسول ﷺ مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاء جبريل من الله ﷻ بسورة الكهف .

فرد الصادق المصدوق ﷺ على قريش فيما سألو عنه من شأن الفتية فقال : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ [سورة الكهف الآية : ٩] ، أى قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حججي هو أعجب من ذلك .

أما الرجل الطواف فقال عليه الصلاة والسلام :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [سورة الكهف الآية : ٨٣ - ٨٤] وكان من خبر ذي القرنين أنه أوتي مالم يؤت أحد غيره ، فمدت له الأسباب حتى انتهي من البلاد إلى مشارق

الأرض ومغاربها ، لا يطأ أرضا إلا سلط على أهلها ، وحتي انتهي من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شئ من الخلق .

أما أمر الروح فقال عليه الصلاة والسلام:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [سورة الكهف الآية ٨٥] .

فلما سمعت قريش ذلك انقسموا بين مصدق ومكذب وهاجوا وماجوا . . وتفرقوا وهم يقولون:

- صدق محمد .

وآخرون يقولون:

- إنه متقول .

* ومنذ أن هاجر النبى الخاتم ﷺ من مكة إلى المدينة قرر السفهاء أن يسألوه ﷺ عن أشياء فيلبسوا الحق بالباطل ولكن الوحي كان ينزل عليه فيما يسألوه عنه .

جاءت ذات يوم ناس من يهود فقالوا:

- صف لنا ربك ، فإن الله أنزل نعته فى التوراة ، فأخبرنا من أى شيء هو؟ ومن أى جنس هو؟ أذهب هو أم نحاس أم فضة؟ وهل يأكل ويشرب؟ وممن ورث الدنيا ومن يورثها؟ .

كانوا يتحدثون فى صلف كأنما كانت عندهم خزائن علم العليم الخبير ، وما خطر لهم على بال أن صفات الله التى نزلت على موسى عليه السلام قد اعتورها ما اعتور التوراة من تحريف وتغيير وتبديل فى أرض السبي ، وأنهم لما كانوا منهزمين مخذولين فى بابل راحوا يصورون إلههم يهوه إلها صحراويا قاسيا يحب سفك الدماء ويبارك الخديعة والغش والبهتان ، إلها صاغته أمانيهم فهو لبني إسرائيل وحدهم دون الناس .

أنزل السميع البصير على سيد الأولين والآخرين ﷺ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص الآية ١ - ٤] .

* ذات ضحي انطلق الصاحبيان الجليلان معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور إلى جيرانهم اليهود وقالا:

- يا معشر يهود: اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك وكفر ، وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته .

فقال سلام بن مشكم من عظماء يهود بنى النضير:

- ما جاءنا بشئ نعرفه ، ما هو الذى كنا نذكره لكم .

فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية: ٩٨].

*** وجاء يهودى إلى أبى القاسم ﷺ فقال:**

- يا محمد: إن الله يمسك السماوات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع ، والخلائق على أصبع .

ثم يقول:

- أنا الملك .

يقول عبد الله بن عمر:

رأيت رسول ﷺ على المنبر يخطب الناس بهذه الآية: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة الزمر الآية: ٦٧].

فقال رسول الله ﷺ :

- يأخذ السماوات والأرضين السبع فيجعلها فى كفة ، ثم يقول بهما كما يقول الغلام بالكرة أنا الله الواحد ، أنا الله العزيز .

حتى رأينا المنبر وأنه ليكاد أن يسقط به (أخرجه أحمد فى المسند ، ج ٢ حديث ٥٤١٥ ، ٥٦١٢).

*** وعندما صرفت القبلة عن الشام إلى مكة ، استغل السفهاء هذا الحادث وقاموا** بمناورات خبيثة هدفها زعزعة إيمان المسلمين والناس بالدين الجديد ومحاولة فتنة النبى ﷺ نفسه ليعصي أمر الله .

فقد جاءه نفر من زعماء يهود: رفاعة بن قيس ، وقردم بن عمرو بن الأشرف ،

وكنانة بن الربيع وغيرهم . . . وقالوا :

- يا محمد ، ما ولاك عن قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك .

إنما يريدون بذلك أن يعود إلى قبلة اليهود وفتنه فى دينه ، فلم يستجب لهم المعصوم المصطفي ﷺ ، ففسدت مناورتهم الخبيثة ، وأنزل السميع البصير: ﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٤٢] ولقد كان هؤلاء اليهود فى إرهاقهم النبى ﷺ وإعناته بالأسئلة وإثارة الشبه على غاية من المكر والخبث واغتنام الفرص التى يظنون أنها تشد من باطلهم .

*** ذات يوم حاول السفهاء على حين غفلة أن ينتزعوا من أبى القاسم ﷺ شهادة بأنهم على الحق بنص القرآن فسألوا السراج المنير ﷺ :**

- يا محمد: ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة ، وتشهد أنها من الله حق؟

قال كاشف الغمة ﷺ :

- بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها ، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس ، فبرئت من أحداثكم .

فقالوا والمغالطة تقودهم:

- فإنما نأخذ بما فى أيدينا ، فإنا على الهدى والحق ولا نؤمن بك ولا نتبعك .

فأنزل تبارك وتعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [سورة المائدة الآية: ٦٨] .

*** وكانت تبلغ بهؤلاء اليهود الوقاحة أحيانا إلى أن يكذبوا على الصادق المصدوق ﷺ صراحة لينفروا الناس عنه وعن دينه الحنيف .**

فذات ضحي عقد المبعوث للناس كافة ﷺ مجلسا حضره أحبار يهود المدينة ونصارى

نجران ، ولما دعاهم إلى الإسلام قال أحد زعماء يهود :

- أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم .

وهنا تحرك أحد رهبان نجران لما سمع افتراء اليهود، واتجه بالسؤال إلى حبيب الرحمن ﷺ قائلا :

- أوذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا؟

فقال خاتم النبيين ﷺ :

- **معاذ الله أن أعبد غير الله آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثني الله ولا أمرني .**

فسأله جبل بن أبى قشير وشمويل بن زيد :

- يا محمد : أخبرنا عن الساعة ، متي تقوم؟

إلى هذا الحد بلغ تعنت السفهاء ، بالأسئلة؟

أجاب القرآن على هذا السؤال المحرج فأنزل الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ١٨٦] .

*** وذات يوم جاء رهط من يهود ليطلبوا من أبى القاسم ﷺ ما ليس فى مقدوره ليوهموا الناس أنه ليس نبيا فقالوا :**

- أحق يا محمد أن هذا الذى جئت به الحق من عند الله؟ فإنا لا نراه متسقا كما تتسق التوراة؟

فقال عليه الصلاة والسلام :

أما والله أنكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة .

فغيروا مجرى الحديث وسألوه فى سخرية :

أما يعلمك هذا أنس ولا جن؟

فقال سيد الأولين والآخرين ﷺ :

- **أما والله أنكم لتعلمون أنه من عند الله ، وأني لرسول الله تجدون ذلك مكتوبا**

عندكم فى التوراة

فغيروا مجرى الحديث مرة أخرى وقالوا :

- يا محمد : فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ويقدر منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتابا من السماء نقرأه ونعرفه وإلا جئناك بمثل ما تأتي به

فأخرسهم العزيز الحكيم وأنزل على نبيه قوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء الآية : ٨٨] .

*** جاء رهط من يهود صاحب الشفاعة ﷺ فقالوا له :**

- يا محمد ، هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله؟

لا فرق بين سؤال السفهاء ووسوسة الشيطان ، غضب صاحب الخلق العظيم ﷺ حتى انتقع لونه فجاء جبريل على السلام بالجواب على السؤال الخطير المحرج من السماء ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [سورة الاخلاص الآية : ١ - ٤] .

فلما تلا الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ هذا الذى نزل به القرآن سدروا فى تعنتهم وأوغلوا فى عبثهم واستهتارهم فقالوا :

- يا محمد : صف لنا كيف ذراعه؟ كيف عضده؟

فغضب النبى الخاتم ﷺ أشد من غضبه الأول .

فأتاه جبريل عليه السلام : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الزمر الآية : ٦٧] .

*** وجاء حبران يهوديان وسألا السراج المنير ﷺ عن خلق السماوات : أى فى أى زمن؟ والأرض وما بينهما ، أى مدة ما بينهما؟**

فقال عليه الصلاة السلام لهما :

- خلق الله الأرض فى يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال وما فيها يوم الثلاثاء أى ولذلك يقول الناس : إنه يوم ثقيل

وخلق البحر والماء والمدائن والعمران والخراب يوم الأربعاء .

وخلق السماوات يوم الخميس ، وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة

قالا :

- ثم ماذا يا محمد؟

قال ﷺ :

- ثم استوي على العرش .

قالا :

- قد أصبت لو تممت ثم استراح .

أى لو قلت هذا اللفظ ، لأن اليهود يقولون :

- إنه استراح جل وعز يوم السبت .

ومن ثم يسمونه يوم الراحة .

فأنزل تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [سورة ق الآية : ٣٨] .

وما مسنا من لغوب : أى مسنا من تعب ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ .

* وجاء يهوديان إلى المبعوث للناس كافة ﷺ فسألاه عن قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [سورة الإسراء الآية : ١٠١] .

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- لاتشركوا بالله شيئا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا تسرقوا .

واستمر صاحب الخلق العظيم ﷺ يتلو عليهما وصايا موسى عليه السلام ، واليهوديان يصغيان إليه فى دهش وهما يعجبان من أين له هذا العلم؟

حتى انتهي من حديثه قالا فى انفعال :

- نشهد أنك نبى .

فتساءل خاتم النبيين ﷺ .

- ما يمنعكما أن تسلما؟

قالا :

- نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا يهود .

*** وجاء الذين أولعوا بالجدل أبا القاسم ﷺ فقالوا له :**

- كيف تقول أنك على ملة إبراهيم وأنت **تأكل لحوم الإبل وتشرب ألبانها؟ وكان** ذلك محرما على نوح وإبراهيم حتى انتهي إلينا في **التوراة ، فنحن أولي الناس بإبراهيم** منك ومن غيرك .

فقال عليه الصلاة والسلام :

- إن إسرائيل - يعقوب - هو الذى حرم على نفسه بعض الطعام قبل أن تنزل التوراة

فسألوه عليه السلام :

- أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه **قبل أن تنزل التوراة؟**

قال صاحب الشفاعة ﷺ :

- أنشدكم الله تعالى الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا شديدا أو طال سقمه فنذر لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه ، فكان **أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها .**

قالوا :

- اللهم نعم .

كان يعقوب عليه السلام أصيب بعرق النسا **وكان إذا طعم ذلك هاج به ، فنذر لله** ليحرمن أحب الطعام إليه وأحب الشراب **وما كان ذلك تشريعا من الله ﷻ ، وما حرم** الله دلك على أنبيائه كما زعم السفهاء من قبل أن تنزل التوراة فأنزل العليم الخبير **﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَمَنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾** [سورة آل عمران الآية : ٩٣ - ٩٤]

وأنزل الحق جل وعلا ردًا على زعمهم بأنهم أولى الناس بإبراهيم ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران الآية: ٦٥ - ٦٨].

ففغر السفهاء أفواههم دهشة وكأنما ما سمعوا كان شيئا جديدًا لم يسمعوا به من قبل وإن كان حقيقة واقعة فخليل الرحمن قد كان قبل أن يكون موسى عليه السلام وكلمة الله وروحه ، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا بعده ، فكيف يكون إبراهيم عليه السلام يهوديا أو نصرانيا وما كانت اليهودية أو النصرانية قد جاءتا إلى الوجود؟

وقيل:

جاءت عصابة من يهود رسول الله ﷺ فقالوا:

- يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبى .

فتساءل كاشف الغمة ﷺ :

سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لى ذمة وما أخذ يعقوب على نبيه لإن أنا حدثتكم عن شيء فعرفتموه لتتابعني على الإسلام

فقالوا:

- ذلك لك .

- فقال الصادق المصدوق ﷺ

- **سلوا عما شئتم .**

قالوا:

- أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن: أخبرنا أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبى فى التوارة ومن وليه من الملائكة؟

فقال صاحب لواء الحمد ﷺ:

- عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعنى؟

فأعطوه ما شاء الله من عهد وميثاق .

فقال إمام الخير ﷺ:

- ناشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل - يعقوب - مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرًا لئن عافاه الله من مرضه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها؟

قالوا:

- اللهم نعم .

فقال أبو القاسم ﷺ :

- اللهم اشهد عليهم وأنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض وأن ماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله ﷻ ، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرا بإذن الله ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله ﷻ .

قالوا:

- اللهم نعم .

قال عليه الصلاة والسلام:

- اللهم اشهد وأنشدكم الله الذى نزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبى الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟

قالوا:

- اللهم نعم .

قال سيد الأولين والآخرين ﷺ:

- اللهم اشهد .

قالوا :

- أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة؟ فعندها نجامعك أو نفارقك

قال السراج المنير ﷺ :

- فإن ولى جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه .

قالوا :

- عندها نفارقك ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك

فتساءل ﷺ :

- فما يمنعكم أن تصدقوه؟

قالوا :

- إنه عدونا .

فأنزل الله تعالى : ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ** ﴾ [سورة البقرة الآية : ٩٧ - ٩٨] .

*** قامت خصومة بين رجل من المنافقين وبين يهودى .**

فقال اليهودى :

- انطلق بنا إلى محمد .

فقال المنافق :

- بل نأتي كعب بن الأشرف .

كان اليهودى يعلم أن محمداً ﷺ لن يجور عليه وسيقضي بالحق وكان المنافق على يقين أن إمام الزاهدين ﷺ لا يقبل رشوة بينما يستطيع أن يرشو كعب بن الأشرف .

وأبى اليهودى إلا رفع الخصومة إلى الصادق المصدوق ﷺ ، فلما رأى المنافق ذلك أتى أبا القاسم ﷺ واختصما إليه .

فقضى صاحب الخلق العظيم ﷺ لليهودي .

فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال :

- ننطلق إلى الفاروق عمر .

فأقبلا إلى ابن الخطاب فقال اليهودى :

- اختصمنا أنا وهذا إلى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه مخاصم إليك ، وتعلق بى فجئت إليك معه .

فقال الفاروق للمنافق :

- أكذلك؟

قال المنافق :

- نعم .

فقال عمر بن الخطاب للمنافق واليهودي :

- رويدا حتى أخرج إليكما .

فدخل أبوحفص وأخذ السيف فاشتمل عليه ثم خرج إليهما وضرب به المنافق حتى برد وقال :

- هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله .

فأنزل السميع العليم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [سورة النساء الآية : ٦٠ - ٦١] .

* يقول ثوبان مولى رسول ﷺ :

كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود وقال :

- السلام عليك يا محمد .

فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال :

- لم تدفعني؟

فقلت:

- ألا تقول: يا رسول الله؟

قال اليهودى:

- إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله.

فقال رسول الله ﷺ:

- إن اسمي محمد الذى سماني به أهلى.

فقال اليهودى:

- جئت أسألك.

فقال رسول الله ﷺ:

- أينفعك شيء إن حدثتك؟

فقال اليهودى:

- اسمع بأذنى.

فنكت رسول الله ﷺ بعود معه وقال:

- سل.

فقال اليهودى:

- أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟

فقال رسول الله ﷺ:

- هم فى ظلمة دون الجسر.

قال اليهودى:

- فمن أول الناس إجازة - الإجازة: عبور الصراط -؟

قال رسول الله ﷺ:

- فقراء المهاجرين .

قال اليهودى :

- فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟

قال رسول الله ﷺ :

- **زيادة كبد النون - الحوت .**

فقال اليهودى :

- فما غذاؤهم على أثرها؟

قال رسول الله ﷺ :

- **ينحر لهم ثور الجنة الذى يأكل من أطرافها .**

قال اليهودى :

- فما شرابهم عليه؟

قال رسول الله ﷺ :

- **من عين فيها تسمي سلسبيلا .**

قال اليهودى :

- صدقت .

ثم قال اليهودى :

- وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان

قال النبى ﷺ :

- **ينفعك إن حدثتك؟**

قال اليهودى :

- اسمع بأذنى .

ثم قال :

- جئت أسالك عن الولد .

قال رسول الله ﷺ :

- ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل ماء المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا ماء المرأة منى الرجل أنثا بإذن الله .

قال اليهودى :

- صدقت ، وإنك لنبى .

ثم انصرف .

فقال رسول الله ﷺ :

- لقد سألني هذا عن الذى سألني عنه ، ومالى علم بشيء منه حتى أتاني الله به - جاءني به جبريل عليه السلام - (رواه مسلم كتاب الطهارة ، والنسائي فى عشرة النساء) .

• تقول أم المؤمنين عائشة :

دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا :

- السام - الموت - عليكم .

ففهمتها فقلت :

- عليكم السام واللعنة .

فقال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

- مهلا يا عائشة فإن الله يحب الرفق فى الأمر كله .

فقلت :

- يا رسول الله : أو لم تسمع ما قالوا؟

قال النبى ﷺ :

- فقد قلت وعليكم (رواه البخارى باب الاستئذان ، ومسلم كتاب السلام ، والترمذي فى الاستئذان) .

• وقال أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ :

إن يهودياً سلم على رسول الله ﷺ فقال :

- السام عليكم .

فقال النبي ﷺ :

- ردوه على .

فقال له رسول الله ﷺ لأصحابه :

- أقلت السام عليك؟

قال اليهودى :

- نعم .

فقال رسول الله ﷺ :

- إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم (رواه الإمام أحمد)

• يقول الصحابي الجليل أبو هريرة - عبد الرحمن بن صخر الدوسي - :

بينما نحن فى المسجد إذا خرج علينا رسول الله ﷺ **فقال :**

- انطلقوا إلى يهود .

فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس - **هو المكان الذى يدرسون فيه التوراة - فقام رسول الله ﷺ فنادهم :**

- يا معشر يهود ، أسلموا تسلموا .

فقالوا :

- قد بلغت يا أبا القاسم .

فقال لهم رسول الله ﷺ :

- يا معشر يهود ، أسلموا تسلموا .

قالوا :

- قد بلغت يا أبا القاسم .

فقال لهم رسول الله ﷺ الثالثة .

فكان ردهم :

- قد بلغت يا أبا القاسم .

فقال النبى ﷺ :

- اعلموا أن الأرض لله ورسوله وأنى أريد أن أجليكم من هذه الأرض - أى أخرجكم - (رواه البخاري ، ومسلم)

ويبين هذا الحديث وقاحة السفهاء وعدم إذعانهم للحق فهاهو المبعوث رحمة للعالمين ﷺ يدعوهم إلى الإسلام ويخبرهم أن فى الإسلام السلام وذلك فى قوله ﷺ :

- أسلموا تسلموا .

ولكن ما كان جوابهم عليه إلا أن قالوا :

- قد بلغت يا أبا القاسم .

فهم يريدون ويصرون على الاستمرار على ما هم عليه من الكفر والضلال .

وجاء رهط من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا :

- يا محمد : هذا الذى خلق الجن والإنس من خلقه؟

وفي لفظ :

- خلق الله الملائكة من نور الحجاب ، وآدم من حمأ مسنون ، وإبليس من لهب النار ، والسماء من دخان ، والأرض من زبد السماء ، فأخبرنا عن ربك من أى شئ خلق؟

فغضب ﷺ حتى امتقع وجهه ، فجاءه جبريل عليه السلام وقال له :

- خفض عليك - هون عليك -

- فأنزل الله تعالى عليه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص]

أى متوحد فى صفات الجلال والكمال ، منزه عن الجسمية ، واجب الوجود لذاته ، أى اقتضت ذاته وجوده ، مستغن عن غيره ، وكل ماعداه محتاج إليه .

وقدم حبران من أراضي الشام إلى المدينة وكانا لا يعلمان ببعثه ﷺ فقال أحدهما للآخر :

- ما أشبه هذه بمدينة النبى الخارج فى آخر الزمان .

فأخبرا بمهاجرة خاتم النبيين ﷺ ووجوده فى تلك المدينة ، فلما رأياه قالا له:

- أنت محمد؟

قال ﷺ :

- نعم .

قال الحبران:

- نسألك مسألة إن أخبرتنا بها آمنا .

فقال الذى لا ينطق عن الهوي ﷺ :

- اسألاني

قالا :

أخبرنا عن أعظم الشهادة فى كتاب الله تعالى:

فنزل قوله: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٧ - ١٨]
فتلاها الصادق المصدوق ﷺ عليهما فقالا :

- نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنك عبده ورسوله .

فآمنا .

* وذات يوم أرسل أبوالقاسم ﷺ أبا بكر الصديق إلى فنحاص بن عازوراء بكتاب ، وكان فنحاص قد انفرد بالعلم والسيادة على يهود بنى قينقاع بعد إسلام عبدالله بن سلام ، يأمره فى ذلك الكتاب بالإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن يقرضوا الله قرضا حسنا .

فلما قرأ فنحاص بن عازوراء كتاب أبى القاسم ﷺ تساءل:

- أقد احتاج ربكم؟ سنمده .

وفى رواية قال:

- يا أبا بكر: تزعم أن ربنا يستقرضنا أموالنا وما يستقرض إلا الفقير من الغني ، فإن كان حقاً ما تقول ، **فإن الله جل وعلا إذن لفقير ونحن أغنياء .**

فضرب أبوبكر الصديق فنحاص بن عازوراء ضربا شديداً وقال :

- لقد هممت أن أضربه بالسيف ، وما منعني أن أضربه بالسيف إلا أن رسول الله ﷺ لما دفع إلى الكتاب قال لى: **لا تفتت على بشئ حتى ترجع إلى .**

فجاء فنحاص بن عازوراء إلى النبى ﷺ وشكا أبا بكر .

فقال صاحب الخلق العظيم ﷺ لأبى بكر :

- ما حملك على ما صنعت؟

قال الصديق :

- يا رسول الله ، إنه قال قولا عظيماً ، زعم أن الله ﷻ **فقير وأنهم أغنياء ، فغضبت لله تعالى .**

فقال فنحاص بن عازوراء :

- والله ما قلت هذا .

فنزل قوله تعالى تصديقاً للصديق ﴿ **لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ** ﴾ [سورة آل عمران الآية١٨١] .

لماذا غير أحبار يهود صفة النبى ﷺ فى التوراة؟ :

غير أحبار يهود صفة النبى الخاتم ﷺ فى التوراة **خوفاً على انقطاع نفقتهم** ، فإنهم كانت على عوامهم لقيامهم بالتوراة ، **فخافوا أن تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة** وكانوا يقولون لمن أسلم :

- لا تنفقوا مالكم على هؤلاء - يعني المهاجرين - فإنا نخشى عليكم الفقر

فأنزل العزيز الحكيم ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [سورة النساء الآية : ٣٧]

﴿ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ أى من صفة السراج المنير ﷺ التى يجدونها فى كتابهم .

فقد كان فى التوراة :

أكحل عين ، ربعة جعد الشعر ، حسن الوجه

فمحوه وقالوا :

نجده طويلا ، أزرق العين ، سبط الشعر .

وأخرجوا ذلك إلى أتباعهم وقالوا :

- هذا نعت النبى الذى يخرج آخر الزمان .

فأنـزل الله تعالـى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ** ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٧٤]

*** جاء بستانة اليهودى النبى ﷺ فقال :**

- يا محمد ، أخبرنى عن الكواكب التى رآها يوسف ساجدة له ، ما أسماؤها؟

فسكت النبى الخاتم ﷺ .

فنزل جبريل عليه السلام فأخبره .

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها؟

قال بستانة :

- نعم .

فقال الصادق المصدوق ﷺ :

- جريان ، والطارق ، والذيال ، وذو الكتفين ، وقابس ، ووثاب ، وعمودان ، والفلق ، والمصبح ، والضروح ، ودو الفرغ ، والضياء ، والنور .

فهتف اليهودى :

- والله إنها لأسماؤها (رواه ابن حبان ، والبزار ، والبيهقي فى دلائل النبوة عن جابر)

*** كان عبد الله بن أبى بن سلول ، عبد الله بن نبتل من المنافقين الذين تولوا اليهود ، ليس المنافقون من اليهود ولا من المسلمين بل هم مذبذبون بين ذلك ، وكانوا**

يحملون أخبار المسلمين إلى اليهود .

وكان ابن سلول أو ابن نبتل يجالس المبعوث للناس كافة ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود .

وذات ضحى وبينما كان أبو القاسم ﷺ فى حجرة من حجراته إذ قال :

- يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان .

فدخل عبدالله بن نبتل وكان أزرق أسمر قصير خفيف اللحية ، فقال الصادق المصدوق ﷺ :

- علام تشتمني أنت وأصحابك؟

فحلف ابن نبتل بالله ما فعل .

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

- فعلت .

فانطلق عبدالله بن نبتل فجاء بأصحابه فحلفوا جميعاً أنه ما كان من ذلك شئ

فأنزل السميع البصير ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ [سورة المجادلة الآية : ١٤] .

****

اليهـــود والتـــوراة

الكاتب المقدس عند السفهاء عبارة عن مجموعة أسفار جمعها رجال المجمع الأكبر بعد أن رجعوا من سبي بابل .

وينقسم الكتاب المقدس إلى ثلاثة أقسام :

التوراة ، أسفار الأنبياء ، الكتب أو الصحف .

ماذا تعني كلمة توراة؟ :

كلمة توراة مشتقة من الفعل أورى وعلّم ومنها المعلم وتعليم .

ثم استعملت لتعبر عن شريعة موسى عليه السلام كما ورد ذكرها فى القرآن الكريم ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾ [سورة المائدة الآية : ٦٨] .

والتوراة عند المغضوب عليهم تعني الأسفار الخمسة المنسوبة لكليم الله موسى عليه السلام وهي :

التكوين .

الخروج .

اللاويون .

العدد .

التثنية .

القسم الثانى من الكتاب المقدس :

ويشمل على :

أسفار أخرى هى :

يشوع .

قضاة .

صمويل الأول والثاني .

الملوك الأول والثاني .

وتسمي أسفار الأنبياء المتقدمين .

وأسفار :

هوشع .

يوئيل .

عاموس .

عوبديا .

يونان .

ميخا .

ناحوم .

حبقوق .

صفنيا .

حجى .

زكريا .

ملاخى .

ويطلق عليه أسفار الأنبياء الآخرين .

ويشتمل القسم الثالث على :

كتب ، حكم ، آداب ، أمثال ، مزامير ، أخبار تاريخية

سبعة منها كبيرة هى :

المزامير .

أمثال .

أيوب .

دنيال .

عزرا .

نحيما .

أخبار الأيام الأول والثاني .

وخمسة صغيرة هى :

راعوث .

نشيد الإنشاد .

الجامعة .

المراثى .

استير .

ترجمة هذه الأسفار:

ترجمت هذه الأسفار إلى اليونانية فى عهد بطليموس فيلا دلفوس سنة ٢٨٥ - ٢٤٧ قبل الميلاد بالإسكندرية على يد سبعين حبرا من اليهود - الحبر: العالم - ثم ترجمت إلى اليونانية الحديثة وإلى اللاتينية وإلى العربية لأول مرة حوالى سنة ٩٤٢ ميلادية ترجمها العالم سعديا الفيومي .

وتكون هذه الأسفار الأساس الأول للدين اليهودى بما فيه من شريعة وتقاليد وطقوس

الوعود الكاذبة :

تشكل هذه الوعود التى تكررت عشرات المرات فى التوراة حجر الزاوية فى الخلق اليهودى الذى تسبب فى شقاء العالم وأورث الإنسانية على مر العصور والأحقاب داء عضالا استعصي على كل داء .

ويبدأ سيل الوعود فى التوراة من أيام خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يوم

اجتاز الأرض إلى شكيم وكان يقطنها الكنعانيون :

(وظهر الرب لإبرام - إبراهيم - وقال :

لنسلك أعطى هذه الأرض - تكوين إصحاح ١٢ : ٧)

وقال الرب لإبرام بعد اعتزال لوط عنه :

(ارفع عينيك وانظر فى المواضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، لأن جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد ، واجعل نسلك كتراب الأرض - تكوين إصحاح ١٣ : ١٤ - ١٦) .

وواضح من هذه الفقرة أن إبراهيم عليه السلام لم يكن ليستطيع أن يرى عن شماله وجنوبه وشرقه وغربه إلا فى حدود عشرة كيلو مترات ، فلابد إذن من صرف وعود أخرى تكون أعم وأشمل تصل فى بعض الأحيان إلى النيل جنوباً والفرات شرقاً ، ومن أجل أن تتسع للذرية الصالحة التى يصبح عددها كتراب الأرض .

(فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلا :

- لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ، القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين - تكوين صح ١٥ : ١٨ - ٢٠) .

ولما كان لابد للميثاق أن يشتمل على التزامات للطرفين المتعاقدين فقد رأى إله اليهود أن يحول الميثاق إلى عهد من طرف واحد ليتحلل السفهاء من الالتزامات التى تقيدهم وتنظم سلوكهم فى الحياة .

(فسقط إبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلا :

- أما أنا فهو ذا عهدى معك وتكون أبا لجمهور من الأمم .. وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهداً أبديا ، لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك ، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً - تكوين صح ١٧ : ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨) .

ومن بعد خليل الرحمن عليه السلام انها لت الوعود على ابنه إسحاق :

(وظهر له الرب وقال :

- لا تنزل إلى مصر ، اسكن فى الأرض التى أقول لك ، تغرب فى هذه الأرض ، فأكون معك وأباركك ، لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذى أقسمت لإبراهيم - يبدو أن المحرفين والذين كتبوا التوراة بأيديهم وبدلوا نسوا أن يقولوا: أبرام هذه المرة - أبيك ، وأكثر نسلك كنجوم السماء ، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد - كم مرة كرر هذه العبارة؟ وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض - تكوين صح ٢٦ : ٢ - ٤) .

ومن بعد إسحاق ابنه يعقوب الذى خرج من بئر سبع وذهب نحو حاران وصادف مكانا وبات هناك .

(ورأى حلما وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء ، وهو ذا ملائكة الله ونازلة عليها ، وهو ذا الرب واقف عليها فقال :

- أنا الرب إله إبراهيم - مرة أخرى إبراهيم وليس إبرام - أبيك وإله إسحاق ، الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الأرض - تكوين صح ٢٨ : ١٢ - ١٤)

ويبدو أن الحلم لم يكن كافياً فيظر الله ليعقوب وقال له :

(اسمك يعقوب ، لا يدعي اسمك فيما بعد يعقوب ، بل يكون اسمك إسرائيل . . والأرض التى أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها ، ولنسلك من بعدك أعطي الأرض - تكوين صح ٣٥ : ١٠ - ١٢) .

وتدفقت الوعود فيما بعد على موسى عليه السلام :

(. . . فغطي موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله .

فقال الرب :

إنى قد رأيت مذلة شعبي الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم ، إنى علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة واسعة ، إلى أرض تفيض لبنا وعسلا - خروج صح ٣ : ٦ - ٨)

وكلم الرب موسى عليه السلام مرة أخرى وكرره العهد بإعطاء بنى إسرائيل أرض كنعان ، وفي هذه المرة أفصح الرب عن اسمه وقال: **أنه يدعي يهوه .**

(... وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شئ ، وأما باسمى يهوه فلم أُعرف عندهم ، وأيضاً أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التى تغربوا فيها - خروج صح ٦ :٣- ٤)

ويبدو أن الوعود والعهود والمواثيق وحدها لم تكن كافية لدفع الملعونين إلى اقتحام أرض كنعان ، فصدرت إليهم الوعود المشجعة مقرونة بالملاك الذى يسير أمام القوة الزاحفة:

وقال الرب لموسى:

أصعد من هنا أنت والشعب الذى أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التى حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلا: لنسلك أعطيها وأنا أرسل أمامك ملكا واطرد الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبنا وعسلا - خروج صح ٣٣: ١- ٣) .

(يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون شعوبا أكثر وأعظم منكم كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم - تثنية صح ١١ : ٢٣ ، ٣٤) .

لقد ضم يهوه أرض لبنان إلى أرض الميعاد ويبدو أن الطمع والجشع قد دب فى نفوس المغضوب عليهم حينما وصل بهم موسى عليه السلام **إلى أطراف أرض كنعان** فانعكس الطمع وعدا جديد ذكرته التوراة على لسان **موسى عليه السلام مفصحة عن الاطماع الجديدة التى تشمل لبنان والساحل إلى نهر الفرات .**

(الرب إلهنا كلمنا فى حوريب قائلا:

- كفاكم قعود فى هذا الجبل ، تحولوا وارتحلوا وادخلو جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض كنعان ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات - تثنية صح ١ : ٦ ، ٧) .

ولكي يأخذ السفهاء حريتهم كاملة ويتحللوا من أية التزامات أمام يهوه حصلوا منه على فرمان يحذرهم فيه من الاعتقاد بأن اختيارهم شعبا له ناتج عن مزايا خلقية فيهم ، بل يؤكد أنه اختارهم وهو يعلم أن لا خلاق لهم:

(اسمع يا إسرائيل: أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوبا أكبر وأعظم منك ومدنا عظيمة ومحصنة إلى السماء ، قوما عظاما طوالا بنى عناق الذين عرفتهم وسمعت من يقف فى وجه بنى عناق ، فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك نارا آكلة ، هو يبيدهم ويذلهم أمامك فتطرد هم وتهلكهم سريعا كما كلمك الرب لا تقل فى قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلا:

- لأجل بري أدخلني الرب لأمتلك هذه الأرض ، ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك ولكي يفي بالكلام الذى أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة - تشنية صح ٩: ١ - ٦)

وفي مكان آخر تقضي عدالة رب اليهود يهوه أن يتسامح مع شعبه المختار حتى حين يتخلون عن شريعته وينقضون فرائضه ولا يحفظون وصاياه .

(لا أنقض عهدي ولا أغير ما خرج من شفتي ، مرة حلفت بقدس إني لا أكذب لداود نسله إلى الدهر يكون وكرسيه كالشمس أمامي - مزامير ٨٩: ٣٤ - ٣٦)

ويموت موسى عليه السلام ويخلفه يشوع - يوشع بن نون - فتصدر وعود يهوه وأوامره صريحة مشجعة:

(وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا:

- موسى عبدي قد مات ، فالأن قم واعبر هذا النهر إلى الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبني إسرائيل كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيه كما كلمت موسى: من البرية ولبنان وهذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلي البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم - يشوع صح ١: ١ - ٤).

ولما شاخ يشوع تقدمت به الأيام صدرت أوامر يهوه ، بتقسيم أرض كنعان على أسباط بنى إسرائيل: حتى تلك التى لم تطأها أقدامهم بعد ، قسمها يهوه على شعبه كمل يفعل مدير مساحة ماهر : وقد بقيت أرض كثيرة جدا للامتلاك ، هذه هى الأرض الباقية كل دائرة الفلسطينيين ، وكل الجشوريين من الشيحور الذى هو أمام مصر إلى تخم عفرون شمالا تحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزى والأشدودى والأشقلونى والجتي والعقروني والغويين من اليمين ، كل أرض الكنعانيين ومغارة التى للصيدونين إلى أفيق إلى تخم الأموريين وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة .

جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوث مايم جميع الصيدونيين ، وأنا أطردهم من أمام بنى إسرائيل ، إنما أقسمها بالقرعة لإسرائيل ملكا كما أمرتك (يشوع صح ١٣ : ١ - ٦) .

وفي عهد سليمان بن داود عليهما السلام يعده بأن يجعل الملك فى نسله :

(وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضى وأحكامي فإنى أقيم كرسى ملكك على إسرائيل إلى الأبد كما كلمت داود أباك قائلا :

- لا يعدم لك رجل عن كرسي إسرائيل - الملوك الأول صح ٩ : ٥) .

وحين لم يحفظ الملك سليمان وصايايهوه ومال قلبه عن الرب إله إسرائيل غضب عليه ولكنه ساومه ودلله إكراما لأبيه داود وجامله بأن أجل تمزيق دولته إلى بعد وفاته :

(فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى ، فلم يحفظ ما أوصى به الرب فقال الرب لسليمان :

من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك إلا أني لا أفعل ذلك أيامك من أجل داود أبيك بل من يد ابنك أمزقها إلا أني لا أمزق منك المملكة بل أعطي سبطا واحدا لابنك لأجل داود عبدي ولأجل أورشليم التى اخترتها- الملوك الأول صح ١١ : ٩ - ١٣)

تلك هى أهم الوعود التى تنطق ويراها القارئ أنها تطفح بالكذب فقد تكررت فى مواضع كثيرة ، ومن الواضح أنها ولكل ذي عقل ومنطق وضمير أنها هراء وكذب

تحريف وتبديل به حاخاميم اليهود الذين بثوها فى أسفارهم التاريخية الدينية وهم سكاري وجمعت بعد قرون عديدة من وفاة خليل الرحمن إلى سليمان بن داود عليهما السلام .

الكفر والتجديف على الله :

منذ بضع سنين ظهر كتاب نسيب وهيبه الخازن العالم البناني أثبت فيه أن اليهود لم يكونوا موحدين ، وإنما هم كيفوا فكرة الإله حسب خصائص العزلة القبلية والبداوة التى عاشوا فيها واعتمد العالم البناني فى آرائه على اكتشاف مدينة أوغاريت التى تحمل اسم الكتاب - ومكتبتها فى رأس شمرا بمنطقة اللاذقية- .

والدراسة - القراءة - الفاحصة للتوراة تدل على صحة ما ذهب إليه العالم البناني فى كتابه أوغاريت تجعل الباحث المحايد يعتقد أن دين اليهود الذى يمارسونه منبثقا من توراتهم الحالية دين عجيب وإلههم إله عجيب إله جاهل حينا وعالم آخر إله ضعيف تارة وجبار تارة أخرى إله يفضل سكني البيوت على سكني السحاب وإله متعطش لسفك الدماء وحرق شحومها لأن رائحة الشحوم المحروقة تبعث فى نفسه السرور والبهجة وإله جشع محب للذهب إلى حد بعيد إله أرستقراطي يجب أن يخدمه عشرات الألوف من الكهنة يسخرون أنفسهم لتنظيم عبادات وطقوس عجيبة ليس لها مثيل فى أى دين من الأديان .

وقد عدد اليهود آلهتهم فى التوراة ، فهم يركزون على يهوه بعد الخروج من مصر يعتبرون هذا الإله خاصا بهم فتارة يسمونه إله بنى إسرائيل وتارة أخرى رب الجنود ويضفون على يهوه الصفات الحسية التى تنطبق على الانسان تارة ، وعلي الشئ المرعب العجيب تارة أخرى .

وما أسهل فى نظر التوراة من المقابلات والمجادلات والمناجاة التى تتم بين اليهود وبين يهوه حتى ليخيل للإنسان أن تلك المقابلات كانت أسهل من المقابلات التى تتم فى الوقت الحاضر مع بعض الشخصيات الهامة .

بدأ اليهود فى التوراة عملية مسخ ليهوه مشعرينه أنهم أقوى منه كي يسير معهم حسب أهوائه : (ثم قام فى تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر

مخاضة يبوق أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأي أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق يعقوب فى مصارعته معه وقال :

- أطلقني لأنه طلع الفجر .

فقال :

- لا أطلقك إن لم تباركني .

فقال له :

- ما اسمك؟

فقال :

- يعقوب .

فقال :

- لا ، ويدعي اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت .

وسأل يعقوب وقال :

- أخبرنى باسمك .

فقال :

- لماذا تسأل عن اسمي؟

وباركه هناك - تكوين صح ٣٢ : ٢٢ - ٢٩) .

عجائب الدين اليهودى ومواضع الكفر والتجديف على الله ﷻ تبدو من أول وهلة من خلال هذا الحوار السخيف الركيك .

وحين تمت المقابلة بين يهوه وموسى لم يشأ موسى أن ينفرد بهذا التكريم فاصطحب معه شيوخ بنى إسرائيل :

(ثم صعد موسى وهارون وناداب وابيهو وسبعون من شيوخ بنى إسرائيل ، ورأوا إله بنى إسرائيل وتحت رجليه شبه صفة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل ، فرأوا الله وأكلوا وشربوا - خروج صح ٢٤: ٩ ، ١٠).

ويشرك اليهود ويعترفون بوجود آلهة كثيرة :

(الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة لأنه فى الشئ الذى بغوا به كان عليهم - خروج صح ١٨ : ١١).

كما أن هذا الإله راغب عن حياة الخيمة التى كان ينتقل بها مع بنى إسرائيل وأحب سكني القصور :

(وفي تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثان قائلا :

- اذهب وقل لعبدي داود هكذا قال الرب : -

- أأنت تبني لى بيتا لسكناي ، لأني لم أسكن فى بيت منذ يوم أصعدت بنى إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم ، بل كنت أسير فى خيمة وفي مسكن ، وفي كل ما سرت مع جميع بنى إسرائيل ، هل تكلمت بكلمة إلى أحد قضاة بنى إسرائيل الذين أمرتهم أن يرعوا شعبي بنى إسرائيل؟ لماذا لم تبنوا بيتا من الأرز ، والآن تقول هكذا لعبدي داود ، هكذا قال رب الجنود - صموئيل الثانى صح ٧: ٤ - ٨).

وانشغل داود فى الحروب الطاحنة فلم يتم بناء مسكن الرب فى عهده ، بل تم فى عهد ابنه سليمان :

حينئذ تكلم سليمان :

قال الرب إنه يسكن فى الضباب ، إني قد بنيت لك بيت سكني مكانا لسكناك إلى الأبد - الملوك الثانى صح ٨: ١٢ ، ١٣).

وما الحيلة إذا كان الرب يشتهي أن يسكن بيتا معينا وفي بقعة معينة؟ :

(لأن الرب قد اختار صهيون ، اشتهاها مسكنا له ، هذه هى راحتي - الرب - إلى الأبد .

ها هنا أسكن لأني اشتهيتها ، طعامها أباركه بركة مساكينها أشبع خبزا ، كهنتها ألبس خلاصا وأتقياؤها يهتفون هتافا - مزمور ١٣٢ : ١٣ - ١٦) .

وتنفتح فى عهد سليمان شهية يهوه إلى الضحايا والمحرقات ورائحة الشحم :

(ولما انتهي سليمان من الصلاة نزلت النار من السماء وأكلت المحرقة والذبائح وملأ مجد الرب البيت ، ولم يستطع الكهنة أن يدخلوا بيت الرب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب ، وكان جميع بنى إسرائيل ينظرون عند نزول النار ومجد الرب على البيت ، وخروا على وجوههم إلى الأرض أخبار الأيام الثانى صح ٧ : ١ - ٣)

ومادام أن يهوه قد ارتضى أن يسكن بين دخان المحرقات مستمتعا برائحة الشحم المحروق ، فليبادر سليمان لإرضاء نهم يهوه ويحقق له رغباته على أوسع نطاق :

(ثم إن الملك وجميع بنى إسرائيل معه ذبحوا الذبائح أمام الرب وذبح سليمان ذبائح السلامة التى ذبحها للرب من البقراثين وعشرين ألفا ومن الغنم مائة ألف وعشرين ألفا فدشن الملك وجميع بنى إسرائيل بيت الرب ، فى ذلك اليوم قدس الملك وسط الدار التى أمام بيت الرب لأنه قرب هناك المحروقات والتقدمات وشحم ذبائح السلامة لأن مذبح النحاس الذى أمام الرب كان صغيرا على أن يسع المحرقات والتقدمات وشحم ذبائح السلامة - الملوك الثانى صح ٨ : ٦٢ - ٦٤) .

ولقد اقترنت عملية الذبح التى كانت تتم إرضاء لشهوة يهوه بطقوس ومراسيم كهنوتية معقدة عجيبة ، ورد أغلبها فى سفر الخروج أيام موسى وهارون :

(وتأخذ الكبش الثانى ليضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش ، فتذبح الكبش وتأخذ من دمه وتجعل على شحمة أذن بنيه اليمني وعلي أباهم أرجلهم اليمنى وترش الدم على الذبح من كل ناحية ، وتأخذ من الدم الذى على المذبح ومن دهن المسحة وتنضح على هارون وثيابه وعلي بنيه وثياب بنيه معه ، فيقدس هو وثيابه وبنوه وثياب بنيه معه ، ثم تأخذ من الكبش الشحم والإلية والشحم الذى يغشي الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذى عليهما والساق اليمني فإنه كبش ملء ورغيفا واحدًا من الخبز وقرصا واحدًا من الخبز بزيت ورقاقة واحدة من سلة الفطير التى أمام الرب وتضع الجميع فى يدي هارون وفي أيدي بنيه وترددها ترديدًا أمام الرب ، ثم

تأخذها من أيديهم وتوقدها على الذبح فوق المحرقة رائحة سرور أمام الرب ، وقود هو للرب - خروج صح ٢٩ : ١٩ : ٢٥) .

وتذهب بقية أجزاء الذبائح إلى الكهان فريضة أبدية تضمن لهم عيشا دسما وحياة رغدة ويهوه حريص على أن تقدم له القرابين فى أوقاتها طعاما شهيا ورائحة سرور:

(وكلم الرب موسى قائلا :

- أوصى بنى إسرائيل وقل لهم: قرباني طعامي وقائدي رائحة سروري تحرصون أن تقربوه لى فى وقته ، وفي رءوس شهوركم تقربون محرقة للرب ثورين ابني بقر وكبشا واحدا وسبعة خراف حوليه صحيحة وتيسا واحدا ذبيحة خطية ، وفي الشهر الأول فى الرابع عشر من الشهر فصح للرب . . . وتقربون وقودا محرقة للرب ثورين وكبشا واحدا وسبعة خراف - عدد صح ٢٨ : ١ - ٤) .

وتستمر الطقوس والذبائح على مدار السنة وبخاصة فى الشهر السابع من أشهرهم ، حيث تقدم القرابين فى اليوم الأول من الشهر ، وكذلك فى الأيام الثانى والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر والخامس عشر من ذلك الشهر - عدد صح ٢٩ : ١ - ٤٠) .

فهل يكتفي يهوه بكل هذه الدماء والشحوم الحيوانية؟؟؟

يبدو من التوراة نهم يهوه وشهوته للدم تطمعا فى ضحايا بشرية :

(وإذا رجل من بنى إسرائيل جاء وقدم إلى إخوته المديانية أمام عيني موسى وأعين كل جماعة من بنى إسرائيل وهم باكون لدي باب الرب خيمة الاجتماع ، فلما رأي ذلك شيخاس بن العازر بن هارون الكاهن قام من وسط الجماعة وأخذ رمحا بيده ودخل وراء الرجل الإسرائيلى إلى القبة وطعن كليهما الرجل الإسرائيلى والمرأة فى بطنها ، فامتنع الوباء عن بنى إسرائيل - عدد صح ٢٥ : ٦ - ٨)

(فكان روح الرب على يفتاح فعبر جلعاد ومنسي وعبر مصفاة جلعاد ومن مصفاة جلعاد عبر إلى بنى عمون ، ونذر يفتاح نذرا للرب قائلا :

- إن دفعت بنى عمون ليدي فالخارج الذى يخرج من أبواب بيتي للقائي عند

رجوعي بالسلامة من عند عمون يكون للرب وأصعده محرقة .

ثم عبر يفتاح إلى بنى عمون لمحاربتهم ، فدفعهم الرب ليده . . . ثم أتي يفتاح إلى المصفاة إلى بيته وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص وهي وحيدة لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها ، وكان لما رآها إنه مزق ثيابه وقال :

- آه يابنتي قد أحزنتني وصرت بين مكدري لأن قد فتحت فاك إلى الرب ولا يمكنني الرجوع

- فقالت له :

- يا أبى هل فتحت فاك إلى الرب فافعل بى كما خرج من فيك . .

وكان عند نهاية الشهرين أنها رجعت إلى أبيها ففعل بها نذره وهي لم تعرف رجلا - قضاة صح ١١ : ٢٩ - ٤٠)

ولم ينج الكهنة أنفسهم من الذبائح ليكونوا قربانا ليهوه وإرضاء له ليخف غضبه عن شعبه ، (وكذا بيوت المرتفعات التى فى مدن السامرة التى عملها ملوك بنى إسرائيل للإغاظة أزالها يوشيا وعمل بها حسب جميع الأعمال التي عملها فى بيت ايل ، وذبح جميع كهنة المرتفعات التى على المذبح وأحرق عظام الناس عليها ثم رجع إلى أورشليم - الملوك الثانى صح ٢٣ : ١٩ ، ٢٠)

ويهوه رب الجنود ورب اليهود ورب الحرب ظالم حقود ، شرع قاعدة العقوبات المشتركة التى تأخذ البرئ بجريرة المذنب :

(لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور افتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضي - خروج صح ٢٠ : ٥)

وبينما نجد داود - إمام المغنين - يصور ربه مرعبًا مفزعا :

(صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت جمر اشتعلت منه طأطأ السماوات ونزل ضباب تحت رجليه ، ركب على كروب وطار وهف على أجنحة الرياح ، وجعل الظلمة سترة حوله ، فظللته ضباب المياه وظلام الغمام ، ومن الشعاع قدامه عبرت سحبه ، برد وجمر ونار أرسل سهامه فشتتهم وبروقا كثيرة فأزعجهم ، فظهرت أعماق المياه وانكشفت

أسس المسكونه من زجرك يارب من نسمة ريح أنفك - مزمور ١٨ : ٨- ١٥) .

ونقرأ تصويراً آخر يصف الرب بالندم :

(وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضي وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضي لأن الرب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقتهم وزاحميهم - قضاة ٢ : ١٨)

(وأرسل الله ملاكا على أورشليم لإهلاكها وفيما هو يهلك رأي الرب فندم على الشر وقال للملاك المهلك :

- كفى الآن رد يدك - أخبار الأيام الأول صح ٢١ : ١٥) .

ولا يرى كهنة اليهود بأسا من وصم إلههم يهوه بالجهل ، وأن يسجلوا هذا الاعتراف على لسانه فهو يطلب إليهم أن يضعوا علامة على أبواب بيوتهم لتمييزها عن بيوت المصريين الذين يضربهم حينما يمر ليضرب أرض مصر :

(ويكون لكم اليوم علامة على البيوت التى أنتم فيها ، فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون ضربة الهلاك حين أضرب أرض مصر - خروج صح ١٢ : ١٣) .

العنصرية والتعصب والانعزال :

كتب اليهود فى توراتهم جذور العنصرية والتعصب والانعزالية ورسخ فى أنفسهم أنهم شعب يهوه المختار وأنهم أفضل شعوب الأرض قاطبة ، وأن يهوه اختارهم لأنه أحبهم واصطفاهم وقد بلغ من تعصبهم وصلفهم وغرورهم أنهم اعتبروا يهوه إلها خاصا بهم احتكروه لأنفسهم وحرموا بقية الشعوب من الاتصال به .

وتتدرج التوراة فى غرس حب الانعزال والتعصب من أيام إبراهيم عليه السلام إلى آخر سطر فيها :

(وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المستولي على كل ما كان له :

- ضع يدك تحت فخذي ، فأستحلفك بالرب إله السماء إله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم - تكوين صح ٢٤ : ٢ ، ٣) .

وكذلك فعل إسحاق بابنه يعقوب :

(فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له:

- لا تأخذ زوجة من بنات كنعان - تكوين صح ٢٨ : ١) .

ثم تأتي أوامر يهوه إلى نبيه موسى عليه السلام:

(احفظ ما أنا موصيك اليوم:

ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحوريين واليبوسيين احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التى أنت آت إليها لئلا يصيروا فخًا فى وسطك ، فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعي وتأكل من ذبيحتهم وتأخذ من بناتك لبنيك ، فتزني بناتهم وراء آلهتهم ويجعلون بنيك يزنون وراء آلهتهن - خروج صح٣٤: ١١- ١٦) .

ثم يمضي يهوه فى غسل عقول شعبه ويحقن صدورهم بسموم العنصرية والغرور الصلف والكبر والتعالي والابتعاد عن البشر:

(وإن سمعت لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التى أنا أوصيك بها اليوم **يجعلك الرب إلهك مستعليا على جميع قبائل الأرض - تثنيه صح ٢٨ : ١)** .

(ولكن إذا رجعتم ولصقتم ببقية الشعوب أولئك الباقين معكم وصاهرتموهم ودخلتم إليهم وهو إليكم فاعلموا يقينا أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم فيكونوا لكم فخا وشركا وسوطا على جوانبكم وشوكا فى أعينكم حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التى أعطاها إياكم الرب إلهكم - يشوع صح ٢٣ : ١٢ ، ١٣)

ويؤكد يهوه غرامه ومحبته والتصاقه بشعبه المختار:

(لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم بنتك ولا تعط لابنه وبنته ولا تأخذ لابنك ، **لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون** له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس من كونهم أكثر من سائر الشعوب الصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر - تثنية صح ٧: ٢- ٨) .

(لكن الرب إنما التصق بآبائك ليحبهم من بعدهم نسلهم الذى هو أنتم فوق جميع الشعوب كما نفي هذا اليوم تثنية صح ١٠ : ١٥) .

ويطبق عزرا كاهن اليهود وجامع توراتهم تعاليم يهوه علميا حين عاد مع يهود السبي من بابل إلى أورشليم ليجد أن اليهود وتلك كانت الطامة الكبري عند عزرا ورفاقه من كهنة اليهود فأقدم على تنفيذ عملية إجرامية ظالمة فصل بين الأزواج اليهود وبين زوجاتهم الفلسطينيات وأطفالهم :

(فاجتمع كل الرجال يهوذا وبنيامين إلى أورشليم فى الثلاثة الأيام فى الشهر التاسع فى العشرين من الشهر ، وجلس جميع الشعب فى ساحة بيت الله مرتعدين من الأمر ومن الأمطار .

فقام عزرا الكاهن وقال لهم :

- إنكم قد ختنتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا إثم إسرائيل فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا لمرضاته وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة .

فأجاب كل الجماعة وقالوا بصوت عظيم :

- كما كلمتنا كذلك نعمل إلا أن الشعب كثير والوقت وقت أمطار ولا طاقة لنا على الوقوف فى الخارج والعمل ليس بيوم أو لاثنين لأننا أكثرنا الذنب فى هذا الأمر - عزرا صح ١٠ : ٩- ١٣) .

ويتغني نبيهم داود فى مزاميره مرددا أوامر يهوه فى أن تخضع ملوك الأرض لملك أورشليم وتقدم له الهدايا :

(وقد أمر إلهك يعزك أبديا الله هذا الذى فعلته لنا ، من هيكلك فوق أورشليم تقدم ملوك هدايا - مزمور ٦٨ : ٢٨ ، ٢٩) .

ولكن تقديم الهدايا لا يشبع نهم يهوه إله اليهود ، فلابد إذن من إجراء حاسم وعنيف :

(هللو يا ، غنوا للرب ترنيمة جديدة ، تسبيحة فى جماعة الاتقياء ليفرح إسرائيل بخالقه ليبتهج بنوصهيون بملكهم ، ليسبحوا اسمه برقص ، بدف وعود ليرنموا له ، لأن

الرب راض عن شعبه يجمل الودعاء بالخلاص ، ليبتهج الأتقياء بمجد ليرنموا على مضاجعهم ، تنويهات الله فى أفواههم وسيف ذو حدين فى يدهم ، ليصنعوا نقمة الأمم وتأديبا فى الشعوب لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد ، ليجروا بهم الحكم المكتوب ، كرامة هذا لجميع أتقيائه هللو يا - مزمور ١٤٩ : ١- ٩) .

ولم لا ؟ أليس هو الشعب المدلل الذى تغفر ذنوبه وخطاياه مهما كانت كبيرة؟؟ :

(لأني أنا معك يقول الرب :

لأخلصك وإن أفنيت جميع الأمم الذين بددتك إليهم فأنت لا أفنيك بل أؤدبك بالحق ولا أبرئك تبرئة - أرمياصح ٣٠: ١١) .

وإله اليهود هذا وقف عليهم لا يسمحون له أن يتصل بسواهم من الشعوب لهدايتها ، كما لا يسمحون لتلك الشعوب أن تتصل به لتتعرف إليه وتعبده ، وبدأت عملية الاحتكار هذه من أيام موسى عليه السلام وفرعون :

(فقال فرعون :

- من هو الرب؟

فقال موسى وهارون :

- اسمع لقوله فأطلق بنى إسرائيل .

قال فرعون :

- لا أعرف الرب وبني إسرائيل لا أطلقهم .

فقالا :

- إله العبرانيين قد التقانا فنذهب سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا لئلا يصيبنا بالوباء أو السيف- خروج صح ٥ : ٢ ، ٣) .

(فدخل موسى وهارون إلى فرعون وقالا له :

- هكذا يقول الرب إله العبرانيين: إلى متى تأبي أن تخضع لى؟ أطلق شعبي ليعبدوني - خروج صح ١٠ : ٣) .

(فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب فإن لي كل الأرض ، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة - خروج صح ١٩ : ٥ ، ٦) .

وعبثا يحاول شعب فلسطين أن يتقرب إلى شعب يهوه ليستفيد منه ويفيده وأبت العنصرية المدمرة أن تقبل العون من غير اليهود حتى فى أعمال السخرة لبناء هيكلهم أيام عزرا :

(ولما سمع أعداء يهوذا وبنيامين أن بنى السبى يبنون هيكلا للرب إله إسرائيل تقدموا إلى زربابل ورءوس الآباء وقالوا لهم :

- نبني معكم لأننا نظيركم نطلب إلهكم وله قد ذبحنا من أيام أسرحدون ملك أشور الذى أصعدنا إلى هنا .

فقال لهم زربابل ويشوع وبقية رءوس آباء بنى إسرائيل :

- ليس لكم ولنا أن نبني بيتا لإلهنا ولكننا نحن وحدنا نبني للرب إله بنى إسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس - عزرا صح ٤ : ١ - ٣)

ولاننسى ونحن فى صدد الحديث عن احتكار الإله ، **قرار يهوه بأن ذنب شعب فلسطين لا يغتفر لأن ذلك الشعب لم يسارع إلى ملاقاة اليهود الزاحفين لاحتلال وطنه حاملا الخبز والماء .**

(فى ذلك اليوم قرئ فى سفر موسى فى آذان الشعب ووجد مكتوبا فيه أن عمونيا وموآبيا لا يدخل فى جماعة الله إلى الأبد ، لأنهم لم يلاقوا بنى إسرائيل بالخبز والماء بل استجاروا عليهم بلعام لكي يلعنهم - نحميا صح ١٣ : ١ ، ٢)

ولم ينس يهوه وهو يخص شعبه المختار على التعصب والانعزال وعدم عقد العهود والمواثيق مع غير اليهود ولم ينس التهديد بفرض العقوبات الصارمة على من يخالف أوامره وتعاليمه .

(ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم تأتي عليك جميع اللعنات وتدركك ، ملعونا تكون فى المدينة ، وملعونا تكون فى الحقل ، ملعونة تكون سلتك ومعجنك ملعونة تكون ثمرة

بطنك وملعونا تكون فى خروجك يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر فى كل ما تمتد إليه يدك لتعلمه حتى تهلك وتفني سريعا من أجل سوء أفعالك إذ تركتني يلصق بالرب الوباء حتى يبيدك عن الأرض التى أنت داخل إليها لكي تتملكها يضربك الرب بالسل والحمي والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك ، ويضربك الرب بقرحة مصر بالبواسير والجرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء يضربك بجنون وعمي وحيرة قلب . . ألخ - تثنية صح ٢٨ : ١٥ - ٢٨)

هذا جزء يسير من المصائب واللعنات التى تنصب على اليهودى المخالف وصايا يهوه وكثير مثل هذا موزع فى أسفار التوراة .

فمن ذا الذى يجرؤ على عصيان يهوه ليعرض نفسه لمثل هذه الويلات . . . ؟

القسوة والهمجية :

يهوه رب الجنود ورجل الحرب وصاحب اللعنات إله بنى إسرائيل القاسي الظالم المتوحش كما تصوره توراة اليهود ، غرز فى نفوسهم غريزة البطش والإرهاب والقسوة والهمجية ، ولأثبات ذلك نتجول معا نتصفح فيها كتاب السفهاء المقدس ولا ذنب لى حين تزكم الروائح الكريهة والكذب والخسة أنف القارئ وتصاب نفسه بالغثيان فإن واجبي أن أتعمق فى البحث وأن أصل إلى جذور الحقيقة مهما كان الطريق إليها شاقا مرهقا .

ونبدأ جولتنا مع رب موسى التوراتي ونقتفي آثار القسوة التى خطها لشعبه المختار لنجد أنه يأمر بقتل الذين يأكلون خبزا خميرًا فى أيام حرم فيها أكل الخمير .

(سبعة أيام تأكلون فطيرا ، اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم فإن كل من أكل خميرًا من اليوم الأول إلى السابع تقطع تلك النفس من بنى إسرائيل . . . سبعة أيام لا يوجد خمير فى بيوتكم فإن كل من أكل مختمرا تقطع تلك النفس من جماعة بنى إسرائيل - خروج صح ١٢ : ١٥ ، ١٩) .

واستفتح يهوه عمليات القسوه والعنف بالشعب المصري :

(وقال موسى :

- هكذا يقول الرب إله بنى إسرائيل ، ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب إلى باب فى المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه .

ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل .

وقال موسى :

- املأوا أيديكم اليوم للرب كل واحد بابنه وبأخيه فيعطيكم اليوم بركة - خروج صح ٣٢ : ٢٦ - ٢٩) .

وبعد أن استراحت نفس يهوه الدموي واستمتع برؤية شعبه بذبح بعضهم بعضا ، وجه إرادته إلى الشعب المختار ، راسما خطة المجازر الجديدة وحرب الإبادة ليضمن لشعبه الحبيب أرضا بلا سكان ووطنا قوميا بلا منازعين ومشاغبين وإرهابيين من السكان الأصليين :

متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبعة شعوب أكثر منك ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم - تقتلهم تثنية ٧ : ١ ، ٢)

(حين تقرب من مجينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف - إذا كانت هذه شريعة اليهود لماذا أثار الحاقدون على الإسلام يوم أن حكم سعد بن معاذ حليف بنى قريظة الذين خانوا العهد مع رسول الله ﷺ وبدلا من أن يدافعوا مع المسلمين غدروا وحاربوا مع الأحزاب فكانت خيانة عظمى فقام الغرب من أجل ثمانمائة كلب جواسيس وخونة قتلوا يوم بنى قريطة؟؟؟ - وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن

هؤلاء الأمم هنا - فلسطين - ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك فلا تستبق نسمة ما بل تحرمها تحريما كما أمرك الرب إلهك تثنية صح ٢٠ : ١ - ١٠)

وفوجئ أهل مديان من شعب فلسطين بالجموع اليهودية المتدفقة كالوحوش المتعطشة للدماء ، وشرعتها فى الحرب فتك وإبادة وسبي ونهب وسلب دون سابق إنذار :

(وكلم الرب موسى قائلا :

- انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين ثم تضم إلى قومك . . فتجندوا على مديان كما أمر الرب واقتلوا كل ذكر .

وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار - عدد صح ٣١: ١ - ١٠) .

وغضب موسى التوراة على قادة جيشه الذين أبقوا على حياة النساء والأطفال وسبوهم إلى المحلة ، فأمر بأن يطهر الجند من النجاسة بعد ذبح النساء والأطفال :

(وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حية؟ فالأن اقتلوا كل ذكر من الأطفال ، وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها - عدد صح ٣١: ١٥ ، ١٧) .

وزحفت جموع اليهود لتفاجئ سيمون ملك حشبون ومن بعده عوج ملك باشان فى جنوبْ أرض كنعان ، وتبيد شعبيهما بناء على أوامر يهوه :

فدفعه الرب إلهنا أمامنا فضربناه وبنيه وجميع قومه ، وأخذنا كل مدنه فى ذلك الوقت وحرمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال لم نبق شاردا ، لكن البهائم نهبناها لأنفسنا وغنيمة المدن التى أخذنا - تثنية صح ٢ : ٣٢ - ٣٥) .

فدع الرب إلهنا إلى أيدينا عوج ملك باشان وجميع قومه فضربناه حتى لم يبق له شارد ، وأخذنا كل مدينة فى ذلك الوقت ، لم تكن قوية لم نأخذها منهم ، ستون مدينة . . . كل هذه كانت مدنا محصنة بأسوار شامخة وأبواب ومزالج سوى قرى الصحراء الكثيرة جداً ، فحرمناها كما فعلنا بسيمون ملك حشبون محرمين كل مدينة الرجال

والنساء والأطفال - تثنية صح ٣ : ٣ - ٦) .

وتسلم فتى موسى - يوشع بن نون - الراية - راية يهوه - من بعد موسى الذى قضى ، ولما نزل جموع اليهود فى أطراف أرض كنعنان واستهل يوشوع بن نون بطولاته بأريحا المنكوبة :

(وحرموا كل ما فى المدينة كل من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف .. وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ، إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها فى خزنة بيت الرب - يوشع صح ٦ : ٢١ - ٢٤) .

واستمرا رب اليهود عملية الإفناء والإبادة:

(فقال الرب ليوشع :

- مد المزراق الذى بيدك نحو عاى لأنى بيدك أدفعها .

فمد يشوع المزراق الذى بيده نحو المدينة وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت ، وأمامك عاى فأمسكوه حيا وتقدموا به إلى يشوع ، وكان لما انتهى بنو إسرائيل من قتل جميع سكان عاى فى الحقل فى البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا ، ورجع بنو إسرائيل إلى عاى وضربوها بحد السيف ، فكان جميع الذين سقطوا فى ذلك اليوم من رجال ونساء اثنى عشر ألفا جميع أهل عاى ، ويوشع لم يرد يده التى مدها بالمزراق حتى حرم جميع سكان عاى ، لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها بنو إسرائيل لأنفسهم حسب قول الرب الذى أمر به يوشع - يشوع صح ٨ : ١٨ - ٢٦) .

وبعد أن أحرق يوشع بن نون عاى ودمرها قتل ملكها الأسير وعلق جثته على باب المدينة وواصل يشوع بن نون عملية الفتك والإبادة بهمة عظيمة يرضى عنها رب الجنود يهوه :

(وأخذ يوشع مقيدة فى ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم ملكها هو وكل نفس بها ، ولم يبق شاردا .. ثم اجتاز إلى لبنة وحارب لبنة .. فضربها بحد السيف وحرم ملكها هو وكل نفس بها ، ولم يبق شاردا وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا - يوشع صح ١١ : ١ - ٢٢) .

ومن بعد لبنة أباد سكان الخيش وعجلون وحبرون ودبير مع ملوكهم ، كما أباد ملك حاصور وشعبه وما كان معه من ملوك مادون وشمرون واكشاف ثم أخذ يوشع حاصور وقتل كل نفس فيها بحد السيف .

وفى سفر يوشع تفصيل لمعارك الإبادة والإصرار على قتل جميع سكان المدن وإفناء ملوكها وشعوبها من النساء والرجال والأطفال والشيوخ .

واستمرت المذابح والمجازر بعد يشوع تارة بين بنى إسرائيل فى الشمال وبين بنى بنيامين فى الجنوب ، وتارة أخرى بين هذين الفرعين من اليهود وبين شعب كنعان المنكوب وها هو ابيمالك يخدع أخواله ويأخذ منهم الموافقة على تنصيبه ملكا ثم يسارع إلى الفتك بإخواته :

(ثم جاء إلى بيت أبيه فى غفلة وقتل أخوته بنى يربعل سبعين رجلا على حجر واحد ، وبقي يوثام بن يربعل الأصغر لأنه اختبأ - قضاة صح ٩ : ٥) .

وتقضى غُريزة سفك الدماء وشهرته الإفناء والإبادة أن يهود جلعاد ذبحوا اثنين وأربعين الفا ومن يهود افرايم لأنهم أخطأوا فى حرف (ش) ولفظوه (س) :

(فأخذ الجلعاديون مخاوض الأردن لافرايم وكان إذا قال منفلتوا أفرايم:

دعوني أعبر .

كان رجال جلعاد يقولون له :

- أأنت أفرايمي؟

فإن قال :

- لا .

يقولون له :

- قل إذا : شبولت .

فيقول :

- سبولت .

ولم يتحفظ للفظ بحق

- فكانوا يأخذونه ويذبحونه على مخاوض الأردن فسقط فى ذلك الوقت من أفرايم اثنان وأربعون ألفا - قضاة صح ١٢ : ٥ ، ٦)

وقتل عشرات الألوف فى شريعة يهوه التى غرسها فى نفوس شعبه المختار .

وتوراة اليهود لا تخفى حقيقة الشعب المختار وميوله لشرب الدماء وقضم عظام البشر .

وقتل الأولاد حتى أولاد اليهود أنفسهم :

(هوذا شعب يقوم كلبوة ويرتفع كأسد ، لا ينام حتى يأكل فريسة ويشرب دم قتلي . . . الله أخرجه من مصر له مثل سرعة الرئم يأكل أمما مضايقية ويقضم عظامهم - عدد صح ٢٣ : ٢٤ ، صح ٢٤ ، ٨) .

وقديسة التوراة استير خصها كهان إسرائيل بسفر كامل جاء رمزا على الكذب والتآمر والغدر والوحشية والقسوة .

فقد أثبت السفر قصة مردخاي أحد أفراد حاشية الملك أحشوير وش ، وكيف أفسد هذا اليهودى ما بين الملك والملكة ليزوجه من ابنة عمه استير وكيف دبر قصة تآمر الشعب على اليهود

ثم استخدم استير لإدخال قصة التآمر الكاذب فى روع الملك والحصول منه على أمر برد العدوان المرتقب عن اليهود .

ونجح مردخاي نجاحا باهرا كان من نتيجته ذبح عشرات الألوف من الشعب الإلهي الذى فوجئ باليهود المسلحين المستعدين يهاجمونه ويفتكون به ولم يخسر اليهود قتيلا واحدًا مما يؤكد براءة الشعب المسكين من قصة التآمر على اليهود التى اخترعها مردخاى : (ولما رأي هامان أن مردخاي لا يجثو ولا يسجد له امتلأ هامان غضبا وازدرى فى عينه أن يمد يده إلى مردخاي وحده لأنهم أخبروه عن شعب مردخاي فطلب هامان أن يهلك جميع اليهود فى كل مملكة احشويروش شعب مردخاى .

(وجاء الملك وهامان ليشربا عند أستير الملكة فقال الملك لأستير فى اليوم الثانى

أيضا عند شرب الخمر :

- ما هو سؤالك يا أستير الملكة فيعطي لك وما هى طلبتك ولو إلى نصف المملكة تقضي (فمد الملك لأستير قضيب الذهب فقامت استير ووقفت أمام الملك وقالت :

- إذا حسن عند الملك ووجدت نعمة أمامه واستقام الأمر أمام الملك وحسنت أنا لديه فليكتب لى لكى ترد كتابات تدبير هامان بن همداثا الأجاجي التى كتبها لإبادة اليهود الذين فى كل بلاد الملك .

فقال الملك أحشويروش لأستير الملكة ومرد خاي اليهودى :

- هوذا أعطيت بيت هامان لاستير .

أما هو فقد صلبوه على الخشبة من أجل أنه مد يده إلى اليهود - استير صح ٣ ، ٥)

ولم يكتف مردخاي اليهودى بالقضاء على هامان فدبر عملية سفك دماء الآلاف ليشبع غريزته وينتقم من الأبرياء :

(فكتب باسم الملك احشويروش وختم بخاتم الملك وأرسل رسائل بأيدى بريد الخيل التى بها أعطى الملك اليهودى فى مدينة أن يجتمعوا ويقفوا لأجل أنفسهم ويهلكوا ويقتلوا ويبيدوا قوة كل شعب وكورة تضادهم حتى الأطفال والنساء وأن يسلبوا غنيمتهم .

(وقتل اليهود فى شوشن القصر وأهلكوا خمسمائة رجل ، عشر من بنى هامان بن همداثا عدو اليهود قتلوهم .

فقال الملك لأستير الملك فى شوشن القصر :

- قد قتل اليهود وأهلكوا خمسمائة رجل وبني هامان العشر فما هو سؤلك فيعطي لك وماهي طلبتك بعد فتقضي؟

وبعد صلب أبناء هامان العشر على الخشبة حسب طلب أستيرا اتجه اليهود إلى الفتك بالشعب فى بقية المناطق .

وباقي اليهود الذين فى بلدان الملك اجتعموا ووقفوا لأجل أنفسهم واستراحوا من أعدائهم وقتلوا مبغضيهم خمسة وسبعين ألفا اليوم الثالث عشر من شهر آذار

واستراحوا فى اليوم الرابع عشر منه وجعلوه يوم شرب وفرح - عيد رسمي لليهود - أستير صح : ٩) .

أليست هذه همجية ووحشية تنسب إلى وحوش ضارية لمجازر ذهب ضحيتها مئات الألوف فى معركة واحدة دامت يوما أو بعض يوم لم يكن السلاح الرئيسي فيها إلا السيف ، ماذا لو كان بيد المغضوب عليهم قنابل ذرية أو هيدروجينية فى ذلك الوقت . . .؟ إنهم ما زالوا متعطشين لسفك الدماء بشكل جنوني محموم لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشر .

الفسق والدعارة :

ما اكتسب العهر والبغي والفجور والدعارة قداسة ما اكتسبت فى توراة السفهاء ونظمت التوراة عهارات لم يسبق لدين من الأديان أن أباحها أو عالجها بالشكل الذى عولجت به فى دين الملعونين .

وتعد التوراة - المحرفة - بحق الكتاب الأول فى التاريخ كله الذى قدم للإنسانية الدروس الأولى فى الانحلال الخلقي والإباحية .

فى شرعة التوراة لا بأس من مضاجعة الأب لابنته ولو كان شيخا فانيا سكرانا :

(وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه ، لأنه خاف أن يسكن فى صوغر فسكن فى المغارة وابنتاه .

قالت البكر للصغيرة :

- أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض ، هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا .

فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها .

وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة .

- إني قد اضطجعت البارحة مع أبى نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه فنحيى من أبينا نسلا .

فسقتا أباهما خمرًا فى تلك اللية أيضا ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها .

فحبلت ابنتا لوط من أبيهما .

فولدت البكر ابنا ودعت اسمه مؤاب .

وهو أبو المؤابين إلى اليوم .

والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى .

وهو أبو بنى عمون إلى اليوم - تكون صح ١٩ : ٣٠- ٣٨) .

واستن رأوبين بن يعقوب سنة الاعتداء على زوجة الأب :

ودعا يعقوب بنيه وقال :

- اجتمعوا لأنبئك بما يصيبكم فى آخر الأيام ، اجتمعوا واسمعوا يا بنى يعقوب ، واصغوا إلى إسرائيل أبيكم : رأوبين أنت بكرى قوتى وأول قدرتى فضل الرفعة وفضل العز ، فائرا كالماء لا تتفضل ، لأنك صعدت طى مضجع أبيك .

حينئذ دنسته ، على فراشى صعد - تكوين صح ٤٩ : ١ - ٤) .

وتفشت - انتشرت - هذه العادة عند ملوكهم وأبناء ملوكهم فطبقها ابشالوم بن داود على نطاق واسع :

(وقال ابشالوم لأخيتوفل :

- أعطوا مشورة ماذا تفعل .

فقال أخيتوفل لابشالوم :

- أدخل إلى سرارى أبيك اللواتى تركهن لحفظ البيت فيسمع كل بنى إسرائيل أنك قد صرت مكروها من أبيك وتتشدد أيدى جميع الذين معك .

فنصبوا لابشالوم الخيمة على السطح ودخل ابشالوم إلى سرارى أبيه أمام جميع بنى إسرائيل .

وكانت مشورة أخيتوفل التى كانت يشير بها فى تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله -

مقدسة - صموئيل الثانى صح ١٦ : ٢٠ - ٢٣) .

وابشالوم هذا ورث الدعارة والفسق والفجور عن أبيه داود التوارة ، ليس داود النبى الذى يجله القرآن الكريم ويحقره السفهاء ، فداود التوراة يسطو على زوجة أحد ضباطه أثناء غيابه فى الغزو وأثناء غيابه فى الجبهة ثم يتآمر على حياته ليخلو له الجو فيتزوج المرأة الجميلة التى زنا بها :

(وكان وقت المساء أن قام داود عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً

فأرسل دواد وسأل عن المرأة فقال واحد :

- أليست هذه بتشبيع بنت اليعام امرأة أوريا؟

فأرسل داود راسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت :

- إنى حبلى .

فأرسل داود إلى يؤاب يقول :

- أرسل إلى أوريا الحثى

فأرسل يؤاب أوريا إلى دواد - صموئيل الثانى صح ١ : ١ - ٤)

وحين وصل أوريا منحه دواد أجازة لقضاء ليلة مع زوجته فتضيع جرمية الزنا وحملها ، ولكن أوريا كان ذكيا خبيثا فقد فهم الخطة ونام مع الحرس على باب بيت الملك .

وعلم داود فى الصباح أن أوريا لم يدخل بيته فسأله ، وكان رد أوريا ذكيا واعيا وبرر رفضه بأن الجيش يحارب الجبهة فلا تطاوعه نفسه على الاستمتاع والراحة فى بيته فأعاده دواد إلى الجبهة بعد أن حاك مؤامرة للتخلص منه مع القائد العام يؤاب .

ونجحت الخطة وتخلص داود من أوريا الضابط الذى قتله جمال زوجته ، ثم تزوجها بعد انقضاء فترة الحداد .

فلما سمعت امرأة أوريا أن زوجها قد مات ندبت بعلها ولما مضت المناحة أرسل داود إليها وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له أبناء صموئيل الثانى صح ٢٢ كله)

وتصور التوراة داود فى شيخوخته محبا للعذارى يتدثر بهن حين يصاب بالقشعريرة:

(وشاخ الملك داود ، تقدم فى الأيام ، وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ ، فقال له عبيده :

- ليفتشوا لسيدنا الملك عن فتاة عذراء فلتقف أمام الملك لتكن له حاضنة ولتضطجع فى حضنك فيدفأ سيدنا الملك .

أليست هذه الوصفة الطبية روشتة - أفضل الوصفات لداود وشعبه المتردي فى بحار الرذيلة والجنس منذ ثلاثين قرنا إلى يومنا هذا؟

إن يهوذا أحد أبناء يعقوب عليه السلام زنا بكنته تامار حسب كلام التوراة؟؟

(ولما طال الزمان وماتت ابنة شوع إمراة يهوذا ثم تعزي يهوذا فصعد إلى جزار غنمة فأخبرت تامار وقيل لها :

- هوذا حموك صاعد إلى تمنة ليجز غنمه .

فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست فى مدخل عينايم التى على طريق تمنة فنظرها يهوذا وحسبها زانية فمال إليها على الطريق وقال :

- هاتىْ أدخل عليك .

لأنه لم يعلم أنها كنته .

فقالت :

- ماذا تعطينا لكي تدخل على؟

فقال :

- إني أرسل جدي معزى من الغنم

فقالت :

- هل تعطيني رهنا حتى ترسله؟ تكون صح ٣٨ : ١٢ - ١٨)

وبعد ما تم بينهما ما تم أعطاها خاتمه ومنديله وعصاه وبعد أن زنى بها اختفت عن الأنظار ، وحين أرسل يهوذا الجدي ليسترد الرهن لم يجدها الرسل .

وبعد ثلاثة أشهر أخبر يهوذا بأن كنته حبلى لأنها زنت ولم تنتظر زوجها الصغير ابن يهوذا فأمر يهوذا بحرق تامار ، وعند التنفيذ أبرزت تامار الرهن - خاتم يهوذا ومنديله وعصاه- فاعترف يهوذا أنه صاحبه وأوقف التنفيذ .

ثم ولدت تامار توأمين هما : فارض وزارح .

ومن نسل فارض جاء بوعر المتزوج بروث التى هى من نسل مؤاب ، ومن نسلهما جاء داود التوراة فهو أى داود ممزير ابن زنى لأن مؤاب ابن زنى فأمه بنت لوط حبلت به من أبيها ، وبوعز جاء من فارض من الزني كذلك فيكون داود بحسب قول التوراة ممزير - أنظر بقية الإصحاح ٣٨ من سفر التكوين-

وسجلت التوراة وقائع أكثر بشاعة مما تحدثنا عنه .

سجلت أن أمنون بن داود زنى بأخته تامار وغضب شقيقها أبشالوم فانتقم من أمنون بواسطة غلمانه :

(وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمص أخى داود ، وكان يوناداب رجلا حكيما جدًا فقال له :

- لما يا ابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح أما تخبرنى؟

فقال له أمنون :

- إني أحب تامار أخت ابشالوم أخى .

فقال له يوناداب :

- اضطجع على سريرك وتمارض وإذا جاء أبوك ليراك فقل له : دع تامار أختى فتأتي وتطعمني خبزا وتعمل أمامى الطعام لأري فآكل من يدها .

فاضطجع أمنون وتمارض فجاء الملك ليراه فقال أمنون للملك :

- دع تامار أختى فتأتي تصنع أمامي كمكتين فآكل من يدها .

فأرسل داود إلى تامار وقال لها :

- اذهبي إلى بيت أمنون أخيك واعملي له طعاما .

فذهبت تامار إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجع ، وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكا أمامه وخبزت الكعك وأخذت المقلاة وسبكت أمامه فأبى أن يأكل وقال أمنون :

- اخرجوا كل إنسان عنى .

فخرج كل إنسان عنه

ثم قال أمنون لتامار :

- ايتي بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك

فأخذت تامار الكعك الذى عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع وقدمت له ليأكل .

فأمسكها وقال لها :

- تعالى أضطجعي معى يا أختى .

فقالت له :

- لا يا أخى لا تذلنى لأنه لا يفعل هكذا فى بنى إسرائيل لا تعمل هذه القباحة . . والآن كلم الملك لأنه لا يمنعني منك .

فلم يشأ يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها .

ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة جدا حتى أن البغضة التى أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التى أحبها إياها .

وقال لها آمنون :

- قومى انطلقى

فجعلت تامار رمادا على رأسها ومزقت الثوب الملون الذى عليها ووضعت يدها على رأسها وكانت تذهب صارخة .

فقال لها ابشالوم أخوها :

- هل كان آمنون أخوك معك؟ فالآن يا أختى اسكتي أخوك هو لا تضعي قلبك على هذا الأمر - صمويل الثانى صح ١٣ : ١ - ٢٠) .

أما سليمان التوراة وحياته الجنسية فحدث عنه ولا حرج فهي تصوره مزواجا شقيا يقتني مئات الأزواج والسراري :

(وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثير مع بنت فرعون موابيات واوعمونيات وادواميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال الرب لبني إسرائيل :

- لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصدق سليمان بهؤلاء بالمحبة .

وكان له سبعمائة من النساء والسيدات وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه - الملوك الأول صح ١١ : ١ - ٤) .

ولا يصح أن ننهي الحديث عن جذور الفسق والفجور والدعارة فى التوراة دون أن ندون بعض ما جاء فى سفر الانشاد وأتمنى ألا تظنوا أنني أكتب من كتاب: رجوع الشيخ إلى شبابه .

(صوت حبيبتي ، هو ذا آت ظافرا على الجبال ، قافزا على التلال .

حبيبى هو شبيه بالظبى أو بغفر الأيائل ، هوذا واقف وراء حائطنا يتطلع من الكوى يوصوص من الشبابيك .

أجاب حبيبي وقال لى :

قومى ياحبيبتي ياجميلتي تعالى . . التينة أخرجت فجها وقعال الكروم تفيح رائحتها . قومي ياحبيبتي يا جميلتي وتعالى فى الليل على فراش طلبت من تحبه نفسى طلبته فما وجدته إني أقوم وأطوف فى المدينة فى الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسى وجدني الحرس الطائف فى المدينة فقلت :

- أرأيتم من تحبه نفسى؟

فما جاوزتهم إلا قليلا حتى وجدت من تحبه نفسى فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته

بيت أمي وحجرة من حبلت بي .

أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقل ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء .

ها أنت جميلة يا حبيبتى .

ها أنت جميلة عيناك حمامتان من تحت نقابك .

شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد .

أسنانك كقطيع الجزائر الصادرة من الغسل وليس فيهن عقيم .

شفتاك كسلكة من القرمز .

وفمك حلو .

خدك كفلقة رمانة تحت نقابك .

ثدياك كخشفتى ظبية توأمين يرعيان بين السوسن .

قد سبيت بإحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك .

قد سبيت قلبى يا أختى العروس ، قد سبيت قلبى بإحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك يا أختى العروس ، كم محبتك أطيب من الخمر ، وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب .

شفتاك يا عروس تقطران شهدا .

تحت لسانك عسل ولبن ، ورائحة ثيابك كرائحة لبنان .

قد دخلت جنتى يا أختى العروس .

قطفت مرى مع طيبى .

أكلت شهدى مع عسلى .

شربت خمرى مع لبنى .

كلوا أيها الأصحاب .

اشربوا واسكروا أيها الأحباب .

أنا نائمة وقلبى مستيقظ .

افتحى لى يا حبيبتى ، يا حمامتى ، يا كاملتى لأن رأسى امتلأ من الطل وقصص من ندى الليل .

قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه ؟

قد غسلت رجلى فكيف أوسخهما .

حبيبى مد يده من الكوة فأنت عليه أحشائى .

حبيبى أبيض وأحمر شفتاه سوسن تقطران مرا مائعا .

يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد .

بطنه عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق .

ساقاه رخام مؤسستان على قاعدتين من إبريز .

حلقه حلاوة وكله مشتهيات .

ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم .

دوائر فخذيك مثل الحلى صنعته يدى صناع .

سرتك كأس مدورة لا يعوذها شراب ممزوج .

بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن .

ثدياك كخشفتين توأمي ظبية .

عنقك كبرج عاج .

ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات .

قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد .

قلت أني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها ، وتكون ثدياك كعناقيد الكرم .

ورائحة أنفك كالتفاح .

وحنكك كأجود الخمر .

أنا لحبيبي وإلي اشتياقه .

وأقودك وأدخل بك بيت أمى وهي تعلمني فأسقيك من الخمر الممزجة من سلاف رماني بشماله تحت رأسي ويمينه تعانقني - أنظر سفر نشيد الانشاد صح (١ - ٩) .

الظلم والطغيان:

التوراة أول كتاب فى العالم يبيح قتل الأبرياء وأخذ الأبناء بجريرة الآباء كما تقر التوراة العقوبات المشتركة التى يذهب ضحيتها الأطفال والشيوخ والنساء ممن لاذنب لهم ، وتجيز التوراة قتل الحيوانات التى لا تعقل والتي لم يعاقبها تشريع من شرائع العالم ، فها هو موسى التوراة يعاقب الذين اعترضوا عليه من بنى قومه ، ويدعو ربه ليخسف بهم الارض مع نسائهم وأطفالهم :

(خرج داثان وأبيرام ووقفا فى باب خيمتهما مع نسائهما وبينهما أطفالهما .

فقال موسى :

- بهذا تعلمون أن الرب قد أرسلني لأعمل كل هذه الأعمال وأنها ليست من نفس فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الأرض التى تحتهم وفتحت الأرض فاها وابتعلتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من أن بين الجماعة - عدد صح ١٦ : ٢٧ - ٣٣) .

وحين عثر قوم موسى على رجل يحتطب فى يوم سبت لم يرشده إلى دينهم الذى يحرم العمل يوم السبت وإنما قتلا قتلوه :

(ولما كان بنو إسرائيل فى البرية وجدوا رجلا يحتطب حطبا يوم السبت ، فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطبا إلى موسى وهارون وكل الجماعة فوضعوه فى المحرس لأنه لم يعلم ماذا يفعل به؟

فقال الرب لموسى :

- قتلا يقتل الرجل ، يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة .

فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى - عدد صح ١٥ : ٣٢- ٣٦)

ورب اليهود هو الذى شرع لهم أخذ البرىء بجريرة المذنب :

(مفتقد إثم الآباء فى الأبناء وفي أبناء الأبناء الجيل الثالث والرابع - خروج صح ٣٤ : ٧)

(يغفر الذنب والسيئة لكنه لا يبرئ بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع - عدد صح ١٤ : ١٨)

وأولاد الزني الأبرياء منبوذون حتى الجيل العاشر :

(لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب - تثنيه صح ٢٣ : ٢ ، ٣)

ويوشع بن نون خليفة موسى يقرر شرعة العقوبات المشتركة فلا يكتفي بعقاب السارق ، وإنما يقتل معه جميع أفراد أسرته :

(فأخذ يوشع عجان بن زراح - السارق - والفضة والرداء ولسان الذهب وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ماله وجميع بنى إسرائيل معه وصعدوا بهم إلى وادي يخمور فقال يوشع :

- كيف كدرتنا يكدرك الرب فى هذا اليوم .

فرجمه جميع بنى إسرائيل بالحجارة وأحرقوه بالنار وأقاموا فوقه رجمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم .

فرجع الرب عن حمو غضبه - يشوع صح ٧ : ٢٤ - ٢٦) .

وكيف نلوم موسى ويوشع وهما لم يفعلا إلا ما شرعه يعقوب الذى صرع ربه فسماه إسرائيل ، ويعقوب التوراة هذا ظلم أخاه عيسو وسرق بكوريته ولم يبطل أبوهما إسحاق خطة المكر والخديعة ولم يرفع بل حلله وأجازه :

(فقال :

- أنا ابنك بكرك عيسو .

فارتعد إسحاق ارتعادا عظيما جدا وقال :

- فمن هو الذى اصطاد صيدا وأتي به إلى فأكلت من الكل قبل أن تجئ وباركته؟ نعم ويكون مباركا .

فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا وقال لأبيه :

- باركني أنا أيضا يا أبى .

فقال :

- قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك .

ثم قال :

- إلا أن اسمه دعي يعقوب فقد تعقبني الآن مرتين أخذ بكوريتي وهو ذا الأن قد أخذ بركتى .

ثم قال :

- ما بقيت لى بركة إني قد جعلته سيدا لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيدا وعضدته بحنطة وخمر ، فماذا أصنع إليك بابني؟

فقال عيسو لأبيه :

- ألك بركة واحدة يأبى؟ باركني أنا أيضا يا أبى .

ورفع عيسو صوته وبكى .

فأجاب إسحاق وقال :

- هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك وبلا ندي السماء من فوق وبسيفك تعيش ولأخيك تستعبد - تكوين صح ٢٧ : ٣٢ - ٤٠) .

ونحن المسلمين كما أخبرنا القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نؤمن بأن فرعون كان ظالما وباغيا ، بيد أن التوراة تعالج قصة موسى مع فرعون بشكل عجيب يجتذب عطف القارئ على فرعون وقومه ، فالتوراة تسرف فى السخط وتطبيق القصاص الجماعي على الشعب المظلوم الذى كان فرعون يستبعده كما يستبعد

بنى إسرائيل ، وعدالة رب اليهود تبيح أن تصبح مياه المصريين دما وأن يموت السمك فى النهر وينتن ، وأن يفيض النهر بالضفادع فتغطي أرض مصر ، وأن يتحول تراب الأرض إلى بعوض ، وأن يرسل الذباب ليهاجم بيوت المصريين ولا يدخل إلى بيوت بنى إسرائيل ، وأن تنفق - تموت - ماشية المصريين وخيلهم وحميرهم وجمالهم وبقرهم بالوباء ، وأن يصاب المصريون بالدمامل والبثور ، وأن يمطر الرب بردا مقرونا بنار آكلة تصيب الحقول والأعشاب والأشجار ، إلا أرض جاسان حيث كان بنو إسرائيل .

وأن يرسل الجراد على كل أرض مصر ليأكل الأخضر واليابس ، وأن يلف مصر ظلام دامس ثلاثة أيام لا يبصر الأخ فيها أخاه ، وأن يموت كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية التى خلف الرحي وكل بكر بهيمة .

كل هذه العقوبات المشتركة يصبها رب بنى إسرائيل على الشعب المصري لأن فرعون الظالم الطاغية تلكأ فى السماح لبني إسرائيل فى الخروج مع موسى من أرض مصر إلى الأرض التى تفيض لبنا وعسلا . . . أرض فلسطين - راجع سفر الخروج صح٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢)

الغش والسرقة والطمع:

أباحت التوراة الغش والسرقة والمكر والطمع ، ونسبت إلى الأنبياء عليهم السلام تحليتهم بهذه الصفات القبيحة التى يستنكرها المجتمع الإنساني حتى عند الجماعات التى تعيش فى الغابات والتي لم تر نبيا واحدا منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا فهذه رفقة زوجة إسحاق وأم عيسى ويعقوب تحرض ابنها الأصغر يعقوب على سرقة بركة والده بالغش ، والبركة كانت من حق الابن الأكبر عيسو:

(وكانت رفقة سامعة إذا تكلم إسحاق مع عيسو ابنه ، فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيدا ليأتي به ، وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة :

- إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلا : ائتني بصيد واصنع لى أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي ، فالآن يا بنى اسمع لقولي فى ما أنا آمرك به : اذهب إلى الغنم وخذ لى من هناك جديين جيدين من المعزي ، فاصنعهما أطعمة لأبيك كما

يحب ، فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يبارك قبل وفاته .

فقال يعقوب لأمه رفقة :

- هو ذا عيسو أخى رجل أشعر وأنا رجل أملس ، ربما يجسني أبى فأكون فى عينيه كمتهاون وأجلب على نفسى لعنة لا بركة .

فقالت له أمه :

- لعنتك على يا ابني ، اسمع لقولي فقط وأذهب خذ لى .

فذهب وأخذ وأحضر لأمه ، فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى كانت عندها فى البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر ، وألبست يديه وملامسة عنقه جلود جد المعزي ، وأعطت الأطعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب ابنها - تكوين صح ٢٧ : ٥ - ١٧) .

ونجحت الخطة التى نسجت خيوطها رفقة بعد أن أحكمتها بالمكر والغش ، ونال يعقوب بركة أبيه إسحاق بأكلة جدى .

ويشرب يعقوب بعدئذ من نفس الكأس التى سقاها أخاه عيسو فبعد أن أكمل خدمته المقررة مهرا لابنته الصغرى غشه لأبان وزوجه ابنته الكبري ، ثم زوجه الصغري على أن يخدمه سبع سنين أخرى :

- (ثم قال يعقوب للأبان :

- أعطني أمرأتي لأن أيامي قد كملت فأدخل عليها .

فجمع لأبان جميع أهل المكان وصنع وليمة ، وكان فى المساء ، أنه أخذ ليئة ابنته وأتي بها إليه ، فدخل عليها .

وفي الصباح إذا هى ليئة ، فقال للأبان :

- ما هذا الذى صنعت بى ، أليس براحيل خدمت عندك؟ فلماذا خدعتني؟

فقال لأبان :

- لا يفعل هذا فى مكاننا أن تعطي الصغيرة قبل البكر ، أكمل أسبوع هذه فتعطيك

تلك أيضا بالخدمة التى تخدمني أيضا سبع سنين أخر .

ففعل يعقوب هكذا - تكوين صح ٢٩ : ٢١ - ٢٨)

ثم ينتقم يعقوب من لأبان ويغشه بطريقة عجيبة ماكرة . فقد أراد لأبان أن يكرم يعقوب على إخلاصه ويبقيه فى خدمته ويترك له تحديد الأجر ، فطلب يعقوب أن تكون أجرته من الغنم كل شاة رقطاء وبلقاء وكل شاة سوداء بين الخرفان وبلقاء ورقطاء بين المعزي . . فوافق لأبان : (فأخذ يعقوب بنفسه قضبانا خضرا من لبني ولوز ودلب وقشر فيها خطوطا بيضا كاشطا عن البياض الذى على القضبان ، وأوقف القضبان التى قشرها فى الأجران فى مساقي الماء حيث كانت الغنم تجئ لتشرب لتتوحم عند مجيئها لتشرب ، فتوحمت الغنم عند القضبان وولدت الغنم مخططات ورقطا وبلقا ، وأفرز يعقوب الخرفان وجعل وجوه الغنم إلى المخطط وكل أسود بين غنم لأبان ، وجعل له قطعانا وحده ولم يجعلها مع غنم لأبان

وحدث كما توحمت الغنم القوية أن يعقوب وضع القضبان أمام عيون الغنم فى الأجران لتتوحم بين القضبان ، وحين استضعفت الغنم لم يضعها .

فصارت الضعيفة للأبان والقوية ليعقوب ، فاتسع الرجل كثيرا جدا وكان له غنم كثير وجوار وعبيد وجمال وحمير - تكوين صح ٣٠ : ٣٧ - ٤٣)

وتعلم موسى التوراة من جده يعقوب فى الغش والسرقة ، كما رسمه له رب اليهود : (وأعطي نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين ، فيكون حينما تمضون إنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين - خروج صح ٣ : ٢١ - ٢٢) .

(فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة فى ثيابهم على أكتافهم وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى ، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ، وأعطي الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين - خروج صح ١٢ : ٣٤ - ٣٦) .

وعجبا لهذا الإله الذى يحمل لشعبه المختار سرقة غيرهم من عباد الله ، وينظم ويدبر ويخطط لهم خططا نفعية كاملة يحققها على حساب الآخرين :

(لأن الرب إلهك آت بك إلى أرض جيدة أرض أنهار من عيون وغمار تنبع في البقاع والجبال ، أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان ، أرض زيتون زيت وعسل ، أرض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزا ولا يعوزك فيها شيء ، أرض حجارتها حديد ومن جبالها تحفر نحاسا ، احترز من أن تنسي الرب إلهك ، ولئلا تقول في قلبك :

- قوتي وقدرة يدي اصطنعت لي هذه الثروة

بل أذكر الرب إلهك أنه هو الذى يعطيك قوة لاصطناع الثروة ، لكي يفي بعهده الذى أقسم لآبائك كما فى هذا اليوم - تثنيه صح ٨ : ٧ - ١٨) .

ومن أسباب القوة التى أعطاها رب اليهود لشعبه المختار - لاصطناع الثروة - ابتزاز مال غير اليهود بالربا :

(ولا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شئ ما مما يقرض بربا للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا ، لكي يبارك الرب إلهك فى كل ما تمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها - تثنية صح ٢٣ : ١٩ - ٢٠) .

وغريزة الطمع والجشع وعبادة المال وخاصة ما كان ذهبا وفضة أصلية فى نفوس اليهود منذ أن خلقهم الله ﷻ ، وثبتها فى نفوسهم ونماها إلههم الحب للذهب والفضة :

(وكلم الرب موسى قائلا :

- كلم بنى إسرائيل أن يأخذو إلى تقدمة من كل من يحثه قلبه تأخذون تقدمتي ، وهذه هى التقدمة التى تأخذونها منهم : ذهب وفضة ونحاس ، واسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزي وجلود كباش محمرة وجلود تخس وخشب سنط وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة ، فيصنعون لي مقدسا لأسكن فى وسطهم ، بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال آنيته هكذا تصنعون - خروج صح ٢٥ : ١ - ٩) .

وبلغ من شدة حبهم للذهب أنهم صنعوا من حليهم عجلا وعبدوه ، فجاءت التوراة تفتري على هارون عليه السلام وتنسب إليه صنع عجل من الذهب :

(فقال لهم هارون :

- انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وأتوني بها

فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى كانت فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا .

فقالوا :

- هذه آلهتك التى أصعدتك من أرض مصر .

فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه - خروج صح ٢٥ : ١ - ٩) .

وكهنة اليهود يعشقون الذهب ويحبونه حبا جما ، فحين استولي الفلسطينيون على تابوت رب اليهود ، ودعا الفلسطينيون الكهنة والعرافين قائلين :

- ماذا نعمل بتابوت الرب ، أخبرونا بماذا نرسله إلى مكانه؟

فقالوا :

- إذا أرسلتم تابوت إله بنى إسرائيل فلا ترسلوه فارغا بل ردوا له قربان أثم ، حينئذ تشفون من البواسير وهجوم الفيران .

فقالوا :

- وما هو قربان الإثم الذى نرده له؟

فقالوا :

- حسب أعداد أقطاب الفلسطينيين خمسة بواسير من ذهب وخمسة فيران من ذهب ، لأن الضربة واحدة عليكم جميعا وعلي أقطابكم ، واصنعوا تماثيل بواسيركم وتماثيل فيرانكم التى تفسد الأرض ، أعطوا إله بنى إسرائيل مجدًا لعله يخفف يده عنكم وعن آلهتكم وعن أرضكم صموئيل الأول صح ٦ : ١ - ٦) .

وبدأ فى أيام عزهم ومجدهم أثناء حكم الملك سليمان أن عنايتهم بالذهب تفوق كل وصف . حتى أن هيكلهم الدى ملأوا بطون الكتب عن عظمته وقداسته ، جاء بناء عاديا لادوق فى بنائه ولا جمال فى هندسته ولا فن فى تصميمه برغم أكداس الدهب

التى استخدمت فى ذلك البناء :

- (وكان وزن الذهب الذى أتي سليمان فى سنة واحدة ستمائة وستا وستين وزنة ذهب ، وعمل سليمان مائتى ترس من ذهب مطرق ، خص الترس الواحد ستمائة شاقل من الذهب وثلاثمائة مجن من ذهب مطرق ، خص المجن ثلاث أمناء من الذهب ، وعمل كرسيا عظيما عاج وغشاه بذهب ابريز - المملوك الأول ١٠ : ١٤ - ١٨) .

العبودية :

شرعت توراة اليهود أنظمة الرق والعبودية قبل أن تعرف فى التاريخ القديم والحديث والشعب المختار فى نظر التوارة سيد وبقية شعوب الأرض من العبيد الذين يخدمون السادة من اليهود إلى الأبد .

ومنذ أيام نوح عليه السلام أحلت التوراة الرق ومهدت للشعب المختار أن يستعبد شعب كنعان لسبب تافه وحكم ظالم عجيب :

(وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما ، وشرب من الخمر فسكر وتعري داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا ، فأخذ حام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجههما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما ، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال :

- ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لأخوته .

وقال :

- مبارك الرب إله سام ، وليكن كنعان عبدا له ، ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام ، وليكن كنعان عبدًا لهما - تكوين صح ٩ : ٢٠ - ٢٧) .

وتصور التوراة يوسف عليه السلام مستغلا ماهرًا لفقر الشعب المصري ، فيشتريه وأرضه لحساب فرعون - الملك - بعد أن اشترى منهم الفضة والمواشى بالخبز الذى يدفع عنهم الموت :

(ولما تمت تلك السنة أتوا إليه فى السنة الثانية وقالوا له :

- لا نخفي عن سيدي أنه إذا قد فرغت الفضة ومواشي البهائم عند سيدي ، لم

يبق قدام سيدي إلا أجسادنا وأرضنا ، لماذا نموت أمام عينيك نحن وأرضنا جميعا؟ اشترنا وأرضنا بالخبز فنصير نحن وأرضينا عبيدا لفرعون

فاشتري يوسف كل أرض مصر لفرعون إذ باع المصريون كل واحد حقله لأن الجوع اشتد عليهم فصارت الأرض لفرعون وأما الشعب فنقلهم إلى المدن من أقصي حد مصر إلى أقصاه فقال يوسف للشعب المصري :

- إني قد اشتريتكم اليوم وأرضكم لفرعون - تكوين صح ٤٧ : ١٨ - ٢٢)

وداود التوراة كان طاغيا مستبعدا استبعد اليهود وغير اليهود ، فقد كان خدمه الذين يتناوبون على خدمته أربعة وعشرين ألف شهريا ، وأحصيت عددهم فى السنة فكانوا مائتين وثمانين ألفا من أفراد الشعب الذين كانوا ينالون شرف الخدمة عند أبواب الرب داود - انظر صح ٢٧ من سفر أخبار الأيام الأول) .

واستمرأ الملك سليمان أنظمة العبودية التى خلفها أبوه داود وزاد عليها ، واستغل سليمان أبناء الشعب الفلسطيني الذين نجوا من الذبح والإبادة ، حولهم إلى عبيد ينون الهيكل :

(جميع الشعب الباقين من الأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين الذين ليسوا من بنى إسرائيل ، أبناؤهم هم الذين بقوا بعدهم فى الأرض لم يقدر بنو إسرائيل أن يحرموهم - يقتلوهم - جعل عليهم سليمان تسخير عبيد إلى هذا اليوم .

وأما بنو إسرائيل فلم يجعل سليمان منهم عبيدًا لأنهم رجال القتال وخدامه وأمراؤه وثوالثه ورؤساء مركباته وفرسانه - الملوك الأول صح ٩ : ٢٠ - ٢٢) .

(وأمر سليمان ببناء بيت لاسم الرب وبيت لملكه ، وأحصى سليمان سبعين ألف رجل حمال وثمانين ألف رجل نحات فى الجبل ووكلاء عليهم ثلاثة آلاف وستمائة - أخبار الأيام الثانى صح ٢ : ١ - ٢)

ومجموع أولئك العبيد من الفلسطينيين مائة وثلاثة وخمسون ألفا وستمائة ، وكيف نلوم دواد وسليمان إذا كان رب التوراة رجل الحرب ، رب الجنود ، إله بنى إسرائيل هو الذى أحل الاستعباد والرق وأمر به ؟ :

(لأنهم عبيدي- بنو إسرائيل - الذين أخرجتهم من أرض مصر لا يباعون بيع العبيد ، لا تتسلط عليهم بعنف بل أخش إلهك ، وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم ، منهم تقتنون عبيدا وإماء ، وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم فى أرضكم فيكونون ملكا لكم ، وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك ، تستبعدونهم إلى الدهر ، وأما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف - لاويون صح ٢٥ : ٤٢ - ٤٦) .

وتدعو التوراة إلى العبودية الأبدية :

(ولكن إذا قال لك :

- لا أخرج من عندك لأنه قد أحبك وبيتك إذا كان له خير عندك ، فخذ المخرز واجعله فى أذنه وفي الباب فيكون لك عبدا مؤبدا

وهكذا تفعل لأمتك أيضا - تثنية صح ١٥ : ١٦ - ١٧) .

ولا تكتفي التوراة بأن يستبعد بنو إسرائيل شعب فلسطين ، بل تسرق كل الشعوب والأمم وتجعلهم عبيدا لبني إسرائيل :

(هكذا قال السيد الرب :

ها أني أرفع إلى الأمم يدي وإلي الشعوب أقيم رايتي ، فيأتون بأولادك فى الأحضان وبناتك على الأكتاف يحملن ، ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك ، وبالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلمسون غبار رجليك - أشعياء صح : ٢٢ - ٣٢) .

(وبنو الغريب يبنون أسوارك ، وملوكهم يخدمونك ، وتفتح أبوابك دائما ، نهارا وليلا ، لا تغلق ليؤتي إليك بغني الأمم وتقاد ملوكهم ، لأن الأمة والمملكة التى تخدمك تبيد وخرابا تخرب الأمم - أشعياء صح - ١٠ - ١٢) .

الحقد والغدر والمكر :

كثير من قصص الغدر والخيانة والحقد والمكر تسردها وترويها التوراة ناسبة أغلبها

إلى أنبياء اليهود .

فقصة أبناء يعقوب مع شيكم الذى تزوج بأختهم تعتبر درسا من الدروس اللاخلاقية فبعد أن مكروا وخدعوا آل شيكم وأقنعوهم بالاختتان لتتم المصاهرة ويصبح الشعبان شعبا واحدا غدروا بهم وانقلبوا عليهم بعد إتمام عملية الاختتان وأبادوهم :

(فأجاب بنو يعقوب شيكم وحمور أباه بمكر لأنه كان قد نجس دينة أختهم ، فقالوا لهما :

- لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر ، نعطى بناتنا لرجل أغلف - لم يختن - غير أننا بهذا نواتيكم أن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعبا واحدا .

فحسن كلامهم فى عيني حمور وعينى شكيم بن حمور ، ولم يتأخر الغلام أن يفعل الأمر ، لأنه كان مسرورا بابنة يعقوب ، وكان إكرام جميع بيت أبيه

فأتي حمور وشكيم ابنه إلى باب مدينتهما ، وكلما أهل مدينتهما قائلين :

- هؤلاء القوم مسالمون لنا ، فليسكنوا فى الأرض ويتجروا فيها ، وهو ذا الأرض واسعة الطرفين أمامهم ، نأخذ لنا بناتهم زوجات ونعطيهم بناتنا .

فسمع لحمور وشكيم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة .

واختتن كل ذكر .

فحدث فى اليوم الثالث إذا كانوا متوجعين أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخرى دينة أخذ كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر ، وقتلا حمور وشيكم ابنه بحد السيف وأخذا دينة من بيت شيكم وخرجا .

ثم أتي بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة غنهم وبقرهم وحميرهم وكل ما فى المدينة وفي الحقل ، وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل أطفالهم وسائهم وكل ما فى البيوت تكوين صح ٣٤ ١٣ - ٢٨)

وما لبث أبناء يعقوب حينما اكتشفوا أن أباهم يؤثر يوسف بمحبته أن تآمروا عليه

ونفسوا عن الحقد الذى كان يأكل أكبادهم ويفري فى صدورهم ، ونفذوا جريمة ماكرة غادرة بأن باعوا أخاهم بعشرين من الفضة :

فقال يهوذا لأخوته :

- ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه؟ تعالوا للإسماعيليين ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا .

فسمع له إخوته واجتاز رجال مديانيون تجار ، فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة - تكوين صح ٣٧ : ٢٦ - ٢٨) .

وسرت هذه الأخلاق الغادرة الحاقدة الماكرة إلى بنى إسرائيل جميعهم: ومارسها أنبياؤهم وملكوهم وكهنتهم وقادة الجند منهم ، وتصور التوراة دوام أعظم أنبيائهم وملوكهم حقودا غادرا ، غدر بالشعب الفلسطيني الذى حماه وأكرمه يوم كان شريدا طريدا أمام خصمه شاؤل ، فبعد مقتل شاؤل تسلم داود الملك وكشف عن مكره وغدره بأن بطش بالفلسطينيين الذين ظنوا أن داود لابد أن يرد الجميل وخاصة أنهم عرضوا عليه الولاء وفرحوا بتسلمه الملك بعد أن كان لاجئا عندهم :

(وسمع الفلسطينيون أنهم قد مسحوا داود ملكا على بنى إسرائيل فصعد جميع الفلسطينيين ليفتشوا على دواد ، ولما سمع داود ، نزل إلى الحصن وجاء الفلسطينيون وانتشروا فى وادي الرفائيين ، وسأل داود من الرب قائلا :

- أأصعد إلى الفلسطينيين أتدفعهم ليدي؟

فقال الرب لداود :

- أصعد لأني دفعا أدفع الفلسطينيين ليدك .

فجاء داود إلى بعل فراصيم وضربهم داود هناك - صموئيل الثانى صح ٥ : ١٧ - ٢٠) .

وفي كل عمليات الغدر تستصدر التوراة أوامر إلهية تبيح الغدر وتبرره وتأمر به ، فداود التوراة لم يقدم على الغدر بالذين ساعدوه وحموه إلا بعد أن استشار رب اليهود فأمر بضرب الفلسطينيين .

ولم ينس داود قبل أن يموت أن يوصي ابنه سليمان بقتل عدد من الرؤساء والقادة غدرا :

(وأنت تعلم ما فعل بى يؤآب بن صروية فافعل حسب حكمتك ولا تدع شيبته تنحدر بسلام إلى الهاوية . . وهو ذا معك شمعى بن جيرا . . فحلفت له بالرب قائلا :

- أني لا أميتك بالسيف والآن لا تبروه لأنك أنت رجل حكيم فافعل ما تفعل به واحدر شيبته بالدم إلى الهاوية - الملوك الأول صح ٢ : ٥ - ٩)

ولم ينس سليمان وصية أبية داود فاستهل حكمه بسفك الدماء ، وقتل غدرا أدونياه أخاه ، ثم قتل يؤاب القائد رغم أنه لجأ إلى خيمة الرب ليأمن على حياته ، والحق شمعي بحسب وصية أبيه داود - أنظر صح ٢ من الملوك الأول-

أما حقد رب اليهود على الأمم غير اليهودية فهو عنيف لا يقاوم:

(اقتربوا أيها الأمم لتسمعوا وأيتها الشعوب اصغوا ، لتسمع الأرض وملؤها المسكونة وكل نتائجه ، لأن الرب ساخط على كل الأمم وحموا على كل جيشهم ؛ قد حرمهم دفعهم إلى الذبح ، فقتلاهم تطرح وجيفتهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائهم - أشعياء صح ٣٤ : ١ - ٣)

الغاية تبرر الوسيلة :

أباحت توراة اليهود أن يصل الإنسان إلى غايته بأية وسيلة حتى لو كانت تلك الوسيلة منافية للأخلاق .

وميكافللي الإيطالي صاحب هذا المبدأ أو الذى ضرب المثل على تطبيق الغاية تبرر الوسيلة مظلوم حقا لأن هذا المبدأ موجود فى توراة اليهود التى تثبت أن أنبياء التوراة قد طبقوا هذا المبدأ قبل آلاف السنين ، فها هو إبراهيم عليه السلام تصوره التوراة أنانيا غايته أن يعيش ولو على حساب كرامته وتنسب إليه أنه فرط فى عرضه وشرفه خوفا على حياته :

(وحدث جوع فى الأرض ، فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك ، لأن الجوع فى الأرض كان شديدا ، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي - سارة - امراته :

- إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلوني ويستبقونك فقولي: أنك أختى ، ليكون لى خيرا بسببك وتحيا

نفسي من أجلك .

فحدث لما دخل إبراهيم إلى مصر أن المصريين رأوا امرأة حسنة جدا ، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدي فرعون ، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون ، فصنع إبرام خيرا بسببها ، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن - حمير - وجمال - تكوين صح ١٢ : ١٠ - ١٦) .

وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قاوش وشور ، وتغرب في جرار وقال إبراهيم عن سارة امرأته هى أخته ، فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ أبيمالك غنما وبقراً وعبيداً وإماء وأعطاها لإبراهيم ، ورد إليه سارة امرأته تكوين صح ٢٠ : ١ - ١٤)

وكذلك فعل إسحاق بن إبراهيم يوم أمره رب اليهود أن يتغرب فى أرض جرار :

(وسأله أهل المكان عن امرأته فقال :

- هى أختى .

لأنه خاف أن يقول :

- امرأتي لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر

وحدث إذا طالت له الأيام أن أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ونظر وإذا إسحاق يلاعب رفقة امرأته ، فدعما أبيمالك إسحاق وقال :

- إنما هى امرأتك فكيف قلت : هى أختى؟

- فقال له إسحاق :

- لأني قلت لعلي أموت بسببها - تكوين صح ٢٦ : ٧ - ٩) .

وما دامت الغاية تبرر الوسيلة فى نظر أنبياء التوراة فلماذا لا يطبقها الملوك؟

فها هو أخاب ملك السامرة يعجبه كرم جاره نابوت فيحاول شراءه ، إلا أن نابوت لا يبيع الكرم الذى ورثه عن أبيه ، فيكتئب الملك أخاب وتهرع إليه زوجه إيزابل إلى نجدته ، وترسم الخطة الغادرة الماكرة التى توصل الملك إلى غايته ، وتدبر إيزابل الخطة وتستدعي رجلين ليشهدا أن نابوت قد جدف على الله وعلي الملك فيرجمه كهنة بنى

إسرائيل ليخلو للملك الجو فيستولي على كرم نابوت :

(ففعل رجال مدينته الشيوخ والأشراف الساكنون فى مدينته كما أرسلت إليهم إيزابل كما هو مكتوب فى الرسائل التى أرسلتها إليهم ، فنادوا بصوم وأجلسوا نابوت فى رأس الشعب ، وأتي رجلان من بنى بليعام وجلسا تجاهه وشهد رجلا بليعام على نابوت أمام الشعب قائلين :

- قد جدف نابوت على الله وعلي الملك .

فأخرجوه خارج المدينة ورجموه بحجارة فمات .

وأرسلوا إلى إيزابل يقولون :

- قد رجم نابوت ومات .

ولما سمعت إيزابل أن نابوت قد رجم ومات قالت لأخاب :

قم رشن كوم نابوت اليزرغيلي الذى أبى أن يعطيك إياه بفضة لأن نابوت ليس حيا بل هو ميت .

ولما سمع أخاب أن نابوت قد مات قام أخاب لينزل إلى كرم نابوت اليزرغيلي ليرثه الملوك الأول صح (٢١ : ١١ - ١٦) .

وشرعت توراة اليهود قواعد التجسس وجعلتها ركنا أساسيا فى حياة اليهود ، ولعل كلمة تجسس لم ترد على لسان بشر قبل ورودها على لسان رب اليهود :

(ثم كلم الرب موسى قائلا :

- أرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التى أنا معطيها لبني إسرائيل ، رجلا واحدًا لكل سبط من آبائه ترسلون ، كل واحد رئيس فيهم .

فأرسل موسى من برية فاران حسب قول الرب ، كلهم رجال هم رؤساء بنى إسرائيل - عدد صح ١٣ : ١ - ٣) .

واستهل يوشع بن نون زحفه على أريحا بأن أرسل جاسوسين استعانا بالزانية راحاب التى أخفتهما عن عيون ملك أريحا ورجاله ، فقدر لها يوشع هذا الصنيع وأبقي

على حياتها من دون شعب أريحا الذى أفناه يوشع وجيشه :

(وحرموا - قتلوا - كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والحمير بحد السيف .

وقال يوشع للرجلين اللذين تجسسا الأرض :

ادخلا بيت المرأة الزانية وأخرجا من هناك المرأة وكل مالها خلفتما لها

فدخل الرجلان الجاسوسان وأخرجا راحاب وأباها وأمها وأخواتها وكل مالها وأخرجا عشائرها وتركوهم خارج محلة بنى إسرائيل ، وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها - يوشع صح ٦ : ٢١ - ٢٤)

ثم طبق ملوك بنى إسرائيل وأنبياؤهم وسيلة التجسس على نطاق واسع حتى أن الملك دواد قد استخدم يوناثان بن شاؤل جاسوسا على أبيه .

كما بث ابشالوم الجواسيس من جميع أسباط بنى إسرائيل - صموئيل الثانى صح ١٥ : ١٠)

الجبن والنفاق :

سجلت توراة اليهود على الشعب المختار جبنا أصيلا ونفاقا فطريا ، فحين خرج بهم موسى من مصر رأوا المصريين خلفهم دب الرعب فى صدروهم وزلزل الخوف نفوسهم:

(ففزعوا جدا وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب ، وقالوا لموسي :

هل لأنه ليست قبور فى مصر أخذتنا لنموت فى البرية ، أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به من مصر قائلين : كف عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البرية

فقال موسى :

- لا تخافوا . . الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون - خروج صح ١٤ : ١٠ - ١٤)

وحين عاد الجواسيس الذين بعث بهم موسى للتجسس ومعرفة أحوال البلاد

أشاعوا أن الأرض قاحلة تأكل ساكنيها ، وأن شعبها من الجبابرة طوال القامة :

(فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكي الشعب تلك الليلة ، وتذمر على موسى وعلي هارون جميع بنى إسرائيل وقال لهما كل جماعة :

- ليتنا متنا فى أرض مصر أو ليتنا فى هذا القفر ، ولماذا أتي بنا الرب إلى هذه الأرض؟ لنسقط بالسيف؟ تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة؟ أليس خيرا لنا أن نرجع إلى مصر؟

فقال بعضهم لبعض :

- نقيم رئيسا ونرجع إلى مصر - عدد صح ١٤ : ١ - ٤) .

وتعترف التوراة بأن عدد الجيش الزاحف مع موسى ويوشع كان كبيرا خياليا

فقد ورد فى الأصحاح الأول من سفر العدد أن عدد الخارجين للحرب من سن عشرين فصاعدا قد بلغ ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسون محاربا - عدد صح ١ : ٢٠ - ٥٠) .

فإذا علمنا أن شعب فلسطين وسكان أريحا بوجه خاص كانوا قلة غافلة غير مستعدة لقتال أو زحف مفاجئ ، **أدركنا حالة الجبن التى كانت مسيطرة على نفوس اليهود والخوف القابع فى صدروهم .**

ولا شك أن قارئ التوراة يعجب حين يذكر رب الجنود الذى هو رب اليهود يرد فى أغلب صفحات التوراة محاربا جبارا عن شعبه المختار ، مما يساعد على إدراك حقيقة جبن اليهود وخاصة من خلال جميع أعمالهم الحربية التى هى بحق رمز القسوة والوحشية والهمجية .

الجحود ونكران الجميل :

تحمل التوراة فى صدورها وبين جناحيها طبيعة اليهود الجاحدة الناكرة الجميل والمعروف وتكشف قصة يوسف عليه السلام فى مصر التى توردها عن لؤم وخبث اليهود وجحودهم ونكرانهم الجميل .

وتبدأ القصة من أيام تسلط يوسف على أرض مصر وشعبها بسبب نفوذه عند

فرعون - الملك - وما كان من مجاعة عامة فى أرض كنعان ، أدت إلى أن يهب يوسف لمساعدة أبيه وإخواته وإنقاذهم من المجاعة وتزويدهم بالمال والطعام والعجلات والدواب التى تنقلهم إلى مصر :

(فقام يعقوب من بئر سبع وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم فى العجلات التى أرسل فرعون لحمله ، وأخذوا مواشيهم ومقتناهم الذى اقتنوا فى أرض كنعان وجاءوا إلى مصر - تكوين صح ٤٦ : ٥ - ٦)

وحين قابلهم يوسف اتفق معهم أن يذكروا أمام فرعون أنهم رعاة غنم وأهل مواشي ، ليسكنهم أرض جاسان المنعزلة ، وتلك لعمري خطة أملتها أخلاق المغضوب عليهم السفهاء المستديمة من الغرور والتعالي والانعزال وكره الناس كافة ، وكان فرعون شهما كريما فوافق على طلبهم :

(فكلم فرعون يوسف قائلا :

- أبوك وأخوتك جاءوا إليك ، أرض مصر قدامك ، فى أفضل الأرض أسكن أباك وأخوتك ، ليسكنوا فى أرض جاسان ، وإن علمت أنه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء مواشي على التى لى

فأسكن يوسف أباه وأخواته وأعطاهم ملكا فى أرض مصر من أفضل الأرض أرض رعمسيس كما أمر فرعون ، وعال يوسف أباه وإخوته وكل بيت أبيه بطعام على حسب الأولاد - تكوين صح ٤٧ : ٥ - ١١)

وتكاثر بنو إسرائيل فى مصر لأنهم ينعمون بخيرات البلاد ويعيشون بهدوء فى ظلال يوسف ومجده حتى بعد مماته ، ولم يكن عبثا أن يشعر فرعون من جديد بالقلق لكثرة بنى إسرائيل وتجمعهم وانكماشهم على أنفسهم :

(ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف ، فقال لشعبه :

- هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا ، هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا يصعدون من أرضنا - خروج صح ١ : ٨ - ١٠)

ثم تأتي قصة موسى مع فرعون مصر فتوردها التوراة بأسلوب ينم عن جحود صارخ ويجعل القارئ عطوفا على فرعون الباغي الطاغي لا على موسى عليه السلام وبني إسرائيل المضطهدين . ومن لا يعطف على فرعون التوراة فإنه لا شك منجذب بأحاسيسه وعواطفه إلى ذلك الشعب البرئ الكريم المضياف ، الذى صب عليه يهوه رب اليهود أو إله التوراة جسام غضبه وسخطه ورماه بالأوبئة والدواهي وذلكم هو الشعب المصري .

ورب اليهود الذى ضرب المصريين إشباعا لغريزة اليهود اللئيمة الجاحدة هو رب الجنود الذى أوحي إلى داود أن يغدر بالفلسطينيين الذين آووه وحموه فى أيام محنته ، وحين أصبح ملكا تنكر وجحد فضلهم وأنكر جميلهم ، ثم فتك بهم واستعبدهم - أخبار الملوك الأول صح ١٤ : ٨ - ١٠)

الاستغلال والسيطرة :

لا يكاد سفر من أسفار التوراة ولا إصاح من إصحاحاتها يخلو من بيان يجلو غريزة الإستغلال وحب السيطرة الكامنة فى نفوس اليهود منذ أيامهم الأولي ، حتى قبل أن تنهال عليه الوعود الإلهية من رب الجنود يهوه ، تلك الوعود التى ضاعفت من تلك الغريزة ونمتها لتغدو شهوة محمومة مسعورة لا يمكن معالجتها أو كبح جماحها .

ويبدو لنا من قراءة التوراة بعد أن استقر حكم اليهود فى الجزء الجبلي من فلسطين - أورشليم والسامرة - على أنقاض الشعب الفلسطيني الشجاع ، أعلن الملك داود أن رب اليهود أمره ببناء بيت لسكناه ، وأن الرب قد اختار أورشليم محلا لسكناه لأنه اشتهاها وأعلن داود أن يهوه قدر انشغاله بالحروب الكثيرة ، فنقل مسئولية بناء بيت الرب إلى ابنه سليمان ، وحتى تولي سليمان الملك شرع فى تنفيذ وصية أبيه داود المبنية على أوامر رب الجنود ، وبدأت عملية بناء هيكل سليمان التى تعد من أشد عمليات التاريخ ظلما واستغلالا وتسلطا .

(وسخر سليمان من جميع بنى إسرائيل وكانت السخرة ثلاثين ألف رجل ، فأرسلهم إلى لبنان عشرة آلاف فى الشهر بالنوبة ، يكونون شهرا فى لبنان وشهرين فى بيوتهم - أخبار الملوك الأول صح ١٤ : ٨ - ١٠) .

(وعد سليمان جميع الرجال الأجنبيين الذين فى أرض بنى إسرائيل بعد الله الذى عدهم إياه داود وأبوه فوجدوا مائة وثلاثة وخمسين ألفا وستمائة ، فجعل منهم سبعين ألف حمال وثمانين ألف قطاع على الجبل - يقطعون الحجارة - وثلاثة آلاف وستمائة وكلاء لتشغيل الشعب - أخبار الأيام الثانى صح ٢ : ١٧ - ١٨) .

وليس عجيبا أن يعلم القارئ أن هيكل سليمان الذى كان نقمة ونذيرا وبلاء على اليهود بوجه خاص وعلي الإنسانية بوجه عام قد بناه مهندسون لبنانيون وعمال فلسطينيون ، وجلبت مواد بنائه وبخاصة خشب الأرز من غابات لبنان ، وعماله الفنيون فى صناعة الذهب والفضية من لبنان كذلك .

ولم يكن دور سليمان وبني إسرائيل فيه إلا استخدامه بعد تمامه مكانا للعبادة ذات الطقوس العجيبة التى تتمثل فى حرق شحوم الذبائح لتصعد روائحها ليلا ونهارا ، إشباعا لشهوة يهوه ورغبته فى استنشاق المحروقات الحيوانية .

وتستمر قصة هيكل سليمان وتسخير الشعوب من أجل إعادة بنائه ، ففي عهد كورش ملك الفرس ، سمع بعودة بنى إسرائيل من السبي وسخر لهم موارد الدولة يستخدمونها فى إعادة بناء الهيكل :

(فمن مال الملك من جزية عبر النهر تعط النفقة عاجلا لهؤلاء الرجال حتى لا يبطلوا ، وما يحتاجون إليه من الثيران والكباش والخراف محرقة لإله السماء وحنطة وملح وخمروزيت حسب قول الكهنة الذين فى أورشليم لتعط لهم يوما فيوما حتى لا يهدأوا ، وقد صدر مني أمر أن كل إنسان بغير هذا الكلام تسحب خشبة من بيته ويعلق مصلوبا عليها ويجعل بيته مزبلة من أجل هذا .

وفي عهد الملك ارتحشستا ظهر الكاهن عزرا الذى استطاع أن يتقرب إلى الملك **ويجعل منه على رسالة من أعجب رسائل الانتهازية والمكر والاستغلال** ، والرسالة تحمل أوامر ملكية إلى الحكام والولاة الذين يمر بهم عزرافى طريقه من بابل إلى أورشليم ليضعوا تحت تصرفه موارد البلاد وثرواتها .

(قد صدر مني أمر أن كل من أراد فى ملكي من شعب إسرائيل وكهنته واللاويين أن يرجع إلى أورشليم معك فليرجع ، من أجل أنك مرسل من قبل الملك ومشيريه من

السبعة لأجل السؤال عن يهوذا وأورشليم حسب شريعة إلهك التى بيدك ، ولحمل فضة وذهب تبرع به الملك ومشيروه لإله بنى إسرائيل الذى فى أورشليم مسكنه ، وكل الفضة والذهب الذى تجد فى بلاد بابل مع تبرعات الشعب والكهنة المتبرعين لبيت إلههم فى أورشليم ، لكي تشتري عاجلا بهذه الفضة ثيرانا وكباشا وخرافا وتقدماتها وسكائبها وتقربها على المذبح الذى فى بيت إلهكم الذى فى أورشليم ، ومهما حسن عندك وعند أخوتك أن تعملوه بباقي الفضة والذهب فحسب إرادة إلهكم تعملونه ، والآنية التى تعطي لك لأجل خدمة بيت إلهك فسلمها أمام إله أورشليم ، وباقي احتياج بيت إلهك الذى يتفق لك أن تعطيه فأعطه من بيت خزائن الملك .

ومني أنا ارتحشستا صدر أمر إلى كل الخزانة الذين فى عبر النهر أن كل ما يطلبه منكم عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء فليعمل بسرعة إلى مائة وزنة من الفضة ومائة كرمن الحنطة ومائة بث الخمر ومائة بث من الزيت والملح من دون تقييد ، ونعلمكم أن جميع الكهنة واللاويين والمعنين والبوابين والنتينيم وخدام بيت الله هذا لا يؤذن أن يلقي عليهم جزية أو خراج أو خفارة - عزرا صح ٧: ١٣ - ٢٤) .

وتكررت عملية الاستغلال حين ظهر الكاهن نحميا ، وخدع الملك وناح أمامه حزنا على بنى إسرائيل الذين ينتظرون نجدته فى أورشليم:

(وقلت للملك:

إن حسن عند الملك فلتعط لى رسائل إلى ولاة عبر النهر لكي يجيروني حتى أصل إلى يهوذا ، ورسالة إلى آساف حارس فردون الملك لكي يعطيني أخشابا لسقف أبواب القصر الذى للبيت ولسور المدينة وللبيت الذى أدخل إليه

فأعطاني الملك حسب يد إلهي الصالحة - على - نحميا صح ٢: ٧ ، ٨) .

وكان لنحميا ما أراد وسخرت أموال البلاد فى خدمة اليهود وأعاد ترميم الهيكل ، وأصعد المحرقات إرضاء لرب اليهود الساكن فى أورشليم

واستغلال اليهود لغيرهم من شعوب الأرض شىء عادى يعتبرونه حقا فرضه وقرره لهم إله بنى إسرائيل:

(أرفعي عينك حواليك وانظري - يا أورشليم -

قد اجتمعوا كلهم ، جاءوا إليك ، يأتي بنوك من بعيد ، وتحمل بناتك على الأيدي حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتي إليك غني الأمم وترضعين لبن الأمم ، وترضعين ثدى ملوك .

عوضا عن النحاس آتى بالذهب .

وعوضا عن النحاس آتى بالفضة .

وعوضا عن الخشب آتى بالنحاس .

وعوضا عن الحجارة آتى بالحديد - أشعياء صح ٦٠ : ٤ - ١٧) .

(ومد الرب يده ولمس فمي وقال الرب لى :

- ها قد جعلت كلامى فى فمك .

أنظر وقد وكلتك هذا اليوم على الشعوب ، وعلي الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض أرميا صح ١ : ٩ - ١٠) .

الكـــذب :

الكذب فى توراة اليهود من الأمور الشائعة التى يقرأها ويصادفها القارئ فى أغلب صفحات العهد القديم البالغة ١٣٥٨ صفحة .

ويأخذ الكذب عن يهود التوراة أشكالا مختلفة تصور كلها نفسية اليهود المريضة وخيالهم السقيم وعقولهم السخيفة التى تؤمن بالخرافات والخزعبلات والشعوذة وقد نقلنا وعرضنا فى أول هذا الفصل الوعود الكاذبة الكثيرة التى لفقها حاخامات المغضوب عليهم وحشوا بها توارتهم .

وها هنا نعرض أشكالا أخرى من الكذب المفضوح الذى لا ينطلي على عقل طفل ساذج بل إنسان عاقل .

وها هى التوراة تكذب على لسان يوشع بن نون :

(حينئذ كلم يوشع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بنى إسرائيل ، وقال أمام عيون بنى إسرائيل :

- يا شمس دومي على جبعون ، ويا قمر على وادي إيلون .

فدامت الشمس ، ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه .

أليس هذا مكتوبا فى سفر يا شر؟

فوقفت الشمس فى كبد السماء ، ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل .

ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت إنسان ، لأن الرب حارب عن بنى إسرائيل - يشوع صح ١ : ١٢ - ١٤) .

وتكذب التوراة كثيرا فى قصة شمشون الذى يمسك فى آن واحد بثلاثمائة ثعلب ويربطها بأذنابها بمشاعل تحرق زروع الفلسطينيين :

(وذهب شمشون وأمسك ثلاثمائة ابن آوي وأخذ مشاعل وجعل ذنبا إلى ذنب ووضع مشعلا بين كل ذنبين فى الوسط ، ثم أضرم المشاعل نارا وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزروع وكروم الزيتون - قضاة صح ١٥ : ٤ - ٥)

وتصور التوراة قوة شمشون الخارقة وكأنها كاميرا يقف وراءها مخرج سينمائي حين يقتل شمشون ألف رجل فلسطيني بالكمال والتمام بفك حمار ، ماذا كان يفعل لو كان معه فك جمل أو سيف عنترة بن شداد؟؟ :

(ووجد لحي حمار طريا فمد يده وأخذه وضرب به ألف رجل ، فقال شمشون :

- بلحي حمار كومة كموتين ، بلحي حمار قتلت ألف رجل - قضاة صح ١٥ : ١٥ - ١٦)

وتختتم التوراة مسلسل البطل الخارق :

(ثم خاتمة شمشون التوراة حين يمسك بيديه العمودين المتوسطين فى المبعد وينحني عليهما ليسقط المعبد على رءوس آلاف الفلسطينيين - قضاة صح ١٦ : ٢٧ - ٣٠)

وكذب التوراة فى مسائل الحرب كثيرة جدا :

(وابتدأ ابيا فى الحرب بجيش من جبابرة القتال أربعمائة ألف رجل مختار ، ويربعام اصطف لمحاربته بثمانمائة ألف رجل مختار جبابرة بأس .

فخرج إليهم زارح الكوشي بجيش ألف ألف وبمركبات ثلاثمائة - أخبار الأيام صح ١٣ : ٣ ، صح ١٤ : ٩)

وهذه الأرقام التى تصل ثمانمائة ألف وتصل إلى ألف ألف - مليون - خيالية كاذبة لأن وسائل التعبئة والسوق فى الحرب فى حروب قديمة فى ذلك الزمن كانت عاجزة تماما عن إعداد مثل هذه الجيوش الضخمة .

وداود التوراة كذوب لا يخفي كذبه حتى فى مزاميره الدينية :

(عند خروج بنى إسرائيل من مصر وبيت يعقوب من شعب أعجم كان يهوذا مقدسه ، وإسرائيل محل سلطانه ، البحر رآه فهرب ، الأردن رجع إلى البحر قد هربت ، وما لك أيها الأردن قد رجعت إلى خلف .

وما لكن أيتها الجبال قد قفزتن مثل الكباش ، ويا أيتها التلال مثل حملان الغنم

أيتها الأرض تزلزلي من قدام الرب ، من قدام إله يعقوب المحول الصخرة إلى غدران مياه الصوان إلى ينابيع مياه - مزمور ١٤٠ : ١ - ٨)

وحين تصور التوراة داود كاذبا ، فإنها لم تأت بجديد حين تكذب فى وصف ضباطه الأبطال :

(هذه أسماء الأبطال الذين لداود: يوشيب بشبت التحكموني رئيس الثلاثة ، هو هز رمحه على ثمانمائة قتلهم دفعة واحدة .

وابيشاي أخو يؤاب بن صروية هو رئيس ثلاثة ، هذا هز رمحه على ثلاثمائة قتلهم ، فكان له اسم بين الثلاثة - صموئيل الثانى صح ٢٣ : ٨ - ١٨) .

فإذا كان الفارس المغوار يوشيب هز رمحه فقتل ثمانمائة دفعة واحدة فكم يقتل إذا رمي رمحه هذا؟ ألف ألف؟؟

وإذا كان الفارس الذى لا يشق له غبارا بيشاي هز رمحه على ثلاثمائة قتلهم ، فكم يقتل إذا رمي رمحه . .؟؟؟

اليهود والنصاري لن يصلحوا معنا ولن يسالمونا :

ظهر لنا جليا أن اليهود قوم لا أمان لهم ولا عهد لهم أبدا ، وأنهم لم ولن يتخلوا عن صفات الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق فقد فعلوا الكثير والكثير مع خاتم النبيين ﷺ بالرغم من تأكدهم من صدقه ومعرفتهم له كما يعرفون أبناءهم ، وقد خانوا

الله ﷻ فكيف بما فعلوه وما يفعلونه مع المسلمين فى كل زمان ومكان؟

ولست بحاجة إلى بيان ما يفعله اليهود بالمسلمين وما يخططون له ، فهذا أمر واضح جلى ذى عينين .

ولكن العجب كل العجب أننا نرى كثيرا من أمة لا إله إلا الله بدلا من أن يعلنوا العداء للمغضوب عليهم والضالين ويحذروا مكرهم وخداعهم رأيناها يسارعون فى التودد إليهم ويوالونهم ويستجدون منهم مناهجهم وأوضاعهم ونظمهم الخبيثة ويسارعون فى هواهم وينفذون ما يميله عليه عباد الصليب والسفهاء الملعونين .

هل نسي هؤلاء أن الله ﷻ قد جعل من يوالي اليهود والنصاري كان منهم وحكمه كحكمهم؟ ألم يقرأ هؤلاء أو ألم يسمع هؤلاء قول العليم الخبير ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٥١] .

ألم يقرأ هؤلاء قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٠٠] .

أيظن هؤلاء أنهم بموالاتهم لليهود والنصاري سوف ينالون رضاهم؟ كلا فإن الحق جل وعلا يقول: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٢٠] .

إن الله ﷻ يخبرنا فى هذه الآية على جهة التأكيد والدوام أن السفهاء والضالين لن يصلحوا معنا ولن يسالمونا أو يرضوا عنا حتى نتبع باطلهم ونحذوا حذوهم فى شركهم وكفرهم وانحلالهم ، فمن الغباء والجهل بل من الكفر أن يشك الإنسان فى أخبار الله ﷻ فى طبيعة العلاقة لكل من اليهود والنصاري معنا .

إن من يظن أنه يمكن أن يقع خلاف ما أخبر علام الغيوب فى شأن اليهود والنصاري يكون غير مسلم .

إنه لا يتصور من مسلم حقا أن يعتقد أن من الممكن أن يتحول السفهاء والضالين إلى أناس مسالمين موادعين مناصرين لنا على الحق .

إن هذا التصور الخاطئ ، الفهم الساذج لا يصدر من إنسان مسلم بل مخدوع بأضاليل وكذب اليهود والنصارى .

فمن أراد القوة والعزة فلن يحصل عليها إلا من القوي العزيز الذى بيده مقاليد الأمور كلها . ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [سورة فاطر الآية : ١٠] .

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة المنافقين الآية : ٨] .

الجرأة على العزيز الحكيم :

وتجرأ السفهاء على العليم الخبير فى تلمودهم ووصفوه جل وعلا كأنه إنسان طائش فقال حاخاماتهم :

أن الله ليس معصوما من الطيش ، ولا من الغضب ، وأنه محتاج دائما إلى حاخاماتهم . وأن الله لا شغل له فى الليل غير تعلمه التلمود - الكتاب الذى يعتبر شرحا للتوراة ، وهو من وضع علماء يهود وأحبارهم ، وهم يزعمون أنه الوحي غير المكتوب الذى تركه موسى عليه السلام ، وهم يعتقدون أنه أعظم من التوراة - مع الملائكة مع ملك الشياطين فى مدرسة السماء .

وأن الله لم يلعب مع الحوت بعد هدم الهيكل ، كما أنه من ذلك الوقت لم يمل إلى الرقص مع حواء ، بعد ما زينها بملابسها وعقص شعرها .

وأن الله قد اعترف بخطئه فى تصريحه بتخريب الهيكل ، فصار يبكي ويمضي ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلا :

- تبالي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي .

وأن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها فى السماء .

وأن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله ، وقد وقع يوما الاختلاف بين الإله وعلماء اليهود فى مسألة ، فبعد أن طال الجدل تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الرابين ، واضطر الله أن يعترف بغلطه من حكم الحاخام

المذكور (التلمود صفحة : ٧٤)

﴿ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء الآية : ٤٣].

بل ويعتقد أبناء القردة والخنازير:

أن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح، بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده:

ومن ثم كانت أرواح اليهود تتميز عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات (الكنز المرصود صفحة : ٥٠) وأنه لا يدخل الجنة إلا اليهود ، أما الجحيم فهو مأوي الكفار .

وبما أن اليهود كما يعتقدون جزء من الله والابن جزء من أبيه ، لذلك ذكر فى التلمود :

أنه إذا ضرب أمي - الأمى فى عرف اليهود كل من ليس يهودياً - إسرائيلياً فالأمى يستحق الموت (الكنز المرصود صفحة : ٥٠)

كل الناس غير اليهود حمير أو كلاب :

صور التلمود للسفهاء أن كل الناس غير اليهود بأنهم حمير وكلاب وخنازير ، بل الكلاب أفضل منهم ، لأن مصرح لليهودي فى الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب ، وغير مصرح له أيضا أن يعطيهم لحما ، بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم

وجاء فى التلمود أيضا (الكنز المرصود صفحة : ٦٩) :

وخلق الله الأجنبي على هيئة إنسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت لهم الدنيا .

مثل بني إسرائيل :

إن اليهود يعتبرون أنفسهم مساوين للعزة الآلهية فتكون الدنيا كلها لهم ، ولهم حق التسلط عليها :

لذا كانت وصاياهم :

لا تقتل - يعني يهوديا - ولا تسرق - يعني من يهودى - لا تزن - يعني بيهودية - لا تشهد بالزور يعني على اليهودى -

وجاء فى التلمود صفحة : ٧٤ :

إن مثل بنى إسرائيل كمثل سيدة فى منزلها ، يستحضر لها زوجها النقود وتأخذها بدون أن تشترك معه فى العمل والتعب .

سرقة الأجانب مباحة :

مسموح غش الأمي وأخذ ماله بالسرقة أو بالربا الفاحش ، وقد فضح الله ﷻ المغضوب عليهم فى محكم كتابه ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ٧٥] .

وإن المرابى صموئيل أحد حاخامات يهود المهيمنين كان رأيه أن سرقة الأجانب مباحة ، وقد اشترى هو نفسه من أجنبى آنية من الذهب كان يظنها الأجنبى نحاسا ، ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط ، وهو ثمن بخس ، وسرق درهما أيضا من البائع .

إن الله لا يغفر ذنبا ليهودى يرد للأمى ماله المفقود (التلمود صفحة : ٧٧) .

غير مصرح لليهودى أن يقرض الأجنبى إلا بالربا (التلمود صفحة : ٨١) .

اقتل الصالح من غير الإسرائيليين :

ومحرم على اليهودى أن ينجى أحدا من باقى الأمم من الهلاك ، أو يخرجه من حفرة يقع فيها (التلمود صفحة : ٨٩٤) .

إذا وقع أحد الوثنيين فى حفرة يلزمك أن تسدها بحجر (التلمود صفحة ٨٥)

الحاخامات قتلوا جماعة من النصارى فى روما :

اعترف المغضوب عليهم فى كتابهم المسمى سد حادرون أن الحاخامات تسببوا فى روما فى قتل جماعة من النصارى .

وأن الإمبراطور مارك أوريل قتل جماعة من النصارى بناء على إيعاز اليهود .

وأنه فى سنة ٤١٢ بعد المسيح قتل اليهود مائتى ألف مسيحى فى روما وكل نصارى قبرص .

وأنه فى زمن البابا كليمان قتل اليهود فى روما وخارجها جملة من النصارى كرمال البحر .

وأنه بناء على رغبة اليهود قتل الإمبراطور دبوكليسيين جملة من المسيحيين ومن بينهم باباوات (كتاب سد حادرون صفحة ٨٨)

ولقد ثار اليهود على المسيحيين فى فلسطين عام ٧٠م وذبحوا منهم خلقا كثيرا .

وفى عام ١٠٥م وفى عهد الحاخام أكيا ذبحوا من المسيحيين ٢٠٠ ألف فى ليبيا .

وفى قبرص ذبحوا ٢٤٠ ألف .

وفى عام ١٢٤م ذبحوا من المسيحيين عشرات الآلاف فى فلسطين

وفى عام ١٣٥ م قتل اليهود بقيادة باركوخيا عشرات الآلاف من المسيحيين فى فلسطين .

وفى عام ١٥٥م قتل الإمبراطور جميع النصارى فى رومانيا بناء على دسائس الحاخام يهوذا .

اليهود سبب الفتنة القائمة بين الكاثوليك والبروتستانت :

كان ومازال السفهاء سببا فى الحروب الطاحنة التى دارت بين الكاثوليك والبروستانت والتى كان من ورائها الأفاعى اليهود الذين اندسوا بين الفريقين يحرضون كلا منها على الآخر ، ويزينون لكل قتل أخيه مما سبب قتل مئات الآلاف من الفريقين .

اليهود مخربون :

جاء فى كتب المغضوب عليهم :

إهدم كل قائم ، لوث كل طاهر ، احرق كل أخضر كى تنفع يهوديا بفلس .

اقتلوا جميع من فى المدن من رجل وامرأة ، وطفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف .

اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود .

العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات فى كل يوم .

أهداف الصهيونية :

الصهيونية مذهب سياسى متطرف .

أعلن الدكتور أيدر رئيس اللجنة الصهيونية :

أهداف الصهيونية هى إبادة العرب جميعا .

وما أعلنه وزير الحربية الإسرائيلى موشى ديان :

لقد استولينا على أورشليم ، ونحن فى طريقنا إلى يثرب - المدينة المنورة - وإلى بابل - بالعراق - .

اليهود كلاب البشر :

لليهود أطماع بالنسبة للعرب وهذه الأطماع هى :

١- إبادة الشعب العربى بكامله ، واجتثاث أمة العرب من جذورها اجتثاثا تاما حتى لا يبقى أمامهم وجه عربى ولا يسمعون صوتا عربيا .

٢- الاستيلاء على أرض العرب جميعها من غير استثناء ليكونوا المالكين لها والمسيطرون على ثروائها والمتمتعين وحدهم بخيراتها .

حلم أبناء صهيون :

هناك حلم يراود أفكار أبناء صهيون ويداعب خيالهم الخبيث وهو : امتلاك العالم والسيطرة على الدنيا بقارتها الست ومحيطاتها الخمسة ، وذلك لأنهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وأن ما سواهم لم يخلق إلا لخدمتهم لهذا زعموا فى كتبهم :

أن إسرائيل سأل ربه قائلا :

- لماذا خلقت خلقا سوى شعبك المختار ؟

فأجابه قائلا :

- لتركبوا ظهرهم ، وتمتصوا دماءهم ، وتحرقوا أخضرهم ، وتلوثوا طاهرهم ، وتهدموا عامرهم .

فهل نسى المغضوب عليهم أن القرآن قد فضحهم ، وسماهم : السفهاء الفاسقين ، قتلة الأنبياء ، المجرمين والكاذبين ؟

وعد الله حق :

وإذا كان لجراثيم البشر اليوم جولات وصولات مع الفسلطينين يقتلون ويغتالون ويذبحون ويهدمون المنازل ويخربون ، فلسوف يتحقق فيهم قول الحق جل وعلا ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [سورة القمر : الآية ٤٥].

يقول الشاعر :

تطالعنا الأحداث فى كل ساعة ::: ونلقى من الصهيون غدرا مجسما
نسيتم رسول الله والرسل خلفه ::: يحيون من أضحى الإمام المكرما
وإنا سألنا الله تطهير أرضنا ::: وإنا سنفدى الأرض بالروح والدما
أتباع خير الخلق ماذا أصابنا ::: لنترك أرض القدس للبغى مغنما
وسبحان من اسرى نسيتم نزولها ::: نسيتم حبيبنا فيه صلى وسلما
بنى العرب دين العرب عز وثروة ::: وكل ذليل لا أسميه مسلما
حلفت بمولانا قديرا وناصرا ::: بانا سنأتى القدس وعدا محتما

أين أصوات المنافقين ؟ :

لما حكم الصحابى الجليل سعد بن معاذ بحكم الله ﷻ من فوق سبع سماوات فى بنى قريظة الخونة ارتفعت أصوات تهاجم النبى الخاتم ﷺ لأنه وافق على حكم سعد بن معاذ وأنكروا مقتل ثمانمائة يهودى خانوا الإسلام ونبى الإسلام .

أين أصوات هؤلاء المنافقين اليوم؟ ألم يسمعوا عن مذابح يرتكبها أبناء صهيون كل يوم فى فلسطين؟ ألم يشاهدوا الطائرات والدبابات والصواريخ والموت يجتاح كل يوم مدن فلسطين؟ ألم يشاهدوا الجرافات تهدم البيوت على من فيها؟ ألم يروا اغتيالات العشرات كل يوم من الفسلطينيين أين صواتهم؟ هل بحت أم خنقتها الخجل؟ .

****

اليهود والإرهاب

اليهود . . السفهاء . . الملعونون . . الفاسقون هم أصل ونبع الإرهاب

فمن دس السم فى الشاة يوم خيبر وقدمها إلى الرحمة المهداة ﷺ ؟

زينب بنت الحارث زوج سلام بن مشكم .

ومن دس السم لأبى بكر الصديق والحارث بن كلدة ؟

خنزير يهودى حقود كان سبباً فى وفاة الخليفة الأول وطبيب العرب الحارث بن كلدة .

وجاء كعب الأحبار - كان حبراً من يهود وأسلم فى عهد الفاروق - إلى أمير المؤمنين عمر وقال له :

- يا أمير المؤمنين : اعهد فإنك ميت فى ثلاث ليال .

فتساءل عمر بن الخطاب :

- وما يدريك ؟

قال كعب الأحبار :

- أجده فى كتاب التوارة .

قال أبو حفص :

- آلله إنّك لتجد عمر بن الخطاب فى التوارة ؟

فقال كعب الأحبار :

- اللهم لا ولكنى أجد حليتك وصفتك وإنك قد فنى أجلك

فتساءل الفاروق :

- وعمر لا يحس وجعا ؟

قال كعب الأحبار :

- وجدتك فى التوراة شهيدا

فقال أمير المؤمنين عمر :

- وأنى لى بالشهادة وأنا بجزيرة العرب ؟

وكان كعب الأحبار ضالعاً فى مؤامرة قتل عمر ومحرضاً عليها فهو يهودى دخل الإسلام ورأى ما فعل المسلمون بيهود بنى قينقاع ، ويهود بنى النضير ، ويهود بنى قريظة .

فقد اجتمع كعب الأحبار بأبى **لؤلوة المجوسى قبل لقائه بعمر وأخبره أنه ميت بعد** ثلاث ليدل على أنه ذو علم من التوراة **وفى الحقيقة أنه دبر مقتل عمر مع أبى لؤلؤة فيروز المجوسى الذى طعن عمر وهو يصلى الفجر بعد ثلاث ليال كما قال كعب الأحبار . . اليهودى .**

ومن قتل نُعيم بن مسعود الأشجعى الذى خذل الأحزاب وكان سبباً **فى الخلاف** الذى دب بين الأحزاب وبنى قريظة ؟

لما عرف يهود بنى قريظة **أن نعيم هو الذى كان سبباً فى فشل الأحزاب وبنى قريظة** فى عدم القضاء على الإسلام ونبى الإسلام وأنه خذل الأحزاب . . **راحوا يطاردونه وقتلوه فى عهد ذى النورين أى بعد سنوات وسنوات .**

وإننا لا نغفل ما قام به عبد الله بن سبأ اليهودى الذى انتقل من المدينة إلى مصر إلى البصرة إلى الكوفة وحرض الناس ضد عثمان بن عفان فجاءوا إلى المدينة بحجة أداء فريضة الحج وحاصروا قصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان وقتلوه .

وعبد الله بن سبأ أو ابن السوداء **هو الذى اتفق مع الخوارج فخرج ابن جلموز وقتل** الزبير بن العوام واغتال عبد الرحمن **بن ملجم على بن أبى طالب .**

وأعطى يهودى خادما للخليفة العادل عمر بن عبد العزيز **ألف دينار فدس له السم** فى طعام أو شراب . . فمات .

وفى العصر الحديث :

لما عرف هتلر حقيقة اليهود **كان يلقى بهم فى الأفران المشتعلة وعاونه هيرتز فراح اليهود يتربصون لهيرتز ثم جاءوا به من البرازيل وحبسوه فى قفص زجاجى مملوء بغاز سام**

ويوم الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١ وما حدث فى الولايات المتحدة كان اليهود وراء ذلك ثم ألصقوا ما حدث بالعرب وأطلقوا عليهم لقب الإرهابيين .

وركب الخنزير الفيل الأمريكى بعد أن ادعى أن العراق وكر الإرهاب . . فدهم العراق ليسرق خيراته ونفطه بحجة تدمير ما يمتلك العراق من سلاح دمار شامل .

وترك الفيل الأمريكى الخنزير اليهودى وهو صاحب أكبر ترسانة لأسلحة الدمار الشامل فى الشرق الأوسط يصول ويجول ويملأ الأرض فسادا وإفساد .

والآن الفيل الأمريكى الجامح يقوده الخنزير ويمتطى ظهره يفكر . . أى بلد إسلامى يتوجه إليه بحجة وجود إرهابيين أو أصحاب سلاح دمار شامل؟؟؟

إن مثل الخنزير كمثل اللص الذى سرق وفر وهو حامل ما سرق وهو يصيح :

- امسكوا حرامى .

فينطلق الفيل والناس وراء من يجرى ويتركون الخنزير يملأ الأرض فساداً وإرهاباً .

لأنه يعلم أن الفيل يحرسه

بل يعتبره ابنه المدلل

* * * * * * * * * *

المراجـــع

القرآن العظيم	
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
الجامع للأحكام القرآن	القرطبى
تفسير غرائب القرآن وغرائب الفرقان	النيسابورى
كنز العمال	الهندى
صحيح البخارى	
صحيح مسلم	
المستدرك على الصحيحين	الحاكم
المسند	الإمام أحمد
البداية والنهاية	ابن كثير
السيرة الحلبية	على بن برهام الحلبى
سيرة ابن هشام	
غزوة أحد	محمد أحمد باشميل
غزوة الأحزاب	محمد أحمد باشميل
غزوة خيبر	محمد أحمد باشميل
غزوة بنى قريظة	محمد أحمد باشميل
فقهاء حول الرسول جـ٢	عبد العزيز الشناوى
نساء فى جيش الرسول ﷺ	عبد العزيز الشناوى
عيون الأثر	ابن سيد الناس
محمد بن مسلمة	عبد العزيز الشناوى
كنوز القرآن وبيان الفرقان	عبد العزيز الشناوى

الجامع الصحيح	الترمذى
محمد نبى ورجل دولة	د / مونتجرى وات
الإصحاح العشرون من سفر الثنية من الكتاب المقدس	
المحلى	ابن حزم
فرسان الإسلام	عبد العزيز الشناوى
سنن أبى داود	
سنن النسائى	السيوطى
فتح البارى	ابن حجر العسقلانى
التفسير القرآنى للقرآن	عبد الكريم الخطيب
اليهود تاريخ وعقيدة	د / كامل سعفان
خطر اليهودية العالمية	عبد الله التل
فقه السيرة	الغزالى
المولاة والمعداة فى الشريعة الإسلامية	محماس بن عبد الله الجعلود
التوراة عرض وتحليل	د / فؤاد حسنين على
أساس الدين	د / هلال فارحى
دلائل النبوة	البيهقى

****

الفهـــــرس

الموضـــوع | الصفحة

****